

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الكتاب

قال الشيخ الامام العالم الأوحد (★) الصدر الكبير ، شيخ الاسلام موفق الدين ، أبو محمد ، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ، رضي الله عنه :

الحمد لله الكريم الوهاب ، الرحيم التواب ، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ، يحب التوابين والمتطهرين ، ويغفر للمنيبين^(١) والمستغفرين ، ويقبل عثرات العاثرين^(٢) ويقبل اعتذار المعتذرين ، فله الحمد كثيراً طيباً مباركاً فيه ، كما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله .

(★) هذه الألقاب ليست من كلام المؤلف ، وإنما هي من الناسخ أو من أحد تلامذة المؤلف . والمراد بالأوحد : إما الأوحد في زمانه المقدم على غيره من العلماء ، أو الأوحد في البلد الذي وجد فيه ، أو الأوحد ممن عرفهم كاتب هذه الألقاب ، وذلك أمر اعتباري .

(١) أي التائبين ، من أتى الله : إذا تاب إليه .

(٢) يقال : أقال الله عثرته ، بمعنى الصفح عنه ، أي يصفح من زلات الناس إذا

تابوا إليه .

وصلى الله على نبيّه وصفيّه محمد خاتم الأنبياء وسيد الأصفياء ،
وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

هذا كتاب، ذكرت فيه بعض أخبار التوابين تشويقاً إلى أخبارهم
وتزغيباً في أحوالهم ، والاقتداء بهم .

بدأت فيه بذكر توبة الملائكة، ثم الأنبياء عليهم السلام ، ثم ملوك
الخلافة ، ثم الأمم ، ثم الأحاد منهم ، ثم أصحاب نبيّنا عليه الصلاة
والسلام ، ثم ملوك هذه الأمة ، ثم سائرهم .

ونسأل الله تعالى أن يقبل توبتنا، ويغفر حوبتنا^(١) ويسدّد
السنتنا ، ويسلّ سخيمة قلوبنا^(٢) .

(١) الحوب بفتح الحاء والخوب بضمها ، والحاب: الأثم، وهو الذنب، ومنه قوله
تعالى في [سورة النساء: ٢] عن أكل أموال اليتامى (إنه كان حوباً كبيراً) أي إثماً عظيماً
وذنوباً كبيراً .

(٢) السخيمة ، كسفينة: الحقد والضغينة والموجدة في النفس .

ذكر التوابين من الملائكة عليهم السلام

١- [قصة هاروت وماروت] *

أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن النقر رحمة الله ،
أنبا الأمين أبو طالب عبد القادر بن محمد اليوسفي ، أنبا ابن المذهب ،
أنبا أبو بكر القطيعي ، ثنا عبد الله بن أحمد ، ثنا أبي رحمه الله ، ثنا يحيى
ابن أبي بكير^(١) ثنا زهير بن محمد ، عن موسى بن جبير ، عن نافع ، عن
عبد الله بن عمر أنه سمع نبي الله ﷺ يقول : « إن آدم عليه السلام
لما أهبطه الله الى الأرض قالت الملائكة : أي ربنا^(٢) : ﴿ أَتَجْعَلُ
فِيهَا مَنْ يَفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ
وَتُقَدِّسُ لَكَ ؟ قَالَ : إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ [البقرة : ٣٠]^(٣) .
قالوا : ربنا ! نحن أطوع لك من بني آدم . قال الله تعالى للملائكة :

(★) هذا العنوان زيادة لم ترد في الأصل ، وإنما أئبنتناه لتوضيح القصة .

(١) وقع في تفسير ابن كثير وتاريخه : يحيى بن بكير ، وهو خطأ من الناسخين
أو الطابعين .

(٢) في مطبوعة المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق بتحقيق الأستاذ جورج
المقدسي : إي رب ، بكسر الهمزة ، وهو خطأ .

(٣) والآية بتمامها : (وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا
أتجعل فيها ...) الآية .

هلموا ملكين من الملائكة حتى نهبطها الى الأرض فتنتظروا^(١) كيف يعملان . قالوا : ربنا ! هاروت وماروت . فأهبطا الى الأرض ومثّلت لهما الزُّهْرَة^(٢) امرأة من أحسن البشر ، فجاءتها ، فسألاها نفسها ، قالت^(٣) : لا والله ! حتى تتكلما^(٤) بهذه الكلمة من الإشراك . فقالا : لا والله ! لا نشرك بالله شيئا أبداً . فذهبتُ عنهما ثم رجعتُ بصبيّ تحمله ، فسألاها نفسها ، فقالت : لا والله ! حتى تقتلا هذا الصبيّ ، فقالا : لا والله ! لا تقتله أبداً ، فذهبتُ ثم رجعتُ بقدر خمر تحمله ، فسألاها نفسها ، فقالت : لا والله ! حتى تشربا هذا الخمر ، فشربا حتى سكرا^(٥) ، فوقعا عليها وقتلا الصبي . فلما أفاقا ، قالت المرأة : والله ما تركتا شيئاً مما أبيتاه^(٦) إلاّ فعلتاه^(٧) حين سكرتما ، فخيّرنا بين عذاب الدنيا والآخرة ، فاختارا عذاب الدنيا^(٨) .

(١) في « مسند أحمد » رقم (٦١٧٨) حتى 'هبط بها إلى الأرض فننتظر .

(٢) الزُّهْرَة : بضم الزاي وفتح الهاء : الكوكب المعروف ، ولا يجوز فيه إسكان الهاء .

(٣) في « مسند أحمد » : فقالت .

(٤) في « مسند أحمد » : تكلمتا .

(٥) في « مسند أحمد » : فشربا فسكرا .

(٦) في مطبوعة المعهد الفرنسي : أبيتاه ، بضم الهمزة وبالتاء ، وهو تصحيف .

(٧) في مسند أحمد : إلاّ قد فعلتا .

(٨) أخرج هذه القصة أحمد في « المسند » رقم ٦١٧٨ ، وابن حبان في « صحيحه » :

٤٢٥ « موارد الظمان » والطبري في تفسيره ٤٢٧/٢ ، ٤٣٥ ، والحاكم في « المستدرک » ٢٦٥/٢ ، ٢٦٦ ، وغيرهم ، في المرفوع ، وقد أعلاها غير واحد من أهل العلم بالحديث ، =

أخبرنا أبو العباس أحمد بن المبارك بن سعد ، أنا جدي لأمي
أبو المعالي ثابت بن بندار ، أنا أبو علي بن دوما ، أنا أبو علي الباقري
أنا الحسن بن علويه ، أنا إسماعيل ، أنا إسحاق بن بشر ، عن جوير عن
الضحك عن مكحول عن معاذ ، قال :

لما أن أفاقا جاءهما جبريل عليه السلام من عند الله عز وجل وهما
يبكيان ، فبكى معهما وقال لهما : ما هذه البلية التي أجحف بكما^(١)
بلاؤها وشقاؤها ؟ فبكيا إليه ، فقال لهما : إن ربكما يخيركما بين
عذاب الدنيا وأن تكونا عنده في الآخرة في مشيئته ، إن شاء عذبكما ، وإن
شاء رحمكما ، وإن شئت عذاب الآخرة . فعلمنا أن الدنيا منقطعة ، وأن الآخرة
دائمة ، وأن الله بعباده رؤوف رحيم . فاختار عذاب الدنيا ، وأن يكونا في
الشيئة عند الله . قال : فهما بيا بل فارس معلقين بين جبلين في غار
تحت الأرض ، يُعذبان كل يوم طر في النهار الى الصيحة . ولما رأت
ذلك الملائكة خفقت بأجنحتها في البيت ، ثم قالوا : اللهم اغفر لولد
آدم ، عجباً كيف يعبدون الله ويطيعونه على ما لهم من الشهوات
واللذات ! .

وعدها من خرافات بني اسرائيل التي لا يعول عليها ، حدث بها كعب الأحبار ، وتلقاها
عنه طائفة من السلف ، فرفعها الى النبي صلى الله عليه وسلم خطأ ووم . قال ابن كثير في
تفسيره ١٣٨/١ : وأقرب ما يكون في هذا أنه من رواية عبد الله بن عمر عن كعب
الأحبار ، لاعت النبي صلى الله عليه وسلم . وانظر كلامه أيضاً في « البداية والنهاية »
٣٧/١ ، ٣٨

(١) أجحف به : ذهب . وسيل جحاف : يذهب بكل شيء . والمجحف : الداهية .

وقال الكلبي : فاستغفرت الملائكة بعد ذلك لولد آدم ، فذلك قوله سبحانه : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ ﴾ [الشورى : ٥] ^(١) .

وروي عن ابن عباس أن الله تعالى قال للملائكة : انتخبوا ثلاثة من أفاضلكم . فانتخبوا عزرا وعزرايل ^(٢) وعزويا . فكانوا إذا هبطوا الى الأرض كانوا في حدّ بني آدم وطبائعهم . فلما رأى ذلك عزرا وعرف الفتنة ، علم أن لا طاقة له . فاستغفر ^(٣) ربه عز وجل واستقاله فأقاله . فروي أنه لم يرفع رأسه بعد حياءً من الله تعالى .

قال الربيع بن أنس : لما ذهب عن هاروت وماروت السكر عرفا ما وقعاه فيه من الخطيئة وندما ، وأرادا أن يصعدا الى السماء فلم يستطيعا ولم يؤذَن لهما . فبكيا بكاءً طويلاً وضاقا ذرعاً بأمرهما . ثم أتيا إدريس عليه السلام وقالاه : ادع لنا ربك فإننا سمعنا بك تُذكر بخير في السماء . فدعا لهما فاستجيب له ، وخيرا بين عذاب الدنيا والآخرة ^(٤) .

(١) « مَنْ » في قوله تعالى : (لمن في الأرض) وإن كانت من ألفاظ العموم ، فان معناها خاص بأهل الايمان ، يدل عليه قوله تعالى في [سورة غافر : ٧] (ويستغفرون للذين آمنوا) . انظر « زاد المسير في علم التفسير » للإمام ابن الجوزي ٢٧٣/٧ الذي حققته مع زميلي الأستاذ شعيب الأرقاؤوط .

(٢) في «ب» وعزازيل .

(٣) وعلى هامش « أ » : فاستغفر .

(٤) قال ابن كثير في « تفسيره » : ١٤١/١ وقد روي في قصة هاروت وماروت عن =

وروي أن الملائكة ، لما قالوا لله تبارك وتعالى : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا
مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ [البقرة : ٣٠] ، طافوا حول
العرش أربعة آلاف عام يعتذرون الى الله عز وجل من اعتراضهم .

= جماعة من التابعين، كجاهد، والسدي، والحسن البصري ، وقتادة ، وأبي العالية ، والزهري
والربيع بن أنس، ومقاتل بن حيان ، وغيرهم . وقصها خلق من المفسرين من المتقدمين
والتأخرين .

وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل ، إذ ليس فيها حديث مرفوع
صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الفؤاد ، وظاهر
سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب ، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على
ما أراده الله تعالى ، والله أعلم بحقيقة الحال .

ذكر التوابين من الأنبياء عليهم السلام

٢ — نوبة آدم عليه السلام

أخبرنا أبو الفضل مسعود بن عبيد الله بن النادر قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين ، أنا أبو بكر محمد بن علي الخياط ، أنا أبو عبد الله بن دوست ، ثنا الحسين بن صفوان ، ثنا ابن أبي الدنيا ، ثنا يعقوب بن إسحاق ابن دينار ، ثنا محمد بن معاذ العنبري عن ابن السماك قال : حدثني عمر ابن ذر عن مجاهد :

أن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة ، تساقط عنه جميع زينة الجنة ، ولم يبق عليه من زينتها إلا التاج والإكليل . وجعل لا يستتر بشيء من ورق الجنة إلا سقط عنه ، فالتفت الى حواء باكياً ، وقال : استعدي للخروج من جوار الله ، هذا أول شؤم المعصية . قالت : يا آدم ! ما ظننت أن أحداً يحلف بالله كاذباً . وذلك أن إبليس قاسمهما على الشجرة وآدم في الجنة هارباً استحياءً من رب العالمين ، فتعلقت به شجرة ببعض أغصانها ، فظن آدم أنه قد عوجل بالعقوبة ، فنكس

رأسه يقول: العَفْو العَفْو . فقال الله عز وجل: يا آدم! أفراراً مني؟
قال : بل حياءً منك سيدي .

فأوحى الله الى الملكين : أن أخرج آدم وحواء من جوارى ،
فإنهما قد عصيانى . فترع جبريل عليه السلام التاج عن رأسه ، وحل
ميكائيل عليه السلام الإكليل عن جبينه ، فلما هبط من ملكوت القدس
إلى دار الجوع والمسغبة^(١) بكى على خطيئته مائة سنة ، قد رمى برأسه على
ركبتيه حتى نبتت الأرض عشباً وأشجاراً من دموعه حتى تقع الدمع
في نُقر الجلاميد^(٢) وأقعيتها .

أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي ، أنا أبو الفضل أحمد بن الحسن
ابن خيرون ، أنا أبو علي بن شاذان ، أنا أبو علي عيسى بن محمد الطوماري ،
أنبا محمد بن أحمد بن البراء ، أنبا عبد المنعم بن ادريس ، أنبا أبي عن
وهب بن منبّه :

أن آدم عليه السلام لبث في السخطة سبعة أيام . ثم إن الله تعالى
أطلعه في اليوم السابع ، وهو منكس محزون كظيم . فأوحى الله
إليه : يا آدم! ما هذا الجهد الذي أراك فيه اليوم!^(٣) وما هذه البلية التي

(١) المسغبة : الجاعة ، ومنه قوله تعالى في [سورة البلد : ١٤] : (أو إطعام في يوم ذي
مسغبة) أي ذي جاعة ، ودار الجوع والمسغبة هي دار الدنيا .
(٢) واحدهما جلمود ، وهو الصخر . يقال: أرض جلمدة : حَجيرة ، وألقى عليه
جلاميده : ثقله . وذات الجلاميد : موضع . وفي « ب » ومطبوعة المعهد الفرنسي :
« الجلام » .

(٣) في « ب » ومطبوعة المعهد الفرنسي : يا آدم ما هذا الجهد الذي أراك فيه يا آدم .

قد أجحف بك بلاؤها وشقاؤها ! قال آدم : عظمت مصيبتى يا إلهي ،
وأحاطت بي خطيئتي . وخرجت من ملكوت ربّي ، فأصبحت في دار
الهوان بعد الكرامة ، وفي دار الشقاوة بعد السعادة ، وفي دار العناء
والنَّصَب بعد الخفض والدعة ، وفي دار البلاء بعد العافية ، وفي دار
الظعن والزوال بعد القرار والطمأنينة ، وفي دار الفناء بعد الخلد
والبقاء ، وفي دار الغرور بعد الأمن . إلهي ! فكيف لا أبكي على خطيئتي ؟
أم كيف لا تحزنني نفسي ، أم كيف لي أن أجتبر هذه البليّة والمصيبة
يا إلهي ؟ .

قال الله تعالى له : ألم اصطفك لنفسي ، وأحللتك داري ،
واصطفيتك على خلقي ، وخصصتك بكرامتي ، وألقيت عليك
محبتي ، وحذرتك سخطي ؟ ألم أباشرك بيدي ، وأنفخ فيك من
روحي ، وأسجد لك ملائكتي ؟ ألم تك جاري في مجبوحة جنتي ،
تتبوا حيث تشاء من كرامتي ؛ فعصيت أمري ، ونسيت عهدي ، وضيعت
وصيتي ؟ فكيف تستنكر نعمتي ، فوعزتي وجلالي لو ملأت الأرض رجالا
كلهم مثلك ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٠] ثم
عصوني لأنزلتهم منازل العاصين أو إني قد رحمت ضعفك وأقلتك عثرتك
وقبلت توبتك وسمعت تضرّ عك وغفرت ذنبك . فقل : لا إله إلا أنت ،
سبحانك اللهم وبحمدك ظلمت نفسي وعملت سوء ، فتب علي إنك أنت

التواب الرحيم . فقالها آدم ، ثم قال له ربه : قل : لا إله إلا أنت ، سبحانك اللهم وبحمدك ظلمت نفسي وعملت سوء فاعفر لي إنك أنت الغفور الرحيم . فقالها آدم ^(١) ، ثم قال له ربه ، قل : لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك ظلمت نفسي ، وعملت سوء ، فارحمني إنك أرحم الراحمين .

قال ، وكان آدم قد اشتدّ بكأؤه وحزنه لما كان من عظم المصيبة ، حتى ان كانت الملائكة لتحزن لحزنه ^(٢) وتبكي لبكائه . فبكى على الجنة مائتي سنة ، فبعث الله اليه بجيئة من خيام الجنة ، فوضعها له في موضع الكعبة قبل أن تكون الكعبة ^(٣) .

(١) في مطبوعة المعهد الفرنسي : فقال آدم .

(٢) في مطبوعة المعهد الفرنسي : بحزنه .

(٣) لا تغلو قصة آدم عليه السلام وغيرها من قصص الأنبياء الذين سيرد ذكر توبتهم من المبالغات والزيادات ، وأغفلنا التعليق عليها إلا ما كان قد حان في النبوة والرسالة . وقد عرض الله تعالى في القرآن توبة آدم عليه السلام ضمن قصته فقال في [سورة البقرة : ٢٥ - ٢٧] (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ، وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين . فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم) وقال في [سورة طه : ٢٠ ، ٢١] (فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى . فأكلا منها فبدت لهما سوءاتها وطفقا يخسفان عليهما من ورق الجنة ، وعصى آدم ربه فغوى ، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) وأصل التوبة : الرجوع ، فالتوبة من آدم : رجوعه عن المعصية ، وهي من الله تعالى : رجوعه عليه بالرحمة . والتواب : الذي كثر توبة العبد تكرر قبوله ، وإنما لم تذكر حواء في التوبة ، لأنه لم يجر لها ذكر ، لأن توبتها لم تقبل . وقال قوم : إذا كان معنى فعل الاثنين واحداً ، جاز أن يذكر أحدهما ويكون المعنى لها ، كقوله تعالى : (والله ورسوله أحق أن يظيروا) [التوبة : ٦٣] وقوله : (فلا يجر جنسكما من الجنة فتشقى) [طه : ١١٧] . وقال تعالى في [سورة الأعراف : ٢٣] على لسان آدم وحواء : (قالوا ربنا إننا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) .

٢ - نوبة نوح عليه السلام

أخبرنا أبو الحسن علي بن عساكر ، أنا عبد القادر بن محمد ، أخبرنا الحسن بن علي ، أنا أبو بكر القطيعي ، ثنا عبد الله ، حدثني أبي ، ثنا عبد الرزاق ، ثنا وهيب بن الورد ، قال :

لما عاتب الله تعالى نوحاً في ابنه فأنزل عليه ﴿ إِنِّي أُعْطِكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [هود : ٤٦] ، قال : فبكى ثلاثاً عام حتى صار تحت عينيه مثل الجداول من البكاء .

٤ - نوبة موسى عليه السلام

أخبرنا أحمد بن المبارك ، أنا جدي ثابت ، أنا أبو علي بن دوما ، أنا مخلد بن جعفر ، أنا الحسن بن علويه ، أنا إسماعيل بن عيسى ، أنا إسحاق بن بشر ، أنا أبو إلياس عن وهب بن منبه ، قال :

لما سمع موسى عليه السلام كلام ربه عز وجل طمع في رؤيته .

(١) إن نوحاً عليه السلام أراد أن يستنجز وعد الله تعالى بنجاة أهله فقال : (رب ان ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين) [هود : ٢٥] فعاتبه الله تعالى في كتابه بقوله : (يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعطتك أن تكون من الجاهلين) [هود : ٤٦] إذ كان من حق نوح عليه السلام أن يعلم أن من كان خارج السفينة فليس ممن وعده الله بنجاتهم ، فاعتذر نوح عليه السلام عن ذلك وطلب المغفرة والرحمة على ما فرط منه فقال : (رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تقفر لي وترحمني أكن من الخاسرين) [هود : ٤٧] . فقال الله تعالى له : (يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك) . فنجاه الله تعالى ومن آمن معه .

فقال : ﴿ ربّ أرني أنظرُ إليك قالَ لن تراني ولكن انظرُ إلى الجبلِ فإن استقرَّ مكانه فسوف تراني ﴾ [الأعراف : ١٤٣] .

قال محمد بن إسحاق : حدّثني بعض من لا أتهم قال : قال الله تعالى : يا ابن عمران ! إنه لا يراني أحد فيحيا . قال موسى : رب لا شريك لك ، إني أن أراك " وأموت أحبّ إليّ من أن لا أراك وأحيا ، ربّ أتمم عليّ نعمك وفضلك وإحسانك بهذا الذي أسألك ، وأموت على أثر ذلك .

قال : وأخبرنا جوير عن الضحاك عن ابن عباس ، قال : لما رأى الله الرحيم بخلقه من حرص موسى على أن يعطيه سؤاله قال : انطلق فانظر الحجر الذي في رأس الجبل فاجلس عليه ، فأني مهبط عليك جندي ، ففعل موسى . فلما استوى عليه ، عرض الله تعالى عليه جنود سبع سموات ، فأمر ملائكة السماء الدنيا أن يعرضوا عليه . فمروا بموسى عليه السلام ولهم أصوات مرتفعة بالتسبيح والتهليل كصوت الرعد الشديد ، ثم أمر ملائكة السماء الثانية أن يعرضوا عليه ففعلوا ، فمروا به على ألوان شتى ، ذوو وجوه وأجنحة ، منهم ألوان الأسد ، رافعي أصواتهم بالتسبيح . ففزع موسى منهم وقال : أي ربّ ! إني ندمت على مسألتي ، ربّ ! هل أنت منجيّ من مكاني الذي أنا فيه ؟ قال له رأس الملائكة : يا موسى ! اصبر على ما سألت ، فقليل من كثير ما رأيت . ثم أمر الله ملائكة السماء الثالثة أن اهبطوا فاعترضوا على موسى .

(١) في مطبوعة المعهد الفرنسي : إن أراك ، وهو خطأ .

فأقبل ما لا يحصى عددهم على ألوان شتى ، ألوانهم كلهب النار ، لهم بالتسييح والتهيل زجل* . فاشتد فزع موسى عليه السلام وساء ظنه ويئس من الحياة . فقال له رأس الملائكة : يا ابن عمران ! اصبر حتى ترى ما لا تصبر عليه . ثم أوحى الله تعالى الى ملائكة السماء الرابعة أن اهبطوا الى موسى بالتسييح ، فهبطوا ، ألوانهم كلهب النار وسائر خلقهم كالثلج ، لهم أصوات عالية بالتسييح والتقديس لا تشبه أصوات الذين مروا به . فقال له رأس الملائكة : يا موسى ! اصبر على ما سألت .

فكذلك أهل كل سماء الى السماء السابعة ينزلون إليه بالوان مختلفة وأبدان مختلفة ، وأقبلت ملائكة مخطف نورهم الأبصار ومعهم حراب ، الحربة كالخلة الطويلة العظيمة كأنها نار أشد ضوءاً من الشمس . وموسى عليه السلام يبكي رافعاً صوته يقول : يارب ! اذكرني ولا تنسني أنا عبدك ، ما أظن أن أنجو مما أنا فيه ، إن خرجت احترقت ، وإن مكثت مت . قال له رأس الملائكة : قد أوشكت أن تمتلىء خوفاً وينخلع قلبك ، هذا الذي جلست لتنظر إليه .

قال : ونزل جبريل وميكائيل وإسرافيل ومن في سبع سماوات وحملة العرش والكرسي وأقبلوا عليه يقولون : يا خاطيء ابن الخاطيء ! ما الذي رقاك إلى هاهنا ! وكيف اجترأت أن تسأل ربك أن تنظر^(١) إليه ؟ وموسى عليه السلام يبكي وقد اصطكت ركبته

(١) وفي « ب » : النظر .

وتخلعت مفاصله . فلما رأى الله عز وجل ذلك من عبده أراه قائمة عرشه ، فتعلق بها فاطمان قلبه . فقال له إسرائيل : يا موسى ! والله إننا لنحن رؤساء الملائكة لم نرفع أبصارنا نحو العرش منذ خلقنا خوفاً وفرقاً ، فما حملك أيها العبد الضعيف على هذا ؟ فقال موسى : يا إسرائيل ! - وقد اطمأن - أحببت أن أعرف من عظمة ربي ما عرفت .

ثم أوحى الله عز وجل للسموات : إني متجلل للجبل . فارتعدت السموات والأرض والجبال والشمس والقمر والنجوم والسحاب والجنة والنار والملائكة والبحار ، وخرّوا كلهم سجداً ، وموسى ينظر إلى الجبل . (فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكاً ، وخر موسى صعقاً) [الأعراف : ١٤٣] ميثاً من نور رب العزة جلّ وعلا ، فوقع عن الحجر وانقلب عليه ، فصار عليه مثل القبة لئلا يحترق .

قال الحسن : فبعث الله تعالى جبريل عليه السلام ، فقلب الحجر عن موسى وأقامه . فقام موسى عليه السلام فقال : (سبحانك ! تبت إليك) [الأعراف : ١٤٣] مما سألت ، (وأنا أول المؤمنين) [الأعراف : ١٤٣] أي أنا أول من آمن أنه لا ينظر إليك أحد إلا مات ، وقيل : أنا أول من آمن أنه لا يراك أحد في الدنيا ^(١) .

(١) إن موسى عليه السلام لما كلمه الله تعالى وأحمه كلامه ، طلب رؤية الله تعالى التي لا يمكن شغفها لأحد في الدنيا فقال : (رب أرني أنظر إليك) [الأعراف : ١٤٣] =

٥ - نورية داود عليه السلام

أخبرنا أحمد بن المبارك قال: أنبأ ثابت، أنا أبو علي، أنا مخلد، أنا الحسن ابن علي، أنا إسماعيل، أنا إسحاق قال: وأنبأ الأوزاعي^(١) عن يحيى بن أبي كثير^(٢) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

كان داود عليه السلام قد قسم الدهر على أربعة أقسام، فيوم لبني إسرائيل يدارسهم العلم ويدارسونه، ويوم للمحراب، ويوم للقضاء، ويوم للنساء. فبينما هو مع بني إسرائيل يدارسهم إذ قال بعضهم: لا يأتي على ابن آدم يوم إلا يصيب فيه ذنباً. فقال داود في نفسه: اليوم الذي أخلوفيه للمحراب تنحى عني الخطيئة. فأوحى الله إليه: يا داود! خذ حذرَكَ حتى ترى بلاءك.

قال إسحاق: وأخبرنا ابن بشر عن قتادة عن الحسن، قال: فبينما هو في محرابه منكب على الزبور يقرؤها، إذ دخل عليه طائر من الكوة فوق بين يديه، جسده من ذهب، وجناحاه من ديباج، مكلل بالدر، ومنقاره زبرجد وقوائمه فيروزج. فوقع بين يديه فنظر إليه

=فعاتبه الله تعالى على ذلك بقوله: (لن تراني) أي لن تستطيع رؤيتي في الدنيا (ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً) مفشياً عليه، (فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين) انه لا يستطيع أن يراك أحد في الدنيا. فقال الله تعالى له: (يا موسى إن اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين) [الأعراف: ١٤٤].

(١) في مطبوعة المعهد الفرنسي: وأنا ابن علم الأوزاعي، وهو تحريف، ولعل الصواب أبو عمرو، فهي كنية الإمام الأوزاعي.

(٢) يحيى بن أبي كثير لم يسمع من أبي هريرة، فالحديث منقطع، وعامة المفسرين ذكروا هذا الخبر مطولاً عن ابن عباس موقوفاً عليه، وعن الحسن البصري.

فحسب أنه من طير الجنة، فجعل يتعجب من حسنه . وكان له ابن صغير، فقال : لو أخذتُ هذا فنظر إليه ابني . فأهوى إليه فتباعد منه ، ويطمعه احياناً من نفسه حتى تكاد تقع يده عليه ، فتباعد منه أيضاً . فما زال كذلك يدنو ويتباعد حتى قام من مجلسه وأطبق الزبور . فطلبه فوقع في الكوة ، فطلبه في الكوة ، فرمى بنفسه في بستان ، فاطلع داود فإذا بامرأة تغتسل .

قال قتادة عن بلال بن حسان : فأخرج رأسه من الكوة ، فإذا هو بامرأة تغتسل ، فنظر إلى أحسن خلق الله . ونظرت المرأة وإذا وجه رجل ، فنشرت شعرها فغطت جسدها .

رجع إلى حديث الحسن قال : فزاده ذلك بها إعجاباً . فرجع إلى مكانه وفي نفسه منها ما في نفسه . فبعث لينظر من هي ؟ فرجع إليه الرسول فقال : هي تشايح ابنة حنانا، وزوجها أوريا ابن صوراء، وهو في اللقاء مع ابن أخت داود محاصري قلعة . فكتب داود إلى ابن أخته كتاباً : إذا جاءك كتابي هذا فمر أوريا بن صوراء فليحمل التابوت وليتقدم أمام الجيش . وكان الذي يتقدم لا يرجع حتى يُقتل أو يفتح الله عليه . فدعا صاحب الجيش أوريا فقرأ عليه الكتاب ، فقال : سمعاً وطاعة . فحمل التابوت وسار أمام أصحابه فقتل ، وكتب ابن أخت داود بذلك إلى داود . فلما انقضت عدة المرأة أرسل إليها داود فخطبها فتزوجها^(١) .

(١) هذه القصة ظاهراً البطلان ، وواضحة الافعال ، افتراها بعض أهل الكتاب =

قال : وأخبرنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، قال : إن داود لما تزوج تشايح بنت حنانا ، وكان يخلو للعبادة في المحراب ، فبينما هو في المحراب ، إذ سمع صوتاً عالياً ، ثم تسور عليه رجلان حتى اقتحما عليه ، فلما رأهما فزع منهما . قالوا : (لا تخف ! خصمان بغى بعضنا على بعض) - يعني اعتدى بعضنا على بعض فظلمه ، (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) - يعني لا تجر ، (واهدنا إلى سواء الصراط) - يعني إلى قصد السبيل . فقال داود : قصاً علي قصتكما . قال : (إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيتها وعزني في الخطاب) - يعني قهرني وظلمني - وأخذ نعجتي فضمها إلى نعاجه ، وعزني في الخطاب . يعني إذا تكلم كان أبلغ في المخاطبة مني ، وإذا دعا كان أسرع إجابة مني ، وإذا خرج كان - يعني - أكثر تبعاً مني . فقال داود : * لَقَدْ

= الذين بدلوا وغبروا وتناقلها عنهم بعض السلف دون تمحيص وأبى قبولها العلماء المحققون . ولا يستغرب عاقل في أن من خصه الله تعالى بنبوته ، وأكرمه برسالته ، واثمنه على وجهه ، وجعله واسطة بينه وبين خلقه لا يليق أن ينسب إليه مثل هذا الهراء والافتراء . ومن ثم قال الامام أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي في كتابه « زان المسير في علم التفسير » ١١٥/١ - الذي حققته مع زميلي الأستاذ شعيب الأرنؤوط - بعد أن ذكر القصة : وهذا لا يصح من طريق النقل ، ولا يجوز من حيث المعنى ، لأن الأنبياء منزهون عنه وقال أيضاً : وما روي من أنه نظر إلى المرأة فهويها ، وقدم زوجها للقتل ، فانه وجه لا يجوز على الأنبياء ، لأن الأنبياء لا يأتون المعاصي مع العلم بها . وقال الحافظ ابن كثير عند ذكر قصة داود عليه السلام : قد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الاسرائيليات ، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه . وقال الامام الرازي : وحاصل القصة يرجع إلى أسرين : إلى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق ، وإلى الطمع في زوجته ، وكلاهما منكر عظيم ، فلا يليق بعاقل أن يظن بداود عليه السلام هذا .

ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نِعْمَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنْ كَثِيرٌ مِّنَ الْخُلَطَاءِ
لَيَبْتَغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴿[سورة ص: ٢١-٢٤]. قال: فضحك
المدعى عليه. فقال داود: تظلم وتضحك؟ ما أحوجك إلى قدوم يرض منك
هذه وهذه - يعني جهته وفاه . قال الملك : بل أنت أحوج إلى ذلك
منه ، وارتفعا . وفي رواية قال : فتحوّلا في صورتها وعرجا وهما
يقولان : قضى الرجل على نفسه .

وعلم داود أنه إنما عني به هو . فخرّ ساجداً أربعين يوماً لا يرفع
رأسه إلا الحاجة لا بدّ منها ، ثم يعود فيسجد ، لا يأكل ولا يشرب ، وهو
يسكي حتى نبت العشب حول رأسه ، وهو ينادي ربّه عزّ وجلّ
ويسأله التوبة .

وكان يقول في سجوده : سبحان خالق النور الحائل بين القلوب!
سبحان خالق النور ! إلهي خلّيت بيني وبين عدوي إبليس فلم أقم
نفتنته إذ نزلت بي . سبحان خالق النور ! إلهي لم أفارق الزبور ولم أتعظ بما
وعظت به غيري . إلهي ! أمرتني أن أكون لليتيم كالأب الرحيم ، وللأرملة
كالزوج الرحيم ، فنسيت عهدك سبحان خالق النور ! إلهي ! بأيّ عين أنظر
إليك يوم القيامة ، وإنما ينظر الظالمون من طرف خفيّ . سبحان خالق
النور ! إلهي ! الويل لداود من الذنب العظيم الذي أصاب ! سبحان خالق

النور ! إلهي ! الويل لداود إذا كُشف عنه الغطاء فيقال : هذا داود الخاطيء ! سبحان خالق النور ! إلهي ! أنت المغيث وأنا المستغيث ! فمن يدعو المستغيث إلا المغيث ؟ سبحان خالق النور ! إلهي ! إليك فررت بذنوبي واعترفت بخطيئتي، فلا تجعلني من القانطين، ولا تُخزني يوم الدين ، - في مناجاة كثيرة .

قال : فاتاه نداء : أجاجع أنت فتطعم ؟ أظمان أنت فتسقي ؟ أمظلوم أنت فتُنصر ؟ ولم يجبه في ذكر خطيئته . قال : فصاح صيحة هاج ماحوله ، ثم نادى : يارب ! الذنب الذي أصبت ؟ فنودي : ياداود ! ارفع رأسك فقد غفرت لك .

قال : وأخبرنا أبو إلياس عن وهب بن منبه أن داود أتى قبر أوريا فقام عنده وجعل التراب على رأسه ، ثم نادى فقال : الويل لداود ، ثم الويل الطويل لداود ! سبحان خالق النور ! الويل لداود ، ثم الويل لداود إذا نصبت الموازين ! سبحان خالق النور ! الويل لداود ، ثم الويل الطويل لداود ، يوم يُقتَصُّ للمظلوم من الظالم ! سبحان خالق النور ! الويل لداود ، ثم الويل الطويل لداود يوم يُسحب على وجهه مع الخاطئين إلى النار ! سبحان خالق النور ! الويل لداود ، ثم الويل الطويل لداود !

قال : فاتاه نداء من السماء : ياداود ! قد غفرت لك ذنبك ، ورحمت بكاءك ، وأقلت عثرتك . قال : يارب ! كيف تعفو عني وصاحبي لم

يعف عني؟ ! قال : ياداود أعطيه يوم القيامة من الثواب ما لم تر عيناه ولم تسمع أذناه ، فأقول : رضي عبيدي؟ فيقول : يارب! من أين لي هذا ولم يبلغه عملي؟ فأقول له: هذا عوض من عبيدي داود ، فأستوهبك منه ، فيهبك لي . قال : يارب! الآن عرفت أنك قد غفرت لي .

[٦] نوبة سليمان عليه السلام

قال إسحاق : وأخبرنا جويبر ، عن الضحّاك ، عن ابن عباس ، قال : كان سليمان عليه السلام رجلاً غزاًء يغزو في البرّ والبحر ، فسمع بملك في جزيرة من جزائر البحر ، فركب سليمان الريح وجنوده من الجن والإنس حتّى نزل تلك الجزيرة ، فقتل ملكها وسبى من فيها وأصاب جارية لم ير مثلها حسناً وجمالاً ، وكانت ابنة ذلك الملك ، فاصطفأها لنفسه . فكان يجدها ما لا يجد بأحد ، وكان يؤثرها على جميع نسائه . فدخل عليها يوماً ، فقالت : إني أذكر أبي وملكه وما أصابه ، فيحزنني ذلك ، فإن رأيت أن تأمر بعض الشياطين فيصرون لي صورة أبي في داري فأراه بكرة وعشياً ، رجوت أن يذهب عني حزني ويسلي^(١) عني بعض ما أجد في نفسي . فأمر سليمان صخراً المارد ، فمثّل لها أباه في هيئته في ناحية دارها ، لاتنكر منه شيئاً إلا أنه لا روح فيه . فعمدت إليه فزينته وألبسته حتّى تركته في هيئة أبيها ولباسه . فإذا خرج سليمان عليه السلام من دارها تغدو عليه كل غدوة مع جوارها فتطّيبه

(١) في «ب» واختار .

(٢) في «ب» : ويسكن .

وتسجد له وتسجد جواربها وتروح بمثله . وسليمان لاعلم له بذلك ،
حتى أتى لذلك أربعون يوماً . وبلغ الناس ، وبلغ آصف بن برخيا
وكان صديقاً له ، فدخل عليه فقال : يا نبي الله ! قد أحببت أن أقوم
مقاماً أذكر فيه من مضى من أنبياء الله ، وأثني عليهم بعلمي فيهم . قال :
فجمع سليمان الناس . فقام فيهم فذكر من مضى من أنبياء الله ، وأثنى
على كل نبي بما فيه ، وذكر مافضلهم الله به ، حتى انتهى إلى سليمان ،
فذكر فضله وما أعطاه الله في حدّاته سينه وصغره ثم سكت ،
فامتلاً سليمان غيظاً . فلما دخل ، أرسل إليه فأتاه ، فقال : يا آصف !
ذكرت من مضى من أنبياء الله ، فأثنت عليهم بما كانوا عليه في زمانهم
كله ، فلما ذكرتني جعلت تشني عليّ بخير في صغري وسكت عما سوى
ذلك من أمري في كبري ، فما الذي أحدثت في كبري ؟ قال : أحدثت
أن غير الله يُعبَد في دارك منذ أربعين يوماً في هوى امرأة . قال :
في داري ؟ قال : في دارك . قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! عرفتُ ،
ماقلت هذا إلا عن شيء بلغك . ثم رجعت إلى داره ، وكسر ذلك
الصنم ، وعاقب تلك المرأة وولائها . ثم دعا بثياب الطهر فلبسها .
ثم خرج إلى فلاة من الأرض ، ففرش له الرماد . ثم أقبل ثابتاً إلى الله
تعالى ، فجلس على ذلك الرماد يتمتعك فيه متذلاً متضرعاً ، يبكي
ويستغفر الله ويقول : يا رب ! ما هذا بلاؤك عند آل داود أن يعبدوا

غيرك وأن يقرؤا في دارهم وأهلهم عبادة غيرك؟! . فلم يزل كذلك حتى أمسى ، ثم رجع وكانت له جارية سماها الأمانة . وكان إذا أتى الخلاء أو أراد إتيان امرأة ، وضع خاتمه عندها . وكان لا يمسه إلا وهو طاهر . وكان الله تعالى جعل ملكه في خاتمه . قال وهب : فجاء يوماً يريد الوضوء ، فدفع الخاتم إليها . وجاء صخر المارد ، فسبق سليمان فدخل المتوضأ ، فدخل سليمان لحاجته ، وخرج الشيطان على صورة سليمان ينفذ لحيته من الوضوء ، لانتكر من سليمان شيئاً . فقال : خاتمي يا أمانة ! فناولته إياه لا تحسب إلا أنه سليمان ، فجعله في يده . ثم جاء حتى جلس على سرير سليمان ، وعكف عليه الطير والجن والإنس . وخرج سليمان ، فقال للأمانة : خاتمي . قالت : ومن أنت ؟ قال : أنا سليمان بن داود . وقد تغير عن حاله وذهب عنه بهاؤه ، قالت : كذبت ! إن سليمان قد أخذ خاتمه ، وهو جالس على سريره في ملكه . فعرف سليمان أن خطيئته قد أدر كته . قال الحسن : فخرج سليمان هارباً مخافة على نفسه . فمضى على وجهه بغير حذاء ولا قلنسوة في قميص وإزار . فمر بباب شارع على الطريق ، وقد جهده الجوع والعطش والحر . فأتى الباب فقصره ، فخرجت امرأة فقالت : ما حاجتك ؟ فقال : ضيافة ساعة ، فقد ترين ما أصابني من الحرّ والرمضاء ، قد احترقت رجلاي^(١) وبلغ مجهودي من الجوع والعطش . قالت المرأة : زوجي غائب ، وليس يسعني أن أدخل رجلاً غريباً عليّ ، فادخل البستان فإن فيه ماءً

(١) في «أ» و «ب» : رجلي .

وثماراً^(١) ، فأصب من ثماره ، وتبرّديه ، فإذا جاء زوجي استأذنته في ضيافتك ، فإن أذن لي فذاك ، وإن أبى أصبتَ مارزق الله ومضيت . فدخل البستان فاغتسل ووضع رأسه فنام . فأذاه الذباب ، فجاءت^(٢) حية سوداء فأخذت ريحانة من البستان بفيها وجاءت سليمان ، فجعلت تذبّ عنه الذباب حتى جاء زوج المرأة . فقصّت عليه القصة ، فدخل إلى سليمان . فلما رأى الحية وصنيعها ، دعا امرأته فقال لها : تعالي فانظري إلى العجب ! فنظرت ، ثم مشيا إليه فأيقظاه ، ثم قالا له : يا فتى ! هذا منزلنا ، لا يسعنا شيء يعجزك ، وهذه ابنتي قدزوجتكها . وكانت من أجمل نساء زمانها ، فتزوجها ، وأقام عندهم ثلاثاً ، ثم قال : لا يسعني إلا طلب المعيشة لي ولأهلي ، فانطلق إلى الصيادين ، فقال لهم : هل لكم في رجل يكون معكم يعينكم ، وترضخون له من صيدكم ، وكل يأتيه الله برزقه ؟ فقالوا : قد انقطع عنا الصيد ، وليس عندنا فضل نعطيكمه ، فمضى إلى غيرهم . فقال لهم مثل هذه المقالة . فقالوا له : نعم وكرامة ، نواسيك بما عندنا .

فأقام عندهم^(٣) يختلف كل ليلة إلى أهله بما أصاب من الصيد ، حتى أنكر الناس قضاء^(٤) سليمان وفعاله . فلما رأى الخبيث أن الناس قد فطنوا له ، انطلق بالخاتم فألقاه في البحر . قال الحسن : أمسك الخاتم أربعين يوماً .

(١) في «ب» : وثماراً .

(٢) في «أ» : فجاءته .

(٣) في «ب» : معهم .

(٤) في «أ» من قضاء .

وروي أنه قعد على كرسي سليمان ، فاجتمع له الجن والإنس
والشياطين . ومُلِّك كل شيء كان يملكه سليمان عليه السلام إلا أنه
لم يُسلِّط على نسائه . وخرج سليمان يسأل الناس ويتضيّفهم ، ويقوم
على باب الرجل والمرأة ، ويقول : أطعموني فإنني سليمان بن داود .
فيطردونه ، ويقولون له : ما يكفيك ما أنت فيه حتى تكذب على
سليمان ، وهذا سليمان على ملكه ، حتى أصابه الجهد واشتدّ عليه البلاء .
فلما تمّ عليه أربعون يوماً ، قال آصف : يا معشر بني إسرائيل ! هل
رأيتم من خلاف حكم ابن داود ما رأيتم ؟ قالوا : نعم ، فعمد عند ذلك
الحديث فالتقى الخاتم في البحر . فاستقبله جريٌّ^(١) فابتلع الخاتم ، فصار
في جوفه مثل الحريق من نور الخاتم . فاستقبل جريّة الماء ،
فوقع في شباك الصيادين الذين كان سليمان معهم . فلما أمسوا قسموا
السمك ، فأسقطوا الجريّ فجعلوه لسليمان . فذهب به إلى أهله ،
فأمرهم أن يصنعوه . فلما شقوا بطنه أضاء البيت نوراً من خاتمه .
فدعت المرأة سليمان ، فأرته الخاتم . فتختمّ به ، وخرّ لله ساجداً ، وقال :
إلهي ! لك الحمد على قديم بلائك ، وحسن صنيعك إلى آل داود . إلهي !
أنت ابتدأتهم بالنعم ، وأورثتهم الكتاب والحكم والنبوة ، فلك الحمد .
إلهي ! تجود بالكبير^(٢) وتلطف بالصغير ، فلك الحمد ، نعمائك ظهرت

(١) الجريّ : بكسر الجيم ، وبكسر الراء وتشديدها : ضرب من السمك .

(٢) في «ب» تجود بالكثير .

فلا تخفى ، وبطنت فلا تحصى ، فلك الحمد . إلهي ! لم تسلمني
بذنوبي ، فلك الحمد ، تغفر الذنوب وتستجيب الدعاء ، فلك الحمد .
إلهي ! لم تسلمني بجريرتي ، فلك الحمد ، ولم تحذلني بخطيئتي ، فلك
الحمد . إلهي فآتم نعمتك عليّ ، واغفر لي ما سلف ، وهب لي ملكاً
لا ينبغي لأحد من بعدي . فذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ
وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴾ [ص : ٢٤] .

وروي عن عكرمة أن سليمان ، لما أصاب الملك ، أمر بحمل أهل
ذلك البيت ، فوضعهم في وسط المملكة . ولم يكن سليمان عليه السلام نال
تلك المرأة حتى ردّ الله عليه ملكه .^(١)

[٧] توبة يونس عليه السلام

قال إسحاق بن بشر : وأخبرنا سعيد عن قتادة عن الحسن أن
يونس عليه السلام كان مع نبي من أنبياء بني إسرائيل ، فأوحى الله
إليه أن ابعث يونس إلى أهل نينوى^(٢) يحذّرهم عقوبتي . قال : فمضى
يونس على كرهٍ منه ، وكان رجلاً حديداً شديد الغضب . قال : فاتاهم

(١) قال العلماء : وماروي في قصة الخاتم وعبادة الوثن في دار سليمان عليه السلام ،
فذلك من أباطيل أهل الكتاب ، ومن ثم قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : وقد
رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف ، كسعيد بن المسيب ، وزيد بن أسلم ،
وجاعة آخرين ، وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب .

(٢) قرية من أرض الموصل في العراق .

فحذّرهم وأنذّرهم ، فكذبوه وردّوا عليه نصيحته ، ورمّوه بالحجارة
وأخرجوه ، فانصرف عنهم . فقال له نبيّ بني إسرائيل : ارجع إلى
قومك . فرجع إليهم ، فرمّوه بالحجارة وأخرجوه . فقال له النبيّ :
ارجع إلى قومك ، فرجع فكذبوه ، وأوعدهم العذاب ، فقالوا : كذبت ،
فلما كذبوه وكفروا بالله ووجدوا كتابه ، دعا عند ذلك ربّه على قومه ،
فقال : ياربّ ! إنّ قومي أبوا إلّا الكفر ، فأنزّل عليهم تقمّتك .
فأوحى الله تعالى إليه : : إني أنزل بقومك العذاب . قال : فخرج عنهم
يونس ، وأوعدهم العذاب بعد ثلاثة أيام . وأخرج أهله وانطلق فصعد
جبلًا ينظر إلى أهل نينوى ، ويترقب العذاب . فجاءهم العذاب
وعاينوه ، فتابوا إلى الله تعالى فكشف عنهم العذاب . فلما رأى ذلك ،
جاءه إبليس فقال : يا يونس ! إنّك إن رجعت إلى قومك آتهموك
وكذبوك . فذهب مغاضباً لقومه . فانطلق حتى أتى شاطئ دجلة ،
فركب سفينة . فلما توسطت به الماء أوحى الله إليها أن اركدي .
فركدت السفينة ، والسفن تمرّ يمينا وشمالا . فقالوا : ما بال سفينتكم ؟
فقالوا : لا ندري . قال يونس : أنا أدري . قالوا : فما حالها ؟ قال : فيها
عبدٌ أبق من ربّه ، فلا تسير حتّى تلقوه في الماء . قالوا : ومن هو ؟
قال : أنا ، وعرفوه . قالوا : أما أنت فليس نلقيك ، والله ما نرجو
النجاة منها إلّا بك ! قال : فاقترعوا ، فمن قرع فالتقوه في الماء . قال :
فاقترعوا ، فقرعهم يونس ، فأبوا أن يلقوه قال : فاقترعوا الثانية ،
فقرعهم . قال : فاقترعوا الثالثة ، فقرعهم . قال : ألقوني في الماء .

وفي رواية قال : يا قوم ! اطرحوني في الماء وانجوا . فقام القوم ، فاحتملوه شبه المشفقين عليه . فقال : اتتوا بي صدر السفينة . ففعلوا ، فلما أشرفوا ليلقوه ، فإذا الحوت فاتح فاه . فلما رأى ذلك ، قال : يا قوم ! ردوني الى مؤخر السفينة . ففعلوا ، فلما أشرفوا ، ذهبوا يطرحونه ، فاستقبله الحوت فاتحاً فاه . فلما رأى جوفه وهوّاهُ قال : يا قوم ! ردوني الى وسط السفينة . ففعلوا ، فاستقبله ، فقال : ردوني الى الجانب الآخر . فاستقبله فاتحاً فاه لياخذه . فقال : اطرحوني وانجوا فلا منجا من الله . فطرحوه ، والتقمه الحوت قبل أن يبلغ الماء ، وتصوّب به .

رجع الحديث الى الحسن ، قال : فانطلق به الحوت الى مسكنه من البحر ، ثم انطلق به الى قرار الأرض ، فطاف به البحار أربعين يوماً . فسمع يونس تسبيح الحصى وتسبيح الحيطان . قال : فجعل يسبح ويهلل ويقدم . وكان يقول في دعائه : سيدي ! في السماء مسكنك ، وفي الأرض قدرتك وعجائبك . سيدي ! من الجبال أهبطتني ، وفي البلاد سيرتني ، وفي الظلمات الثلاث حبستني . إلهي سجنتي بسجن لم تسجن به أحداً قبلي . إلهي ! عاقبتني بعقوبة لم تعاقب بها أحداً قبلي . فلما كان تمام أربعين يوماً وأصابه الغم ، (فنادى في المظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) [الأنبياء: ٨٧] قال : فسمعت الملائكة بكاءه وعر فواصوته ، وبكت الملائكة

لبكاء يونس ، وبكت السماء والأرض والحيتان . فقال الجبار :
 ياملائكتي ! مالي أراكم تيكسون ؟ قالوا : ربنا ! صوت ضعيف حزين
 نعرفه في مكان غريب . قال : ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في
 بطن الحوت في البحر . فقالوا : يارب ! العبد الصالح الذي كان يصعد
 له في كل يوم وليلة العمل الصالح الكثير ؟ قال ابن عباس ، قال الله
 تعالى : نعم . قال : فشفعت له الملائكة والسموات والأرض . فبعث
 الله تعالى جبريل عليه السلام ، فقال : انطلق الى الحوت الذي حبست يونس
 في بطنه ، فقل له : إن لي في عبدي حاجة ، فانطلق به الى الموضع الذي
 ابتلعته فيه فاقدقه به ، فانطلق جبريل الى الحوت فاخبره . فانطلق
 الحوت بيونس ، وهو يقول : يارب ! استأنست في البحر بتسييح
 عبدك ، واستأنست به دواب البحر ، وكنت أزكى شيء به ،
 وجعلت بطني له مصلى يقدسك فيه ، فقدست به وما حولي من
 البحار . فتخرجه عني بعد أنس كان به ؟ قال الله تعالى : إني أقلته
 عثرته ورحمته فآلقه .

قال : فحاء به الى حيث ابتلعه بيلد على شاطئ دجلة . فدنا جبريل
 من الحوت وقرب فاه من فم الحوت ، فقال : السلام عليك
 يا يونس ! رب العزة يقرئك السلام . فقال يونس : مرحباً بصوت
 كنت خشيت أن لا أسمعه أبداً ، مرحباً بصوت كنت
 أرجوه قريباً من سيدي ! ثم قال جبريل للحوت : اقذف يونس

بإذن الله الرحمن! فقدفه مثل الفرخ المعوط^(١) الذي ليس عليه ريش
فاحتضنه جبريل عليه السلام .

قال الحسن : فأنبت الله عليه شجرة من يقطين ، وهو الدُّبَّاءُ ،
فكان لها ظلٌّ واسع يستظلُّ به ، وأُمرت أن ترضعه أغصانها ، فكان
يرضع منها كما يرضع الصبي .

وعن الحسن ، قال : بعث الله الى يونس وعلة من وعول^(٢) الجبل يدر
ضرعها لبناً ، حتى جاءت الى يونس وهو مثل الفرخ ، ثم رُبضت^(٣)
وجعلت ثديها في في يونس . فكان يمصه كما يمص الصبي ، فإذا شبع
انصرف . فكانت تختلف اليه حتى اشتدَّ ونبت عليه شعره خلقاً
جديداً ، ورجع الى حاله قبل أن يقع في بطن الحوت . فمرت به مرة
فكسوه كساءً . فبينما هو ذات يوم نائم ، إذ أوحى الله الى الشمس
أن احرق شجرة يونس ، فأحرقتها . فأصابت الشمس جلده فأحرقته
فقال ، يارب! نجيتني من الظلمات ، ورزقتني ظلَّ شجرة كنت
أستظلُّ بها فأحرقتها ، أفتحرمني يارب؟ وبكى ، فاتاه جبريل عليه
السلام فقال : يا يونس! إن الله تعالى يقول : أنت زرعتهَا أم أنت
أنبتها؟ اقال : لا . قال : فبكاؤك حين تعلم أن الله قد أعطاكها
فكيف دعوت على مائة ألف وزيادة عشرين ألفاً أردت أن تهلكهم؟!
وقال ابن عباس : قال له جبريل : أتبكي على شجرة أنبتها الله لك

(١) يقال : امتطت الشمر : إذا تساقط

(٢) في «ب» من وعول . (٣) أي بركت .

ولا تبكي على مائة ألف أو يزيدون أردت أن تهلكهم في غداة واحدة؟! فعند ذلك عرف يونس ذنبه ، واستغفر ربه فغفر له .

وعن الزهري ، قال . لما قوي يونس ، كان يخرج من الشجرة نينياً وشمالاً ، فأتى على رجل يصنع الجرار ، فقال يونس : يا عبد الله ما عملك ؟ قال : أصنع الجرار وأبيعها وأطلب فيها فضل الله . فأوحى الله الى يونس : أن قل له يكسر جراره ، فقال يونس ذلك له ، فغضب الجرار وقال : إنك رجل سوء ! تأمرني بالفساد وتأمرني أن أكسر شيئاً صنعته وعملته ورجوت خيره . فأوحى الله الى يونس : ألا ترى الى هذا الجرار كيف غضب حين أمرته بكسر ما صنع ؟ وأنت تأمرني بهلاك قومك ! فما الذي يشق عليك أن يصلح من قومك مائة ألف أو يزيدون ! قال الله سبحانه : (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) يعني من المصلين من قبل أن تنزل البلية ، (اللَّيْلِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) [الصفات: ١٤٣] .

قال ابن عباس : من كان ذاكر الله في الرخاء ، ذكره الله في الشدة واستجاب له ، ومن يغفل عن الله في الرخاء وذكره في الشدة ، لم يستجب له . وقال الله تعالى : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ . فقال الله عز وجل : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ

نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿ [الأنبياء : ٨٧] . يقول الله تعالى : كذلك نفعل
بالصالحين ، إذا وقعوا في الخطيئة ، ثم تابوا إليّ ، قبلت منهم .
قال ابن عباس : قال رسول الله ﷺ : « دعا أخي يونس بهذه
الدعوة في الظلمات ، فأنجاه الله . فلا يدعوا بها مؤمن مكروب إلاّ
كشف الله عزّ وجلّ ذلك عنه . إنها عدة من الله لا خلف لها . » (١)



(١) لم أعتز على هذا الحديث من طريق ابن عباس رضي الله عنه كما ذكر المصنف
رحمه الله فيما بين يديّ من المصادر ، وإنما رواه الترمذي ، والنسائي ، والحاكم ، وكثير من
حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ : « دعوة ذي النون إذ دعا ربه وهو
في بطن الحوت : (لا إله إلا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين) لم يدع بها رجل مسلم
في شيء قط إلا استجاب الله له » . قال الحافظ ابن حجر : وهو حديث حسن .

ذكر التوابين من ملوك الامم الماضية

٨ - [نوبة طالوت]

أخبرنا أحمد بن المبارك ، أنا ثابت ، أنا أبو علي بن دوما ، أخبرنا
مخلد بن جعفر ، أنا الحسن بن علويه ، أنا إسماعيل بن عيسى ، أنا إسحاق
ابن بشر ، أنا أبو إلياس ، عن وهب بن منبه : أن داود عليه السلام
لما قتل جالوت ، وانصرف طالوت بيني إسرائيل مظفراً ، فزوج
ابنته من داود وقاسمه نصف ملكه ، واجتمعت بنو إسرائيل ، وقالوا :
نخلع طالوت ونجعل علينا داود فإنه من آل يهوذا وهو أحق بالملك .
فلما أحس طالوت بذلك ، وخاف على ملكه ، أراد أن يغتال داود
فيقتله . فأشار عليه بعض وزرائه : إنك لا تقدر على قتله إلا أن
تساعدك ابنتك . فدخل طالوت على ابنته ، فقال لها : يا بنيّة ! إني
أريد أمراً وأحب أن تساعديني عليه . قالت : وما ذلك ؟ قال : أريد
أن أقتل داود ، فإنه قد فرق عليّ الناس . فقالت : يا أبت ! إن
داود له صولة ، شديد الغضب ، فلست آمن عليك إن لم تستطع قتله ،

(١) في مطبوعة المعهد الفرنسي : بأبوة ، وسنرمز لها فيما بعد بـ «المطبوعة» لأنه لم يطبع سواها .

أن يظفر بك فيقتلك^(١) ، فإذا أنت قد لقيت الله قاتلاً لنفسك مستحلاً لداود ! وعجبٌ منك ومما أعرف من حلمك وسداد^(٢) رأيك ! كيف أسلمك الي هذا الرأي القصير وهذه الحيلة الضعيفة بالتقدم إلى داود ، وأنت تعلم أنه أشدُّ أهل الأرض نفساً وأبسلهم عند الموت ؟! فقال طالوت : إني لأسمع^(٣) قول مفتونة بزواج ، قد منعها حبها إياه أن تقبل من أبيها وتناصحه ، واعلمي أنني لم أدعك الي مادعوتك اليه إلا وقد وطنت نفسي على قطع صهره^(٤) . إما أن أقتلك ، وإما أن تقتليه . قالت : فأمهلني حتى إذا وجدت فرصة أعلمتك .

قال : وأخبرنا جويبر عن الضحّاك عن ابن عباس ، أنّها انطلقت فأخذت زقا ، ثمّ ملأته خمرآ ، ثمّ طيّبته بالمسك والعنبر وأنواع الطيب ، ثمّ أضجعت الزق على سرير داود ولحفته بلحاف داود ، وأفشت الي داود ذلك ، وأدخلته الخدع ، وأعلمت طالوت ، وقالت : هلمّ الي داود فاقتله . فجاء حتى دخل البيت ومعه السيف . ثمّ قالت : هو ذاك ، فشأنك وشأنه . فوضع السيف على قلبه ثمّ اتكأ عليه حتى أنفذه ، فانتضح الخمر ونفح منه ريح المسك والطيب . قال : ياداود ! ما أطيبك ميتاً ، وكنت وأنت حيّ أطيب منك ميتاً ، وكنت طاهراً

(١) في « ب » والمطبوعة : إن ظفر بك فتلك .

(٢) السّدَاد ، بفتح السين : الصواب من القول والعمل ، والاستقامة . وأما سِدَاد القارورة والثغر ، فبالكسر فقط .

(٣) في « ب » والمطبوعة : لأسمع .

(٤) الصيهر : القرابة ، وزوج بنت الرجل ، وزوج أخته . وفي « ب » والمطبوعة : على قطع ظهره .

تقياً! وندم ، فبكى وأخذ السيف فأهوى به الى نفسه ليقتلها ،
 فاحتضنه ابنته وقالت : ياأبت ! مالك؟ قد ظفرت بعدوك وقتلته ،
 وأراحك الله منه ، وصفا لك الملك . قال : ياابنة ! قد علمت أن
 الحسد والغيرة ^(١) حملاني على قتله وصرت من أهل النار ، وإن
 بني إسرائيل لا يرضون بذلك ، فأنا ^(٢) قاتل نفسي . قلت : ياأبت
 أفكان يسرك أن لم تكن ^(٣) قتلته ؟ قال : نعم . قال : فأخرجت داود
 من البيت ، فقالت : ياأبت ! إنك لم تقتله ، وهذا داود ! قال : وندم
 طالوت .

قال إسحاق : وأخبرنا ابن سمعان عن مكحول ، قال ، زعم أهل
 الكتاب أن طالوت طلب التوبة الى الله تبارك وتعالى ، وجعل يلتمس
 التنصّل من ذنوبه ، وانه أتى عجوزاً من عجائز بني إسرائيل كانت
 تحسن لاسم الذي به يدعى الله فيجيب . فقال لها : إني قد أخطأت
 خطيئة لا يخبرني عن كفارتها إلا اليسع ، فهل أنت منطلقة بي الى قبره
 فتدعين الله عز وجل ليبعثه حتى أسأله عن خطيئتي ما كفارتها ؟
 قالت : نعم . فانطلق بها حتى أتى قبره . قال : فصلت ركعتين ثم دعت
 الله عز وجل ، فخرج اليه اليسع ، فقال : يا طالوت ! ما بلغت ^(٤)

(١) في « ب » والمطبوعة : والغبن .

(٢) وفي نسخة : فاني .

(٣) في المطبوعة : إن لم تكن بكسر الهمزة ، وهو خطأ .

(٤) في « ب » : بلغت .

خطيئتك أن أخرجتني من مضجعي الذي أنا فيه ؟! قال : يا نبي الله ! ضاق عليّ أمري فلم يكن لي بد من مسألتك عنه . قال : فإن كفارة خطيئتك أن تجاهد بنفسك وأهل بيتك حتى لا يبقى منكم أحد . ثم رجع إليسع الى مضجعه ، وفعل ذلك طالوت حتى قتل هو وأهل بيته .

٩ - [نوبة ابن ملك من ملوك بني إسرائيل]

أخبرنا أبو المعالي عبد الله بن عبد الرحمن بن صابر السلمي ، أنا أبو القاسم علي بن إبراهيم بن العباس الحسيني ، أنا أبو الحسن رشا ابن نظيف المقرئ ، أنا أبو محمد الحسن بن اسماعيل الضراب ، أنا أبو بكر أحمد بن مروان المالكي ، حدثنا الحارث بن أبي أسامة ، ثنا مروان بن معاوية بن عمرو ثنا أبو بكر العجلي ، ثنا أبو عقيل الدورقي عن بكر بن عبد الله المزني ، قال :

كان رجل من ملوك بني إسرائيل ، قد أعطي طول عمر وكثرة أموال وكثرة أولاد . وكان أولاده إذا كبر أحدهم لبس ثياب الشعر ، ولحق بالجمال ، وأكل من الشجر ، وساح في الأرض حتى يأتيه الموت . ففعل ذلك جماعتهم رجل بعد رجل ثم تتابع بنوه على ذلك .

وأصاب ولداً بعد كبر ، فدعا قومه ، فقال : إني قد أصبت ولداً بعد ما كبرت ، وترون شفقتي عليكم ، وإني أخاف أن يتسع هذا سنة إخوته . وأنا أخاف عليكم إن لم يكن عليكم أحد من ولدي بعدي أن تهلكوا ، فخذوه الآن في صغر سنه ، فحببوا إليه الدنيا ، فعمسى أن يبقی من بعدي عليكم . فبنوا له حائطاً فرسخاً في فرسخ ، فكان فيه دهر من دهره .

ثم ركب يوماً فإذا عليه حائط مصمت، فقال: إني أحسب ان خلف هذا الحائط ناساً وعالماً آخر، فأخرجوني أزدد علماً وألقى الناس فقيل ذلك لأبيه، ففزع وخشي أن يتبع سنة إخوته، فقال: اجمعوا عليه كل لهو ولعب، ففعلوا ذلك.

ثم ركب في السنة الثانية، فقال: لا بد من الخروج. فأخبر بذلك الشيخ، فقال: أخرجوه. فجعل على عجلة وكلل بالزبرجد والذهب وصار حوله حافتان من الناس. فبينما هو يسير إذا هو برجل مبتلى^(١) فقال: ما هذا؟ قالوا: رجل مبتلى^(١). فقال: أيصيب ناساً دون ناس أو كل خائف له؟ قالوا: كل خائف له. قال: وأنا فيما أنا فيه من السلطان؟ قالوا: نعم، قال: أف لعيشكم هذا! هذا عيش كدر. فرجع مغموماً محزوناً، فقيل لأبيه، فقال: انشروا عليه كل لهو وباطل حتى تنزعوا من قلبه هذا الحزن والغم.

فلبث حولاً، ثم قال: أخرجوني، فأخرج على مثل حاله الأول. فبينما هو يسير إذا هو برجل قد هرم، ولعابه يسيل من فيه. فقال: ما هذا؟ قالوا: رجل قد هرم. قال: يصاب ناساً دون ناس أو كل خائف له إن هو عمر؟ قالوا: كل خائف له. قال: أف لعيشكم هذا! هذا عيش لا يصفو لأحد. فأخبر بذلك أبوه، فقال: احشروا عليه كل لهو وباطل. فحشروا عليه.

(١) في المطبوعة: مبتلى، وهو خطأ.

فكث حولا، ثم ركب على مثل حاله . فبينما هو يسير إذا هو .
بسرير تحمله الرجال على عواتقها . فقال : ما هذا ؟ قالوا : رجل مات .
قال لهم : وما الموت ؟ إيتوني به ! فأتوه به . فقال : أجلسوه . فقالوا .
إنه لا يجلس . قال : كلموه . قالوا : إنه لا يتكلم . قال . فأين تذهبون
به ؟ قالوا : ندفنه تحت الثرى . قال : فيكون ماذا بعد هذا ؟ قالوا :
الحشر . قال لهم : وما الحشر ؟ قالوا : (يوم يقوم الناس لرب العالمين)
[المطففين: ٥] ، فيجزى كل واحد على قدر حسناته وسيئاته . قال :
ولكم دار غير هذه تجازون فيها ؟ قالوا : نعم . فرمى بنفسه من الفرس
وجعل يعفر وجهه في التراب ، وقال لهم : من هذا كنت أخشى ! كاد
هذا يأتي عليّ وأنا لا أعلم به ، أمّا وربّ يعطي ويحشر ويجازي ! إن
هذا آخر العهد " بيني وبينكم ، فلا سبيل لكم عليّ بعد هذا اليوم .
فقالوا : لاندعك حتى نردك الى أهلك .

قال : فردوه الى أبيه ، وكاد ينزف دمه . فقال : يا بني ! ما هذا
الجزع ؟ قال : جزعي ليوم يعطى فيه الصغير والكبير مجازاتهما
ما عملا من الخير والشر . فدعا بثياب فلبسها ، وقال : إني عازم في
الليل أن أخرج . فلما كان في نصف الليل ، أو قريبا منه ، خرج . فلما
خرج من باب القصر ، قال : اللهم ! إني أسألك أمرا ليس لي منه
قليل ولا كثير ، قد سبقت فيه المقادير . إلهي ! لوددت أن الماء كان في

(١) في « ب » والطبوعة : آخر الدهر .

الماء، وأن الطين كان في الطين، ولم أنظر بعيني إلى الدنيا نظرة واحدة .
قال بكر بن عبد الله : فهذا رجل خرج من ذنب واحد لا يعلم ماذا
عليه ، فكيف بمن يذنب وهو يعلم ما عليه فيه ، ولا يتحرج ولا يجزع
ولا يتوب !؟

١٠ - [توبة صاحب الخورنق]

أخبرنا عبد الله بن عبد الرحمن، انا علي بن إبراهيم، انا رشأ، انا الحسن
ابن اسماعيل، انا أحمد بن مروان قال : ثنا محمد بن عبد العزيز، ثنا أبي عن
بهرلول بن حسان عن اسحاق بن زياد عن شبيب بن شبة عن خالد بن
صفوان بن الأهم، قال :

إن ملكاً من الملوك خرج إلى الخورنق^(١) والسدير في عام قد بكر
وسميه وتتابع وليه ، وأخذت الأرض فيه زخرفها وزينتها . وكان
قد أعطي بسطة في الملك مع الكثرة والغلبة والقهر . فنظر فأبعد النظر ،
فقال جلسائه : لمن هذا ؟ قالوا : للملك . قال : فهل رأيت أحداً أعطي
مثل ما أعطيت ؟

(١) الخورنق : قصر بالحيرة للنعمان بن الشقيقة بناه رجل يقال له : سينار ، فلما فرغ
من بناءه ، عجبوا من حسنه وإتقانه عمله ، فقال : لو طمت أنكم توفوني أجرني ،
وتصنعون لي ما أستحقه ، لبيتته بناءً يدور مع الشمس حيثما دارت ، فقالوا : وإنك لتبني
ما هو أفضل منه ولم تبته !؟ ثم أمر به فطرح من أعلى القصر .
والسدير : ذكر صاحب «القاموس» أنه نهر بالحيرة ، وقال شارحه : وقيل : السدير :
قصر في الحيرة من منازل آل المنذر وأبيهم ، وذكر الخلاف ياقوت في «معجم البلدان»
فقال : السدير : نهر ، وقيل : قصر قريب من الخورنق كان النعمان الأكبر اغتذ به لبعض
ملوك المعجم . وانظر خبره في «الاخاني» ١٤٥، ١٤٤/٢

قال : وكان عنده رجل من بقايا حملة الحجّة ، ولم تخل الأرض من قائم لله بحجته في عباده : فقال : أيها الملك ! إنك قد سألت عن أمر ، أفتأذن لي بالجواب عنه ؟ قال : نعم : قال أرأيت ما أنت فيه ، شيء لم تزل فيه ، أم شيء صار إليك ميراثاً ، وهو زائل عنك ، وصائر إلى غيرك كما صار إليك ؟ قال : كذلك هو . قال : فلا أراك إلا أعجبت بشيء يسير^(١) لا تكون فيه إلا قليلاً وتنقل عنه طويلاً ، فيكون غداً عليك حساباً . قال : ويحك ! فأين المهرب وأين المطلب ؟ وأخذته القشعريرة^(٢) قال : إما أن تقيم في ملكك فتعمل فيه ببطاعة الله على ماساءك وسرك وأمضك وأرمضك ، وإما أن تنخلع عن ملكك وتضع تاجك وتلقي عليك أطهارك ، وتعبد ربك في هذا الجبل حتى يأتيك أجلك . فقال : إني مفكر الليلة وأوافيك في السحر فأخبرك بأحدى^(٣) المنزلتين .

فلما كان في السحر قرع عليه بابه ، فقال : إني اخترت هذا الجبل وفلوات الأرض وقفر البلاد ، وقد لبست على أمساحي ووضعت تاجي ، فإن كنت رفيقاً فلا تخالف . فلزما والله الجبل حتى أتاهما أجلهما جميعاً . وهو الذي يقول فيه أخو بني تميم عدي بن زيد العبادي^(٤) :

(١) في المطبوعة : أفلا أراك إنما أعجبت بشيء يسير ، وهو خطأ .

(٢) في المطبوعة : الإقشعريرة .

(٣) في المطبوعة : فأخبرك بإحدى .

(٤) هو عدي بن زيد بن حماد بن زيد بن مناة بن تميم ، شاعر فصيح من شعراء الجاهلية =

أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمَعِيرُ بِالذَّهْرِ أَنْتَ الْمَبْرَأُ الْمَوْفُورُ
 أَمْ لَدَيْكَ الْعَهْدُ الْوَثِيقُ مِنَ الْأَيَّامِ بَلْ أَنْتَ جَاهِلٌ مَغْرُورٌ
 مِنْ رَأَيْتَ الْمُنُونَ خَلَدُنْ أَمْ مِنْ ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ خَفِيرُ^(٢)
 أَيْنَ كَسْرَى كَسْرَى الْمَلُوكِ أَنْوَشِرُ وَأَنْ أَمِ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ^(٣)
 وَبَنُو الْأَصْفَرِ الْكِرَامُ مُلُوكُ الرُّومِ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكُورُ
 وَأَخُو الْحَضْرِ إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دَجَلَةُ تُجَبَّى إِلَيْهِ وَالْحَابُورُ^(٤)
 شَادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كُلَّسًا فَلطَّيرٍ فِي ذُرَاهُ وَكُورُ
 لَمْ يَهَبْ رَيْبُ الْمُنُونِ فَبَادَ الْمَلِكُ عَنْهُ فَبَابَهُ مَهْجُورُ

= ولا يبعد من الفحول ، قال ابن قتيبة : وكان يسكن الحيرة ، ويدخل الأرياف ، فشغل لسانه ، واحتمل عنه شيء كثير جداً ، وعلماؤنا لا يرون شعره حجة ، وله أربع قصائد غرر . انظر ترجمته في «الأغاني» ٩٧/٢ ، ١٥٦ « والحزانة » ١٨٣/١ ، ١٨٦ للبغدادي ، ومعاهد «التنصيص» ١٣٩ ، ١٤٥ ، و«الشعر والشعراء» ١٧٦/١ ، ١٨٠ . (١) الأبيات في «الشعر والشعراء» ١٧٦/١ ، ١٧٧ ، و«الأغاني» ١٣٨/٢ ، ١٣٩ ، و«حماسة البحري» ٨٦ ، ٨٧ .

(٢) في «اللسان» مادة : من : عزين ، بدل «خلدن» والمنون : الموت ، وقيل : الدهر ، وقد جعله عدي بن زيد جمعاً ، وأورد هذا البيت ، وفي «معاهد التنصيص» ١٤١ جازته ، بدل : خلدن

(٣) في «الشعر والشعراء» : أبو ساسان . وسابور الجنود هو ابن أردشير ، وسابور ذو الاكتشاف وهو سابور بن هرمز ، وكلاهما من ملوك العجم قبل كسرى أنوشروان .

(٤) في المطبوعة : تحيا ، بدل ، «تجبي» . والحضر ، بفتح الحاء وسكون الضاد : مدينة بازاء تكريت بينها وبين الموصل والفرات ، كانت مبنية بالحجارة المهندمة بيوتها وسقوفها وأبوابها .
 والحابور : اسم لنهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة .

وتذكر رب الخورنق إذا شرف يوماً وللهدى تفكير^(١)
 سره ماله وكثرة ما يملك والبحر معرضاً والسدير^(٢)
 فأرعى قلبه وقال وما غبطة حيا إلى الممات يصير^(٣)

١١ - [نوبة النعمان بن امرئ القيس الأكبر]

قال أحمد بن مروان : وحدثنا أحمد بن يوسف حدثنا محمد بن سلام الجمحي عن الأصمعي أن النعمان بن امرئ القيس الأكبر ، وهو الذي بنى الخورنق ، ركب يوماً فاشرف على الخورنق ، فنظر الى ماحوله فقال لمن حضره : هل علمتم أحداً أوتي مثل ما أوتيت ؟ فقالوا : لا ، إلا رجل منهم ساكت لا يتكلم ، وكان من حكمائهم . فقال له : مالك لا تتكلم ؟ فقال : أيها الملك ، إن أذنت لي تكلمت . فقال : تكلم . قال : أرأيت ما جمعت ، شيء هو لك لم يزل ولا يزول ، أم هو شيء كان لمن كان قبلك وزال عنه وصار إليك وكذلك يزول عنك ؟ قال : لا بل كان لمن قبلي فزال عنه وصار إليّ وكذلك يزول عني . قال : فسررت بشيء تزول

(١) في «الشعر والشعراء» : « وتبين » ، وفي « شعراء الجاهلية » : « وتفكر » .

(٢) معرضاً بمعنى متسع ، ومنه : أعرض الثوب ، أي اتسع وعرض .

(٣) وبعد هذا البيت .

ثم بعد الفلاح والملك والإ
 ثم صاروا كأنهم ورق جفف فألوت به الصبا والدبور

عك لذته غداً وتبقى تبعته عليك؟! تكون فيه قليلاً وترتهن فيه كثيراً طويلاً؟! !

قال : فبكى وقال له : أين المهرب ؟ قال : الى أحد أمرين : إما أن تقيم فتعمل بطاعة ربك ، وإما أن تلقي عليك أمساحاً ، ثم تلحق بجبل وتفر من الناس وتقيم وحدك وتعبد ربك حتى يأتيك أجلك . قال : فاذا فعلت ذلك فما لي ؟ فقال : حياة لاتموت ، وشباب لا يهرم ، وصحة لاتسقم ، وملك جديد لا يبلى . فقال له : أيها الحكيم ! فكل ما أرى الى فناء وزوال ؟ قال : نعم . قال : فأبي خير فيما يفنى ؟ والله لأطلبن عيشاً لا يزول أبداً .

قال : فانخلع من ملكه ولبس الأمساح وسار في الارض . وتبعه الحكيم ، فعبدا الله جميعاً حتى ماتا . وهو الذي يقول فيه عدي بن زيد الشاعر :

وَقَدْ كَرَّرْتُ الْخَوْرَنَقَ إِذْ أَشْرَفَ يَوْمًا وَلِلْهُدَى تَفْكِيرُ
سِرَّةُ مَالِهِ وَكَثْرَةُ مَا يَمْلِكُ وَالْبَحْرُ مُعْرَضًا وَالسِّدْرُ
فَارْعَوَى قَلْبُهُ فَقَالَ وَمَا غَيْبُ طَةَ حَيٍّ إِلَى الْمَمَاتِ يَصِيرُ

وفيهم يقول الأسود بن يعفر^(١) :

مَاذَا أَوْمَلُ بَعْدَ آلِ مُحَرَّقٍ تَرَكَوَامَنَّا زَلَّهُمْ وَبَعْدَ إِيَادٍ^(٢)
أَهْلَ الْخَوَرَنْقِ وَالسَّيْرِ وَبَارِقٍ وَالْقَصْرِي الشُّرْفَاتِ مِنْ سِنْدَادٍ^(٣)
تَزَلُّوا بِأَنْقُرَةَ يَسِيلُ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْفُرَاتِ يَجِيُّ مِنْ أَطْوَادٍ^(٤)
أَرْضٌ تُخَيِّرُهَا لِطَيْبٍ مَقِيلِهَا كَعَبُّ بْنُ مَامَةَ وَأَبْنُ أُمِّ دُوَادٍ^(٥)
جَرَّتِ الرِّيحُ عَلَى مَحَلِّ دِيَارِهِمْ فَكَأَنَّهَا كَانُوا عَلَى مِيعَادٍ^(٦)

(١) هو الأسود بن يعفر بن عبد الأسود بن جندل بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم وهو أحد العشي هو أعشى بني نهشل يكنى أبا الجراح شاعر جاهلي مقدم فصيح فحلل كان ينادم النعمان بن المنذر ، ولما أسن كف بصره .

(٢) الأبيات من قصيدة طويلة رائعة لاحقة بأول الشعر، معدودة من مختار أشعار العرب وحكها، وهي في «المفضليات» : ٢١٦ ، ٢٢٠ ، و«منتهى الطلب» ٨١/١ ، ٨٢ ، و«شعراء الجاهلية» ٤٨٠ ، ٤٨٣ .

(٣) سنداد : نهر أسفل من الحيرة بيننا وبين البصرة ، وقال الأنباري : «سنداد» الرواية بكسر السين إلا أن أحمد أنشد فيه بالفتح ، وسألت ثعلباً عنها فلم يعرف غير الكسر .

(٤) أنقرة : بكسر القاف وبضمها : بلد بالحيرة بالقرب من الشام وهي غير أنقرة التي في بلاد الروم . الأطواد : الجبال .

(٥) في «المفضليات» أرضاً تخيرها لدار أبيهم . وكعب بن مامة هو الإبادي أحد أجواد العرب في الجاهلية وابن أم دؤاد نقل الأنباري عن أحمد بن عبيد أنه يعني به أبا دؤاد الإبادي وهو الشاعر المعروف .

(٦) البيت في وقعة صفين : ١٥٩ تمثل به الحر بن قيس وهو ينظر إلى آثار كسرى ، =

فَأَرَى النَّعِيمَ وَكُلَّ مَا يُلْهِي بِهِ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى بَيْلِي وَنَفَادٍ^(١)

١٢ - [نوبة ملك من الملوك]

وذكر محمد بن أحمد بن البراء في كتاب «الروضة» قال: حدثنا أحمد ابن إبراهيم ثنا جوير^(٢) بن أسماء عن أبي معدان عن عون بن عبد الله ابن عتبة قال: حدثتُ عمر بن عبد العزيز بحديث، فكان معناه وقع منه، حدثته أن ملكاً ممن كان قبلنا ابتنى بنية^(٣) فتتوق في بنائها. ثم صنع طعاماً ودعا الناس إليه، وأقعد على أبوابها ناساً يسألون كل من خرج: هل رأيتم عيباً؟ فيقولون: لا، حتى جاء ناس في آخر ما جاء، عليهم أكسية، فسألوهم: هل رأيتم عيباً؟ قالوا: عيبين اثنين. قال: فحبسوهم، ودخلوا على الملك فقالوا: قد دخل الناس فسألناهم، فذكروا أنهم لم يروا عيباً، حتى جاء قوم عليهم أكسية - أظنه قال: شباب - فسألناهم، فقالوا: رأينا عيبين اثنين. قال: ما كنت أَرْضَى بواحد،

= فقال له علي بن أبي طالب، رضي الله عنه: أفلا قلت: (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم، ونعمة كانوا فيها فاكهين، كذلك وأورثناها قوماً آخرين، فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين) [الدخان: ٢٥-٢٩] [إن هؤلاء كانوا وارثين، فأصبحوا موروثين، إن هؤلاء لم يشكروا النعمة فسلبوا دينهم بالمعصية، إياكم وكفر النعم لا تحل بكم النعم.

(١) في «المفضليات»: فاذا النعيم.

(٢) في «ب» و«المطبوعة»: جويرية.

(٣) في «ب»: مدينة.

فأتسوني بهم قال : فادخلوهم عليه . قال : هل رأيتم عيباً ؟ قالوا :
عيبين اثنين . قال : وما هما ؟ قالوا : تخرب ويموت صاحبها . قال :
وهل تعلمون داراً لا تخرب ولا يموت صاحبها ؟ [قالوا : نعم ، قال :
وما هي ؟ قالوا : دار الآخرة] ^(١) قال : فدعوه ، فاستجاب لهم .
قال : فقال لهم : إن جئت معكم علانية لم يدعني أهل مملكتي ، ولكن
ميعادكم موضع كذا وكذا . قال : فكان معهم زماناً . ثم قال لهم ذات
يوم : عليكم السلام . قال : فقالوا : ما لك ؟ أرايت منّا شيئاً تكرهه ؟
قال : لا . قالوا : فما حملك على هذا ؟ قال : أنتم تعرفوني فأنتم تكرمونني
لحالي التي كنت عليها . قال : فكان معناه وقع من عمر موقعاً . فذهبت
إلى مسلمة فأخبرته . قال : فدخل مسلمة على عمر وقد كان حدثه بهذا
الحديث . قال : فقال : ويحك يا مسلمة ! أرايت رجلاً حملاً ما لا يطيق
ففرّ إلى ربه عزّ وجلّ ، فهل ترى عليه بذلك بأساً ؟ قال :
فاتق الله ^(٢) ، يا أمير المؤمنين في أمة محمد ﷺ ، فوالله لئن فعلت ليقنتلن
بأسيا فمهم . قال : ويحك يا مسلمة ! حمّلت ما لا أطيع ! فردّها ،
وجعل مسلمة يناشده حتى سكن .

(١) ما بين الملقين سقط من « ب » والمطبوعة ، ولا يستقيم المعنى بدونها .

(٢) في « أ » تقى ، وفي « ب » والمطبوعة : بنق .

وروى المرزباني عن الأزدي ، قال : كان امرؤ القيس الكندي ، وهو مخرق الأول ، طويل المصاحبة للهو واللذات ، كثير العكوف على اللعب . فركب يوماً إمّا متبدياً وإمّا متصيّداً ، فانقطع عن أصحابه . فإذا هو برجل جالس قد جمع عظاماً من عظام الموتى وهي بين يديه يقلّبها . فقال : ما قصّتك أيها الرجل وما بلغ بك إلى ما أرى من سوء الحال وشسوف الجسم ^(١) وتلويح اللون والانفراد في هذه الفلاة؟ فقال : أمّا ذلك فلأني على جناح سفر بعيد ، وبني موكلان مزعجان يحدوان بي إلى منزل ضنك المحلّ ، مظلم القعر ، كرية المقرّ . ثمّ يسلماني إلى مصاحبة البلى ومجاورة الهلكى تحت أطباق الثرى . فلو تُرُكتُ بذلك المنزل مع جفائه وضيقه ووحشته ، وارتعاه خشاش ^(٢) الأرض في لحمي وعصي حتى أعود رفاتاً وتصير أعظمي رمماً ، كان للبلاء ^(٣) انقضاء وللشقاء نهاية ؛ ولكنني أذفَعُ بعد ذلك إلى صيحة الحشر وأرد لهول مواقف الجزاء . ثمّ لا أدري إلى أيّ الدارين

(١) شسوف الجسم : يبسه ضمراً ومزالاً . وفي المطبوعة : شسوف . والشسوف : محول الجسم من الهم والوجد .

(٢) في المطبوعة : وارتمى أحناش . وخشاش الأرض : حشراتنا والمصافير ونحوها .

(٣) في المطبوعة : اللبلى .

يؤمري . فأيّ حال يلتذّ به من يكون إلى هذا الأمر مصيره ^(١) .
 فمّا سمع الملك كلامه ألقى نفسه عن فرسه وجلس بين يديه ، وقال :
 أيها الرجل ! لقد كدّر مقالك عليّ صفو عيشي ، وملك الاشفاق قلبي ،
 فأعد عليّ بعض قولك و اشرح لي دينك ^(٢) . فقال له : أما ترى هذه
 التي بين يديّ ؟ قال : بلى . قال : هذه عظام ملوك غرّتهم الدنيا بزخرقها ،
 واستحوذت على قلوبهم بغرورها . فألهتهم عن التأهب لهذه المصارع
 حتى فاجأتهم الآجال وخذلتهم الآمال وسلبتهم بهاء النعمة . وستنشر هذه
 العظام فتعود أجساداً ، ثم تجازى بأعمالها ، فإما إلى دار القرار ، وإما
 إلى محلّ البوار .

ثمّ اختلس ^(٣) الرجل فلم ير له أثر . وتلاحق أصحاب الملك ،
 وقد امتقع لونه وتواصلت عبراته وركب وقيداً ^(٤) . فلما جنّ ^(٥)
 عليه الليل ، نزع ما عليه من لباس الملك ، ولبس طمرينين ، وخرج
 تحت الليل ، فكان آخر العهد به .

(١) في المطبوعة : صيوره .

(٢) في المطبوعة : ذنك .

(٣) في « ب » : التمس ، وفي المطبوعة : انلس .

(٤) في الأصل : وقيداً ؛ وفي كتب اللغة : والوقيد من الرجال : البطيء الثقيل ، كأن نقه
 وضعفه وقده ، والوقيد والموقود : الشديد المرض الذي قد أشرف على الموت ، وقد
 وقده المرض والغم . والوقيد : الذي يفشى عليه لا يدري أميت أم لا ؟

(٥) في المطبوعة « جن » بضم الجيم على البناء للمجهول وهو خطأ . قال تعالى في
 [سورة الانعام : ٧٦] (فلما جنّ عليه الليل) ولا يقال « جنّ » إلا لفائد العقل .

١٤ - [نوبة ملك من ملوك اليمن]

وروي أنه احترب ملكاً من ملوك اليمن، فغلب أحدهما صاحبه وقتله وشرّد أصحابه ، وزينت له السرر ودار الملك ، وتلقاه الناس ليدخل . فبينما هو في بعض السكك يقصد دار الإمارة بها ، وقف له رجل كان ينسب للجنون ، فأنشده :

تَسْمَعُ مِنَ الْأَيَّامِ إِنْ كُنْتَ حَازِمًا فَإِنَّكَ فِيهَا بَيْنَ نَاهِ وَأَمِيرِ
فَكَمْ مَلِكٍ قَدَرُكُمْ التُّرْبُ فُوقَهُ وَعَهْدِي بِهِ بِالْأَمْسِ فُوقِ الْمُنَابِرِ
إِذَا كُنْتَ فِي الدُّنْيَا بَصِيرًا فَإِنَّهَا بِلَاغِكَ مِنْهَا مِثْلُ زَادِ الْمُسَافِرِ
إِذَا بَقِيَ الدُّنْيَا عَلَى الْمَرْءِ دِينَهُ فَمَا فَاتَهُ مِنْهَا فَلَيْسَ بِضَائِرِ

فقال له : صدقت، ونزل عن فرسه، وفارق أصحابه ، وركب الجبل وأقسم على أصحابه أن لا يتبعه أحد ، فكان آخر العهد به . وبقيت اليمن شاغرة أياماً حتى اختير لها من عقدوا له الملك عليها .

١٥ - [نوبة ملك من ملوك بني إسرائيل]

وقرأت في « الملتقط » عن عبد الواحد بن زيد ، قال : كان في بني إسرائيل عابد لم يكن له إلا جبة صوف وقربة يستقي^(١) فيها الماء

(١) في المطبوعة : يستقي .

للناس . فلما حضره الموت، قال لأصحابه : إني لم أدع من الدنيا شيئاً إلا جيتي وهذه القربة ما أطيق حملها يوم القيامة ، فإذا مت فادفعوها إلى فلان الملك ليحملها مع ما تحمّل من دنياه . فلما مات العابد أخبروا الملك بما قاله . فقال الملك : هذا العابد عجز عن حمل جبة وقربة وأنا تحمّلت من الدنيا ما تحمّلته ! فأخذ الجبة فلبسها وأخذ القربة وخرج من ملكه فجعل يستقي للناس الماء ^(١) .

★ ★ ★

١٦ - [نوبة ملك من ملوك بني إسرائيل]

أخبرنا شيخ الإسلام محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح ابن عبد الله الجيلي ^(٢) أخبرنا أبو بكر أحمد بن المظفر بن سوسن التمار ، أنا أبو علي بن شاذان ، أنا أبو بكر محمد بن العباس بن نجیح البرّاز ، ثنا يعقوب بن يوسف القزويني ، ثنا محمد بن سعيد ، ثنا عمرو بن أبي قيس ، عن سماك ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن أبيه عن عبد الله بن مسعود ، عن رسول الله ﷺ ، قال :

«إن بني إسرائيل استخلفوا خليفة عليهم بعد موسى ، فقام يصلي في القمر فوق بيت المقدس . قال: فذكر أموراً كان يصنعها . قال : فخرج فتدلى بسبب ، فأصبح السبب متعلقاً في المسجد وقد ذهب .

(١) كتب هنا في الأصل «أ» : آخر الجزء الأول من الأصل .

(٢) ويقال له : الجيلاني ، والكيلاني ، وهو الشيخ عبد القادر الجيلاني المشهور شيخ المصنف رحمه الله من كبار الزهاد ، اشتهر بالفقه والوعظ ، ولد في جيلان (وراء طبرستان) (٧١ هـ) وانتقل إلى بغداد ، كان يأكل من عمل يده ، توفي رحمه الله (٥٦١ هـ) .

قال : فانطلق حتى أتى قوماً على شاطئ البحر بديار مصر ، فوجدهم يصنعون لَبِيناً^(١) فسألهم كيف يأخذون هذا اللَّبِين؟ قال : فأخبروه فلبن معهم . وكان يأكل من عمل يده ، فإذا كان حين الصلاة تطهر فصلّى ، فرفع ذلك العمال إلى قهرمانهم^(٢) ان فينا رجلاً يفعل كذا وكذا ، فأرسل إليه ، فأبى أن يأتيه ثلاث مرّات . ثمّ إنه جاءه بنفسه يسير على دابته فلما رآه فرّ ، واتّبعه فسبقه ، فقال : أنظرني أكلّمك . قال : فقام حتى كلّمه ، فأخبره خبره . فلما أخبره خبره ، وأنّه كان ملكاً ، وأنّه فرّ من رهبة ربّه عزّ وجلّ ، قال : إني لأظنّ أني لاحق بك . قال : فلحقه ، فعبد الله عزّ وجلّ حتى ماتا ب « رميلة » مصر . قال عبد الله : إني لو كنت ثمّ لاهتديت إلى قبريهما من صفة رسول الله ﷺ التي وصف .

١٧ - [توبة رجل من بني إسرائيل لأن يعبد الأصنام]

أخبرنا أبو العباس بن المبارك قال : أخبرنا أبو المعالي بن بندار ، قال : أخبرنا أبو عليّ النعمانيّ ، أخبرنا مخلد بن جعفر الباقريّ ، أنا الحسن ، أنا إسماعيل بن عيسى ، أنا إسحاق بن بشر ، أنا عليّ بن عاصم ، عن داود بن أبي هند ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال :

كان في بني إسرائيل عابد قد أعجبوا به ، فذكروه يوماً عند

(١) ويجمع أيضاً على لَبِينٍ مثل فَخِيذٍ ، وفَخِيذٌ ، وكَرَشٌ ، وكَرَشٌ ، وهو المضروب من الطين رباعاً ، واحده : لَبِينَةٌ ، ولَبِينَةٌ ، وهي التي يبنى بها ، ولبن اللبن : عمله .
(٢) وهو : رئيس القوم .

نبيهم ، فاثنوا عليه ، فقال : إنه لكذا تقولون ، لكنه تارك لشيء من السنّة^(١) فبلغ العابد ، فقال : فعلام أدّيب نفسي !

قال : فهبط من مكانه فأتى النبيّ وعنده الناس ، والنبيّ لا يعرفه بوجهه . فسلم عليه ، ثمّ قال : يا نبيّ الله ! بلغني أنّي ذكرتُ عندك فقلت : إنه لكذلك ، لولا أنّه تارك لشيء من السنّة ، ففيم أدّيب نفسي بالليل والنهار وأعتزل^(٢) الناس ، وإنّما أطلب سنّة الرب عز وجلّ ! قال : أنت فلان ؟ قال : نعم . قال : أما والله ما هو شيء أحدثته في الإسلام ولكنك لم تتزوج . قال له العابد : وليس إلا هذا ؟ قال : لا . قال : فلما رأى النبيّ استهانتته قال : رأيت لو فعل الناس مثل الذي فعلت من كان يتقي العدو عن المسلمين ، ومن كان يأخذ للمظلوم من الظالم ؟^(٣) قال : وذكر الصلاة . قال له العابد : صدقت ، يا نبيّ الله ! ما أحرّمه ، ولكنني أكره أن أتزوج امرأة مسلمة وأنا فقير فأعضلها ، وليس عندي ما أنفق عليها ، وأما الأغنياء فلا يزوجوني .

(١) في «ب» والمطبوعة زيادة كلمة « يعني » بعد قوله : « من السنّة » ولا معنى لها هنا .

(٢) في «ب» والمطبوعة : واعتزالي .

(٣) وهذا يدل على مدى حرص نبي بني اسرائيل على الزواج الذي هو سنة الكون ، وسنة الأنبياء والمرسلين ، وأن البعد عنه سبب لتقليل عدد المسلمين ، وقد جاء القرآن الكريم بالحث عليه والترغيب فيه ، وأحاديث رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم في الأمر به للقادر والترغيب فيه كثيرة جداً ، وكل ما روي من الاحاديث في الترهيب من النكاح والبعد عنه ، فغير صحيح .

فقال له النبيّ : ما بك إلا هذا؟ قال ، فإني إلا هذا . قال : أنا أزواجك ابنتي . قال : قد فعلت . قال : فزوجّه ، فولدت له غلاماً . قال ابن عباس : فوالله ما ولد في بني إسرائيل مولود ذكر قطّ كانوا أشد فرحاً به من ذلك الغلام . قال ، قالوا : ابن نبيّنا وابن عابدنا ! إننا لنرجو أن يبلغ بنا ما بلغ رجل^(١) . قال : فلما بلغ الغلام انتقطع إلى عبدة الأوثان ، وانقطعوا إليه ، وكثروا عنده . قال : فبينما هم عنده يوماً ، إذ قال : إنني أراكم كثيراً ، فما بال هؤلاء القوم قاهرين لكم^(٢) ؟ فقالوا : إن لهم رأساً يجمعهم وليس لنا رأس . قال : فما يمنعكم إلا هذا؟ قالوا : نعم . قال : فإنا رأسكم . قالوا : وتفعل؟ قال : نعم . قال : فخرج وخرجوا معه . قال : فبلغ ذلك النبيّ وبلغ أباه ، فاجتمع بنو إسرائيل إلى النبيّ وأبوه معهم ، فأرسل إليه يذكره بالله ، وأن يرجع إلى الإسلام ، فأبى . فخرج إليه النبيّ ، وخرج أبوه معه ، فالتقى القوم واقتتلوا حتى كثرت الدماء فيهم ، وقتل النبيّ وقتل أبوه مع النبيّ . وانهمز بنو إسرائيل ، واتبعهم يفتنهم ويبعث في آثارهم يقتلهم . قال : فلحق أحبارهم بالجمال ، واستقام له الناس . قال : فجعلت نفسه لا تدعه^(٣) وظنّ أن ذلك الملك لا يستقيم له حتّى يفني بني إسرائيل . قال : فجعل

(١) وعلّ هامش «أ» نسخة : أن يبلغ منا ما بلغ رجل .

(٢) في «أ» و «ب» والمطبوعة زيادة كلمة « يعني » هنا في المكانين ، ولا

معنى لها .

يبعث في طلبهم في الجبال يقتلهم ، فاستقام له الناس ، واشتد ملكه .
فلما رأى أحبارُ بني إسرائيل ما يفعل بهم ، قالوا: خَلِينَا عَنْ هَذَا
الرَّجُلِ وَعَنْ مَلِكِهِ وَليْسَ يَدَعُنَا ! لَقَدْ بَوَّأْنَا^(١) بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ، فَرَرْنَا
عَنْ نَبِيِّنَا وَعَابَدْنَا حَتَّى تَمُتُوا وَلَيْسَ يَدَعُنَا ، فَتَعَالَوْا نَتُوبْ إِلَى اللَّهِ
عِزًّا وَجَلًّا وَنَلْقَى هَذَا الرَّجُلَ فَنُقَاتِلَ وَنَحْنُ نَائِبُونَ . قَالَ : فَوَلَّوْا رِجْلًا
مِنْهُمْ أَمْرَهُمْ ، وَبَايَعُوا لَهُ ، وَهَبَطُوا وَقَدْ وَطَّنُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى الْمَوْتِ ،
وَتَابُوا إِلَى اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا . قَالَ : فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ ، فَاقْتَتَلُوا أَوَّلَ يَوْمٍ مِنْ
أَوَّلِ النَّهَارِ حَتَّى حَالَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ . ثُمَّ غَدَاوا فَاقْتَتَلُوا حَتَّى كَثُرَ
الدَّمَاءُ فِي الْفَرِيقَيْنِ ، حَتَّى حَالَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَغَدَا
الْيَوْمَ الثَّلَاثَ وَقَدْ صَبَّرُوا أَنْفُسَهُمْ لِلَّهِ فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا . وَقَالَ لَهُمْ
صَاحِبُهُمْ : إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ تَابَ عَلَيْكُمْ وَقَمَلْتُ تَوْبَتَنَا ، فَإِنِّي
أَرَى الصَّبْرَ قَدْ أَنْزَلَ عَلَيْنَا ، وَصَارَتِ الرِّيحُ لَنَا ، فَإِن ظَفِرْتُمْ بِهِ ، فَإِن
اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَأْخُذُوهُ سَلِيمًا فَلَا تَقْتُلُوهُ . قَالَ : فَاقْتَتَلُوا إِلَى قَرِيبٍ مِنَ اللَّيْلِ ،
لَاهُوْلَاءِ يَفْرَوْنَ وَلَا هُوْلَاءِ يَهْرَبُونَ . فَلَمَّا كَانَ فِي آخِرِ النَّهَارِ وَعَرَفَ اللَّهُ
مِنْهُمْ الصِّدْقَ ، أَنْزَلَ عَلَيْهِمُ النَّصْرَ ، فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَقَتَلُوهُمْ ، وَأَخْذُوهُ
سَلِيمًا فَاتَّوَأ بِهِ . قَالَ : فَاجْتَمَعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى صَاحِبِهِمْ ، فَقَالَ لَهُمْ :
مَا جَزَاءُ رَجُلٍ مِنْ أَنْفُسِنَا قَتَلَ نَبِيَّنَا وَقَتَلَ وَالِدَهُ وَأَدْخَلَ عَلَيْنَا عِبْدَةَ
الْأَوْثَانِ حَتَّى قَتَلُونَا وَشَرَّوْنَا فِي الْبِلَادِ ؟ فَجَاوَبُوا يَقُولُ : أَحْرَقُوهُ !

(١) أي رجعنا .

وقائل يقول : قطعوه ! وقائل يقول : عذّبوه ! فكلّموا قالوا له شيئاً من هذا قال : هذا يأتي على نفسه . قالوا : فانت أعلم . قال : فإنّي أرى أن ناخذه فنصلبه حيّاً ولا نطعمه ولا نسقيه ولا نقتله ونَدَعُه حتّى يموت . قالوا له : افعل . فصُلب حيّاً وجعلوا عليه الحرس . قال : فمكث يومه ومن الغد واليوم الثالث حتّى أمسى ، فلما أمسى رأى الموت . فدعا ^(١) آلهته التي كان يعبد من دون الله عزّ وجلّ . قال : فبدأ بأفضلها في نفسه ، فيدعوه ، فإذا لم يجبه جاوزه ، ودعا الآخر . فأتى على آلهته جميعاً يدعوم فلا يجيبونه ، وذلك في جوف الليل . قال : اللهمّ إله جدّي وأبي ! إني قد ظلمت نفسي ودعوتُ هذه الآلهة التي كنت أعبدُها من دونك ، فلو كان عندها خير لأجابتنّي ، فاغفر لي وخلصني مما أنا فيه . فتمحلّلت عنه العُقْدُ فإذا هو في أسفل الجذع .

وفي حديث آخر ، قال : فجعل يدعو صنماً صنماً ، فلا يجيبه ^(٢) أحد . قال : فنظر إلى السماء وقال : يا حنّان ! يا منّان ! أشهد أنّ كلّ معبود من لدن عرشك إلى قرار أرضك باطل إلا وجهك الكريم أنت فأعثنّي . قال : فبعث الله عزّ وجلّ ملكاً ، فحلّه عن خشبته فأنزله . قال ابن عباس : فأخذه الحرس فأتوا به صاحبهم ، واجتمع بنو إسرائيل ، فقال : ماتأمرون في هذا ؟ قالوا : ما ترى فيه ، الله عزّ

(١) في «أ» و«ب» : دعا .

(٢) في المطبوعة : لا يجيبه .

رجل حله وتقول لنا : ماتأمرون فيه ! قال : صدقتم ، ولكن أحببت
أن أستأمركم . قال : فخلّوا عنه .

قال سعيد بن جبير : سمعت ابن عباس يقول : والله ما كان في بني
إسرائيل بعده رجل خيراً^(١) منه ولا أفضل .

١٨ - [نوبة ملك من الملوك]

أخبرنا الإمام أبو الحسين عليّ بن عساكر بن المرّحب البطائحيّ
المقرئ ، أنبأ أبو طالب اليوسفي ، أنبأ ابن المذهب ، أنبأ أبو بكر
القطيعي ، ثنا عبد الله بن أحمد ، ثنا هديبة ، ثنا حماد بن سلمة ، عن
ثابت وحמיד ، عن بكر بن عبد الله المزنيّ ، قال :

كان فيمن كان قبلكم ملك ، وكان متمرداً على ربه عزّ وجلّ ،
فغزاه المسلمون فأخذوه سليماً ، فقالوا : بأيّ قتلة نقتله ؟ فأجمع رأيهم على
أن يجعلوا له قمماً^(٢) عظيماً ، ويؤججوا^(٣) تحته النار ، ولا يقتلوه حتى
ينذيقوه طعم العذاب . ففعلوا ذلك به . قال : فجعل يدعو آلهته واحداً
واحداً : يا فلان ! بما كنت أعبدك به وأصليّ لك وأمسح وجهك ، فأنقذني
مما أنا فيه . فلما رأهم لا يغنون عنه شيئاً ، رفع رأسه إلى السماء ، وقال :
لا إله إلا الله ! ودعا مخلصاً ، فصبّ الله عليه مشعباً من السماء^(٤) فأطفا

(١) في المطبوعة : جبر ، وهو خطأ .

(٢) القمم : الجرة ، وضرب من الأواني ، وما يسخن فيه الماء من نحاس وغيره ،
ويكون ضيق الرأس .

(٣) في نسخة : ويمشوا ، بمعنى يوقدوا .

(٤) الشعب : مسيل من الماء .

تلك النار ، وجاءت ريح فاحتملت ذلك القمقم فجعلت تدور بين السماء والأرض ، وهو يقول : لا إله إلا الله ! فخذفه الله إلى قوم لا يعبدون الله عز وجل وهو يقول : لا إله إلا الله ! فاستخرجوه فقالوا : ويحك ! ما لك ؟ فقال : أنا ملك بني فلان ، كان من أمري ، وكان من أمري " . فقص عليهم القصة فآمنوا .

١٩- [نوبة الملك كنعان]

أخبرنا أحمد بن المبارك ، أنا ثابت ، أنا أبو علي بن دوما ، أنا مخلد ، أنا الحسن ، ثنا إسماعيل بن عيسى ، أنا إسحاق بن بشر قال : وحدثت عن ابن سمعان عن بعض أهل العلم بالكتب :

أنّ ذا الكفل كان إليسع بن خطوب الذي كان مع إلياس ، وليس باليسع الذي ذكر الله تبارك وتعالى في القرآن ، وإليسع ذو الكفل كان قبل داود . وذلك أن ملكاً جبّاراً يقال له : كنعان ، وكان لا يُطاق في زمانه لظلمه وطغيانه ، وكان ذو الكفل يعبد الله سرّاً منه ، ويكتم إيمانه وهو في مملكته . ف قيل للملك : إن في مملكتك رجلاً يفسد عليك أمرك ويدعو الناس إلى غير عبادتك ، فبعث إليه ليقتله ، فأُتي به . فلما دخل عليه ، قال له الملك . ما هذا الذي بلغني عنك أنك تعبد غيري ؟ فقال له ذو الكفل : اسمع مني وتفهم ولا تغضب ، فإن

(١) في المطبوعة : وكان من أخذي .

الغضب عدو للنفس يحول بينها وبين الحق ويدعوها الى هوانها ،
وينبغي لمن قدر ألا يغضب ، فإنه قادر على ما يريد . قال : تكلم . قال :
فبدأ ذو الكفل وافتتح الكلام بذكر الله عز وجل ، والحمد لله ، ثم
قال ذو الكفل : أترعم أنك إله ؟ فإنه من تملك ؟ أو إله جميع الخلق ؟
فإن كنت إله من تملك ، فإن لك شريكاً فيما لا تملك ، وإن كنت إله
الخلق ، فمن إلهك ؟ قال له : ويحك ! فمن إلهي ؟ قال : إله السماء
والأرض وهو خالقها وهذه الشمس والقمر والنجوم ، فاتق الله
واحذر عقوبته ، فإن أنت عبدته ووحّدته رجوت لك ثواباً والخلود
في جواره . قال له الملك : أخبرني ، من عبد إلهك فما جزاؤه ؟ قال :
الجنة إذا مات . قال : وما الجنة ؟ قال : دار خلقها الله تبارك وتعالى
بيده ، فجعلها مسكناً لأوليائه ، يبعثهم يوم القيامة شباباً مردأً أبناء
ثلاث وثلاثين سنة ، فيدخلهم الجنة في نعيم وخلود . شباب لا يهرمون ،
مقيمون لا يظعنون ، أحياء لا يموتون ، في نعيم وسرور وبهجة . قال :
فما جزاء من لم يعبده وعصاه ؟ قال : النار ، مقرّونين مع الشياطين ،
مغلغلين بالأصفا ، لا يموتون أبداً ، في عذاب مقيم وهوانٍ طويل ،
تضربهم الزبانية بمقامع من حديد ، طعامهم الزقوم والضريع ، وشراهم
الحميم . فرق الملك وبكى لما كان قد سبق له . فقال له : إن أنا آمنت
بالله فما لي ؟ قال : الجنة . قال : فمن لي بذلك ؟ قال : أنا لك الكفيل ،
وأكتب لك على الله تبارك وتعالى كتاباً ، فإذا أتيتته تقاضيته بما في
كتابك ، وفي لك ، فإنه قادر قاهر يوفيك ويزيدك . ففكر المليك في

ذلك ، فأراد الله به الخير، فقال له : اكتب لي على الله عزّ وجلّ كتاباً .
فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب كتبه فلان الكفيل على
الله تعالى لكنعان الملك ثقةً منه بالله تبارك وتعالى ، إن الله لا يضيع
أجرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ، ولكنعان على الله عزّ وجلّ بكفالة
فلان ، إن تاب ورجع وعبد الله ، أن يدخله الجنة ويؤتاه منها حيث
يشاء ، وإنّ له على الله ما لأولياؤه ، وأن يجيره من عذابه ؛ فإنّه رحيم
بالمؤمنين ، واسع الرحمة ، سبقت رحمته غضبه . ثمّ ختم الكتاب ^(١)
ودفعه إليه . ثمّ قال له : أرشدني كيف أصنع . قال : قم فاغتسل والبس
ثياباً جديداً ، ففعل . ثمّ أمره أن يتشهد بشهادته الحقّ ، وأن يبرأ من
الشرك ، ففعل . ثمّ قال له : كيف أعبد ربّي ؟ فعلمه الشرائع
والصلاة . فقال له : يا ذا الكفل ! استر هذا الأمر ولا تظهره حتّى
ألحق بالنسأك . قال : فخلع الملك وخرج سرّاً ، فلحق بالنسأك فجعل
يسيح في الأرض . وفقده أهل مملكته فطلبوه . فلمّا لم يقدرُوا عليه
قالوا : اطلبوا ذا الكفل ! فإنّه هو الذي غرّ إلّهنّا . قال : فذهب قوم
في طلب الملك ، وتوارى ذو الكفل . فقدرُوا على الملك على مسيرة شهر
من بلادهم . فلمّا نظروا إليه قائماً يصلّي خرّوا له سجّداً . فانصرف
إليهم ، فقال : اسجدوا لله ولا تسجدوا لأحد من الخلق ؛ فإنّي آمنت
بربّ السماوات والأرض والشمس والقمر . فوعظهم وخوفهم ،

(١) لو « ب » والمطبوعة : ثمّ ختم على الكتاب .

قال : فعرض له وجع ، وحضر الموت . فقال لأصحابه :
لا تبرحوا فإن هذا آخر عهدي بالدنيا ، فإذا مت فادفوني . وأخرج
كتابه فقرأ عليهم حتى حفظوه وعلموا ما فيه . وقال لهم : هذا كتاب
كتبه لي على ربي عز وجل ، أستوفي منه ما فيه ، فادفونوا هذا الكتاب
معي . فلما مات جهزوه ، ووضعوا الكتاب على صدره ، ودفنوه .
فبعث الله تبارك وتعالى ملكاً ، فجاء به إلى ذي الكفل ، فقال : يا ذا
الكفل ! إن ربك قد وفى لكنعان بكفالتك ، وهذا الكتاب الذي
كتبته له ، وإن الله عز وجل يقول : هكذا أفعَلُ بأهل طاعتي .
فلما أن جاءه الملك بالكتاب ظهر للناس ، فأخذوه . فقالوا له :
أنت الذي غررت مَلِكنا وخذعته ؟ فقال لهم : لم أغرّه ولم أخدعه ،
ولكن دعوته إلى الله ، وتكفّلت له بالجنة . وقد مات ملككم اليوم في
ساعة كذا وكذا ودفنه أصحابكم . وهذا الكتاب الذي كنت كتبته له على الله
عز وجل بالوفاء ، وقد وفّاه الله عز وجل حقّه . وهذا الكتاب
تصديق لما أقول لكم . فانتظروا حتى يرجع أصحابكم .
فحبسوه حتى قدم أصحابهم فسألوهم ، فقصوا عليهم القصة .
فقالوا لهم : تعرفون الكتاب الذي دفنتموه معه ؟ قالوا : نعم .
فأخرجوه إليهم ، فقرأوه ، فقالوا : هذا الكتاب الذي كان معه ،
ودفناه في يوم كذا وكذا . فنظروا وحسبوا ، فإذا ذو الكفل كان قد
قرأ عليهم الكتاب وأعلمهم بموت الملك في اليوم الذي مات فيه . فأمنوا

به واتبعوه . فبلغ من آمن به مائة ألف وأربعة وعشرين^(١) ألفاً .
وتكفل لهم مثل الذي تكفل للمكهم على الله عز وجل ، فسماه الله
ذا الكفل .

(١) في المطبوعة المعهد الفرنسي : وعشرون ، وهو خطأ .

ذكر التوابين من الأمم

٢٠- [نوبة قوم موسى عليه السلام]

وبه عن إسحاق بن بشر ، عن سعيد ، عن قتادة عن الحسن ، قال :
أقبل موسى عليه السلام يسأل ربه عز وجل أن يتوب على قومه من
عبادة العجل . فقال : يا موسى ! لا توبة لهم إلا أن يقتلوا أنفسهم .
فرجع موسى عليه السلام الى قومه ، فقال : يا قوم ! إن الله أبى أن
يقبل منكم توبتكم إلا أن تقتلوا أنفسكم ، فليلك توبتكم * ذَلِكَ
خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ * [البقرة : ٥٤] ^(١) - يعني خالقكم .
قالوا : يا موسى ! نصبر لأمر الله عز وجل . وندم القوم على ما صنعوا .
فأخذ موسى عليه السلام منهم الميثاق ليصبرن للقتل والقضاء . فقالوا :

(١) والآية بتامها : (واذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إل بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم) .
قال الحافظ ابن كثير في « تفسيره » : وفي قوله هاهنا : (إل بارئكم) تلبيه على
عظم جرمهم ، أي : فتوبوا إل الذي خلقكم وقد عبدتم معه غيره .

نعم . فأصبحوا غدوة بأفنية البيوت ، كل بني أبٍ على حيالهم . فأمر موسى الذين لم يكونوا عبدوا العجل من بني إسرائيل أن يأخذوا السيوف فيقتلوا من لقوا . فَمَشَوْا فِي الْعَسْكَرِ ، فَقَالُوا : رَحِمَ اللَّهُ مَنْ لَمْ يَحِلَّ حَبِوتَهُ ، وَلَمْ يَرْفَعْ بَصْرَهُ ، وَلَمْ يَمْتَنِعْ بِيَدِهِ وَلَا رَجْلِهِ ، وَلَمْ يَقُمْ مِنْ مَجْلِسِهِ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ قِضَاءَهُ .

قال : فقتلوا حتى إن كان الرجل من بني إسرائيل ليأتي قومه وهم بأفنية بيوتهم جلوس ، فيقول : إن هؤلاء إخوانكم أتوكم شاهرين السيوف ، فاتقوا الله واصبروا ، فإن لعنة الله وملائكته على رجل حل حبوته ، أو قام من مجلسه ، أو حدد إليهم طرفه ، أو أتقاهم بيد أو رجل ، فيقولون : آمين .

وعن ابن عباس ، قال : قال القوم حين أمروا أن يقتل بعضهم بعضاً : يا رسول الله : كيف تقتل الآباء والأبناء والإخوة ؟ قال : فانزل الله عليهم ظلمة لا يرى بعضهم بعضاً فقتلواهم . فقالوا : يا موسى ! ما آية توبتنا ؟ قال : أن تقوم السيوف والسلاح فلا تقتل وترفع عنكم الظلمة . قال : فقتلوا حتى بلغت الدماء الممزروخا ضوا فيها . وصاح الصبيان إلى موسى يقولون : يا موسى ! العفو ! العفو ! وبكى موسى إلى الله عز وجل ، فانزل الله عز وجل الرحمة وقام السلاح . ونادى موسى أن ارفعوا عن إخوانكم فقد نزلت الرحمة وارتفعت عنهم الظلمة فتكشفت عن القتلى . قال ابن عباس : فقتلهم شهداء وأحياءهم مغفور لهم .

٢١ - نوبة قوم يونس عليه السلام

قال إسحاق : وأخبرنا جويبر ومقاتل عن الضحاك ^(١) عن ابن عباس قال : لما أيس يونس عليه السلام من إيمان قومه دعا ربه عليهم فقال : يا رب ! إن قومي أبوا إلا الكفر فأنزل عليهم تقسمتك . فأوحى الله عز وجل إليه : إني أنزل بقومك العذاب . قال : فخرج عنهم يونس وأوعدهم العذاب بعد ثلاثة أيام . وأخرج أهله ومعه أبناء صغيران ، فانطلق حتى خرج عنهم . فصعد جبلاً ينظر إلى أهل «نينوى» ويترقب العذاب . وبعث الله عز وجل جبريل ، فقال : انطلق إلى مالك خازن النار فقل له يخرج من سموم جهنم على قدر مثقال شعيرة ، ثم انطلق به فأحط به أهل مدينة «نينوى» . قال : فانطلق جبريل ففعل ما أمره ربه عز وجل . وعابن قوم يونس العذاب لما هبط للوقت الذي وقت لهم يونس .

قال أبو الجلد ^(٢) : إن العذاب لما هبط على قوم يونس فجعل يحوم على رؤوسهم مثل قطع الليل المظلم . قال ابن عباس : فلما استيقنوا بالعذاب سقط في أيديهم وعلمو أن يونس قد صدقهم ، فطلبوه فلم يقدروا عليه . فقالوا : نجتمع إلى الله ونتوب إليه .

قال : فخرجوا إلى موضع يُقال له : تل الرماد ، وتل التوبة

(١) في المطبوعة : على الضحاك ، وهو خطأ .

(٢) فتح الجيم وسكون اللام : هو جيلان بن أبي فروة الأسدي .

وإنما سُمِّي : تسلّ الرماد ، لأنهم خرجوا جميعاً الرجال والنساء
والعواتق ، وأخرجوا معهم أنعامهم وبهائمهم ، فمیزوا بين المراضع
وأولادها ، والبهائم وأولادها ، وجعلوا الرماد على رؤوسهم ، ووضعوا
الشوك من تحت أرجلهم ، ولبسوا المسوح والصوف ، ثم استجاروا بالله
ورفعوا أصواتهم بالبكاء والدعاء . فعلم الله عزّ وجلّ منهم الصدق .

فقال الملائكة : يا ربّ ! رحمتك وسعت كلّ شيء ، فهؤلاء
الأكابر من ولد آدم تعذبهم ، فما بال الأصاغر والبهائم ؟ فقال الله
عزّ وجلّ : يا جبريل ! ارفع عنهم العذاب ، فقد قبلت توبتهم . يقول الله
عزّ وجلّ : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا
إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [يونس : ٩٨] ^(١)

(١) قال ابن كثير : يقول الله تعالى : فهلا كانت قرية آمنت بكاملها من الأمم السالفة
الذين بعثنا اليهم الرسل ، بل ما أرسلنا من قبلك يا محمد من رسول إلا كذبه قومه أو
أكثرهم ، قال : وفي الحديث الصحيح : « عرض عليّ الأنبياء فجعل النبي يمر ومعه
الغنام من الناس ، والنبي يمر معه الرجل ، والنبي معه الرجلان ، والنبي ليس معه أحد » ثم
ذكر كثرة أتباع موسى عليه السلام ، ثم ذكر كثرة أمته صلوات الله وسلامه عليه كثرة
سدت الحافقين الشرقي والغربي . والغرض أنه لم توجد قرية آمنت بكاملها بنبيهم من سلف
من القرى إلا قوم يونس وهم أهل « نينوى » وما كان إيمانهم إلا خوفاً من وصول
العذاب الذي أُنذروهم به رسولهم بعد ما عاينوا أسبابه وخرج رسولهم من بين أظهرهم ،
فعندما جاؤوا إلى الله واستغاثوا به ونضروا له واستكانوا وأحضروا أطفالهم ودوابهم
ومواشيهم وسألوا الله تعالى أن يرفع عنهم العذاب الذي أُنذروهم به بنبيهم ، فعندهما رحم
الله وكشف عنهم العذاب .

قال : واختلف المفسرون ، هل كشف عنهم العذاب الأخروي مع الدنيوي ، أو =

أخبرنا علي بن عساكر ، أنا أبو طالب ، أنا أبو علي التميمي ، أنا أبو بكر القطيعي ، ثنا عبد الله بن أحمد ، ثنا أبي ، ثنا هشيم ، ثنا صالح ، عن أبي عمران الجوني ، عن أبي الجلد ، قال :

إن العذاب لما هبط على قوم يونس فجعل يحوم على رؤوسهم مثل قطع الليل المظلم ، فمشى ذوو العقول منهم الى شيخ من بقية علمائهم ، فقالوا : إننا قد نزل بنا ما ترى ، فعلمنا دعاء ندعوه به ، عسى الله أن يرفع عنا العقوبة . فقال : قولوا : يا حيّ حين لا حيّ ، ويا حيّ محيي الموتى ، ويا حيّ لا إله إلا أنت ! قال : فكشف الله عزّ وجلّ عنهم^(١)

وعن الحسن أن يونس عليه السلام بعد ما أنجاه الله من بطن الحوت رجع فمرّ براع من رعاة قومه وهو في برية يرعى غنماً ، فقال يونس للراعي : من أنت يا عبد الله ؟ قال : أنا من قوم يونس بن مَتَّى . قال يونس : فما فعل يونس ؟ قال : لاندرى ما حاله ، غير أنه كان خير الناس وأصدق الناس ، أخبرنا عن العذاب ، فجاءنا على ما قال^(٢) ، فتبنا الى الله فرحنا ، فنحن نطلب يونس ولا ندرى أين هو ولا نسمع له بذكر .

=إنما كشف عنهم في الدنيا فقط ؟ على قولين : أحدهما : إنما كان ذلك في الحياة الدنيا كما هو مقيد في هذه الآية . والثاني : فيها ، لقوله تعالى : (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فتنعناهم إلى حين) ، فأطلق عليهم الايمان ، والايمان منقذ من العذاب الأخروي ، وهذا هو الظاهر والله أعلم .

(١) أخرجه أحمد في « الزهد » صفحة (٣٤) .

(٢) في المطبوعة : كما قال .

قال يونس : هل عندك من لبن ؟ قال : لا ، والذي أكرم يونس
 مامطرت السماء ولا أعشبت الأرض منذ فارقتنا يونس . قال : ألا أراكم
 تحلفون بإله يونس ؟ قال : لا نحلف بغير إله يونس ، من فعل في مدينتنا
 فحلف بغير إله يونس نزع لسانه من قفاه . فقال له يونس : متى استحدثتم
 هذا ؟ قال : لما كشف الله عنَّا العذاب . قال يونس : انتني
 بنعجة . قال : فاتاه بنعجة مسلوبة ، فمسح يده على بطنها ، ثم قال لها :
 دري بإذن الله . فدرت ، فاحتلبها يونس ، فشرب يونس والراعي .
 فقال الراعي : إن كان يونس حياً فانت هو ! قال : أنا يونس ، فات
 قومك فآقرتهم مني السلام . قال : إن الملك قال : من أتاني فأعلمني أنه
 رأى يونس ، وجاءني ذلك ببرهان ، خلعت له ملكي وجعلته مكاني
 ولحقت بيونس . فلا أستطيع [أن] أبلغه ذلك إلا بحجة ، فإني أخاف أن
 يُقال لي : إننا قلت هذا لقول الملك وطمعت في ملكه وكذبت ، وليس
 أحد منا يكذب اليوم كذبة إلا قتلوه ، وأنت أعظم في أعينهم من
 ذلك أن أجيئهم بما يكذبوني ويقتلوني . قال يونس : تشهد لك الشاة التي
 شربنا منها لبناً ، وهو مستند إلى صخرة ، فقال للصخرة : أشهدي له .

قال ابن سمعان : إن يونس قال للراعي : انطلق إلى قومك فبلغهم
 عني السلام وأخبرهم أنك قد رأيتني . قال : فانطلق الراعي فأخبرهم ،
 فكذبوه . فلما شهدت الصخرة والشاة ، اجتمعوا فبكوا على ذكر يونس
 ولم يروه ، وقالوا للراعي : أنت خيرنا وسيدنا حين رأيت يونس .

فمَلَكُوهُ عَلَيْهِم ، وقالوا : لا ينبغي أن يكون فينا أحد أرفع منك ، ولا نعصي لك أمراً بعدما رأيت يونس رسول الله . فكان ذلك آخر العهد بيونس . قال : ومَلَكَهُم الراعي أربعين سنة .

٢٢ - [نوبة قوم نبي من الأنبياء]

أخبرنا عبد الرحمن بن جامع الفقيه ، أنا أحمد بن أحمد المتوكلي ، أنا أبو بكر الخطيب ، أنا محمد بن موسى بن الفضل ، أنا محمد بن عبد الله الصفار ، أنا ابن أبي الدنيا ، أنا سعيد بن سنان الحمصي ، قال :

أوحى الله عز وجل إلى نبي من الأنبياء : إن العذاب حائق بقومك . قال : فذكر ذلك النبي لقومه وأمرهم أن يخرجوا أفاضلهم فیتوبوا . قال : فخرجوا ، فأمرهم أن يخرجوا ثلاثة من أفاضلهم وفداً إلى الله تعالى . قال : فخرجت الثلاثة أمام القوم . قال : فقال أحد الثلاثة : اللهم إنك أمرتنا في التوراة التي أنزلت على عبدك موسى أن لا تردَّ السؤال إذا قاموا بأبوابنا ، وإنا سؤال من سؤالك قناباب من أبوابك فلا تردَّ سؤالك . وقال الثاني : اللهم ! إنك أمرتنا في التوراة التي أنزلت على عبدك موسى أن نعفو عن ظلمنا ، وإنا ظلمنا أنفسنا فاعفُ عنا . وقال الثالث : اللهم ! إنك أمرتنا في التوراة التي أنزلت على عبدك موسى أن نعشق أرقاءنا ، وإنا عبيدك وأرقائك فأوجب لنا عتقنا . فأوحى الله إلى نبيه أنه قد قبل منهم وعفا عنهم .

ذكر التوابين من آحاد الامم الماضية

٢٣ - [توبة أصحاب الغار]

أخبرنا أبو الحسين عبد الحق بن عبد الخالق اليوسفي، أنا أبو الحسن ابن العلاف، أنا أبو القاسم بن بشران، أنا أبو العباس أحمد ابن إبراهيم ابن علي الكندي، أنا أبو بكر محمد بن جعفر السامري، ثنا نصر بن داود بن مهران، ثنا داود بن عبد الرحمن العطار عن موسى بن عقبة^(١) عن نافع عن^(٢) ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ .

بينما ثلاثة نفر^(٣) يمشون^(٤) إذ أخذهم المطر، فأووا^(٥) إلى غار في جبل فأنحطت عليهم في غارهم صخرة من الجبل فاطبقت عليهم باب الغار .

(١) في المطبوعة: عن موسى بن عقبة، وهو خطأ، صوابه: عن موسى بن عقبة كما أثبتنا، والتصحيح من « الصحيحين » وغيرهما .

(٢) في المطبوعة: عن موسى بن عقبة عن ابن عمر، وهو خطأ، صوابه: عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر، كما أثبتنا. والتصحيح من « الصحيحين » وغيرهما .

(٣) في حديث عقبة بن عامر عند الطبراني في الدعاء: إن ثلاثة من بني إسرائيل .

(٤) في حديث عقبة وكذا في حديث أبي هريرة عند ابن حبان والبراز: أنهم خرجوا يرتادون لأهلهم .

(٥) يجوز فيه قصر ألف « أووا » ومدّها .

فقال بعضهم لبعض : انظروا أعمالاً علمتموها سالحة فادعوه بها .
فَدَعَوْا الله عزَّ وجلَّ ، فقال بعضهم : اللهم إنه كان لي أبوان شيخان
كبيران وامرأة وصبيان ، فكنيت أرعى عليهم . فإذا رحمت إليهم حلبت
فبدأت بوالدي أسقيهما قبل بني . وإنه نأى بي طلب الشجر^(١) فلم آت
حتى أمسيت فوجدتها قد ناما . فحلبت كما كنت أحلب ، فجمت
فقممت عند رؤوسها أكره أن أوقظها وأكره أن أبدأ بالصبية قبلها .
فجعلوا يتضاغون^(٢) عند قدمي . فلم أزل كذلك دأبي ودأبهم حتى
طلع الفجر . فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج^(٣)
عنا فرجة نرى منها السماء ، ففرج الله عزَّ وجلَّ لهم فرجة .
وقال الآخر : اللهم ! إنه كانت لي ابنة عم فأحببتها كأشد ما يحب
الرجل النساء . فطلبت إليها نفسها فأبت علي حتى آتيتها بمائة دينار .
فسعيت حتى جمعت مائة دينار فجمتها بها . فلما قعدت بين رجلها ،
قالت : يا عبد الله ! اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه^(٤) . فقممت عنها .

(١) أي بعدني طلب المرعى .

(٢) أي يصيحون ويبيكون .

(٣) بهزة وصل وضم الراء ، من فرج الثلاثي ، وضبطه بعضهم : فأفرج ، بهزة

قطع وكسر الراء من أفرج الرباعي .

(٤) في المطبوعة : بحقا ، وهو خطأ . ومعنى قوله : ولا تفض الخاتم إلا بحقه ،

لا تفض : لا تكسر ، والخاتم : كناية عن عذرتها ، إلا بحقه ، أي الحلال ، أي

لا أحل لك أن تقرني إلا بتزويج صحيح . وفي بعض الروايات : أذكرك الله أن تركب

ما حرم الله عليك ، قال : فقلت : أنا أحق أن أخاف ربي ، وفي غيرها : فلما كشفتها

ارتعدت من تحمي ، فقلت : مالك ؟ قالت : أخاف الله رب العالمين ، فقلت : خفتيه في

الشدة ولم أخفه في الرخاء ؟! فتركها الحديث .

فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة نرى منها السماء! ففرج الله لهم فرجة .

وقال الآخر : اللهم ! إني استأجرت أجيراً ، فلما قضى عمله قال : أعطني حقي . فعرضته عليه فتركه ورغب عنه ^(١) ، فثمرته ^(٢) حتى اشتريت به بقرأ ورعاءها . فجاءني بعد حين ، فقال : اتق الله ولا تظمني حقي ، فقلت : انطلق فخذ تلك ورعاءها ، فقال : اتق الله ولا تستهزئ بي . فقلت : إني لا أستهزئ بك . فخذ تلك البقر ورعاءها . فأخذها وذهب . فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا ما بقي . ففرجها الله عنهم ^(٣) .

(١) في «ب» والمطبوعة : فتركه ورغب عنه يعني ، ولا داعي لكلمة « يعني » .
(٢) أي زده .

(٣) أخرج هذا الحديث البخاري في الصحيح « من حديث ابن عمر رضي الله عنهما في كتاب البيوع : باب إذا اشترى شيئاً لغيره بغير إذنه فرضي ، والإجارة ، باب : من استأجر أجيراً فترك أجره فعمل في المستأجر فزاد ، والحرق والزراعة : باب إذا زرع مجال قوم بغير اذنهم ، وحديث الأنبياء : باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، والأدب : باب إجابة دعاء من بر والديه ، وأخرجه مسلم في « صحيحه » رقم (٢٧٤٣) باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال . قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » ٣٦٧/٦ : لم يخرج الشيخان هذا الحديث إلا من رواية ابن عمر ، وجاء بأسناد صحيح عن أنس أخرجه الطبراني في الدعاء من وجه آخر حسن ، وبأسناد حسن عن أبي هريرة ، وهو في صحيح ابن حبان ، وأخرجه الطبراني من وجه آخر عن أبي هريرة ، وعن النعمان ابن بشير من ثلاثة أوجه حسان ، أحدهما عند أحمد ٢٧٤/٤ ، ٢٧٥ ، والبزار .

وجاء من حديث علي ، رغبة بن عامر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وابن أبي أوفى بأسانيد ضعيفة ، وقد استوفى طرقه كلها أبو عوانة في « صحيحه » والطبراني في الدعاء .

وانتفتت الروايات كلها على أن القصص الثلاثة في الأجير والمرأة والأبوين ، إلا حديث عقبة بن عامر ، ففيه بدل الأجير أن الثالث قال : كنت في غم أرعاها فحضرت الصلاة =

٢٤ - [توبة الكفل]

قال محمد بن جعفر : وأخبرنا عبد الرزاق بن منصور الضرير، ثنا أسباط^(١) بن محمد عن الأعمش عن عبد الله بن عبد الله^(٢) عن سعد مولى طلحة عن ابن عمر قال : لقد سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً ، قال :

== فقلت أصلي ، فجاء الذئب فدخل الغنم ، فكرهت أن أقطع صلاتي فصبرت حتى فرغت . فلو كان إسناده قوياً لحل على تعدد القصة . ثم قال : فصاحب الأبوين فضيلته مقصورة على نفسه ، لأنه أفاد أنه كان باراً بوالديه ، وصاحب الأجير نفعه متمدد ، وأفاد بأنه عظيم الأمانة ، وصاحب المرأة أفضلهم ، لأنه أفاد أنه كان في قلبه خشية ربه ، وقد شهد الله لمن كان كذلك بأن له الجنة ، حيث قال : (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى) وقد أضاف هذا الرجل إلى ذلك ترك الذهب الذي أعطاه للمرأة ، فأضاف إلى النفع القاصر النفع المتعدي ، ولا سيما وقد قال : إنها كانت ابنة عمه فتكون فيه صلة رحم أيضاً ، وأن ذلك في سنة قمط فتكون الحاجة إلى ذلك أخرى . وفي هذا الحديث : استحباب الدعاء في الكرب ، والتقرب إلى الله تعالى بذكر صالح العمل ، واستنجاز وعده بسؤاله ، وفيه فضل الإخلاص في العمل ، وفضل بر الوالدين وخدمتها وإيثارهما على الولد والأهل ونحمل المشقة لأجلها - ولعل بكاء الأولاد كان زيادة على سد الرمق ، لأنه استشكل ترك اولاده الصغار يبيكون - وفيه فضل العفة والانكفاف عن الحرام مع القدرة ، وأن ترك المعصية يحو مقدمات طلبها ، وأن التوبة تجب ما قبلها ، وفيه جواز الإجارة بالطعام المعلوم بين المتأجرين ، وفيه فضل أداء الأمانة ، وإثبات الكرامة للصالحين ، واستدل به على جواز بيع الفضولي ، وفيه أن المستودع إذا تجر في مال الوديعة كان الربح لصالح الوديعة ، وفيه الاخبار عما جرى للأمم الماضية ليعتبر السامعون بأعمالهم فيعمل بحسنها ويترك قبيحها ، والله أعلم .

(١) في المطبوعة : إسباط بكسر الهمزة وهو خطأ .

(٢) هو عبد الله بن عبد الله الرازي .

كان الكفل من بني إسرائيل^(١) لا يتورع من ذنبٍ عملِهِ . فاتته امرأة فأعطاها ستين ديناراً على أن يطاها . فلماً قعد منها مقعد الرجل من امرأته ارتعدت^(٢) وبكت . فقال لها : ما يبكيك ؟ أكرهتك^(٣) ؟ قالت : لا ، ولكن هذا عمل^(٤) لم أعمله قط . قال : فلم تفعلين هذا ولم تكوني فعلتيه قط ؟ قالت : حملتني عليه الحاجة .

قال : فتركها ، ثم قال : اذهبي والدنانير لك . ثم قال : والله لا يعصي الله الكفل أبداً . فمات من ليلته ، فأصبح مكتوباً على بابه : غفر الله للكفل^(٥) .

(١) هو رجل أدركته توبة بعد افتتاح ذنب ، وهو غير ذي الكفل الذي ذكر في القرآن من الأنبياء .

(٢) في « سنن الترمذي » أرعدت .

(٣) بجذف همزة الاستفهام ، وفي بعض نسخ الترمذي « أكرهتك » باثباتها .

(٤) وفي « سنن الترمذي » ولكنه عمل ما عملته قط ، وما حملني عليه إلا الحاجة ، فقال : تفعلين أنت هذا وما فعلته !؟ ، اذهبي فبي لك ، وقال : « لا والله لا أعصي الله بعدها أبداً ، فمات من ليلته فأصبح مكتوباً على بابه : إن الله قد غفر للكفل .

(٥) هذا الحديث رواه الترمذي في « سننه » رقم (٢٤٩٨) وقال : هذا حديث

حسن ، وقد رواه شيبان وغير واحد عن الأعمش ورفعه ، ورواه بعضهم عن الأعمش ولم يرفعه . وروى أبو بكر بن عياش هذا الحديث عن الأعمش فأخطأ فيه وقال : عن عبد الله بن عبد الله عن سعيد بن جبير عن ابن عمر ، وهو غير محفوظ . وقد روى عن عبد الله ابن عبد الله الرازي عبّيدة الضبي والحجاج بن أرطاة وغير واحد .

والحديث أخرجه ابن حبان في « صحيحه » إلا أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله

عليه وسلم أكثر من عشرين مرة يقول ... فذكره ، ورواه الحاكم والبيهقي من طريقه وغيرهما . وقال الحاكم : صحيح الإسناد .

٢٥- [توبة العابد والمرأة البغي]

أبانا الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الإمام^(١) أنا عبد الملك ابن أبي القاسم، قال: أنا محمد بن علي بن عمير، أنا محمد بن محمد بن عبد الله الفامي، أنا محمد بن أحمد الرواني، قال: حدثني محمد بن المنذر شكر، قال: حدثني الفضل بن عبد الجبار الباهلي، أنا إبراهيم بن الأشعث، ثنا معتمر بن سليمان، عن أبي كعب صاحب الحرير عن الحسن، قال:

كانت امرأة بغي^٢، لها ثلث الحسن، لا تمكن من نفسها إلا بمائة دينار. وإنه أبصرها عابداً فأعجبته. فذهب فعمل بيديه وعالج فجمع مائة دينار. ثم جاء إليها، فقال: إنك أعجبتني فانطلقت فعملت بيدي، وعالجت حتى جمعت مائة دينار. فقالت له: ادخل. فدخل، وكان لها سرير من ذهب، فجلست على سريرها، ثم قالت له: هلم. فلما جلس منها مجلس الخاتن^(٣) ذكر مقامه بين يدي الله، فأخذته رعدة. فقال لها: اتركيني أخرج ولك المائة دينار. قالت: ما بدا لك وقد زعمت أنك رأيتني فأعجبتك فذهبت فعالجت وكددت حتى جمعت مائة دينار، فلما قدرت عليّ فعلت الذي فعلت؟ فقال

(١) هو ابن الجوزي، صاحب « زاد المسير في علم التفسير » وغيره من المؤلفات القيمة

(٢) الخاتن: الزوج.

فرقاً^(١) من الله ومن مقامي بين يديه ، وقد بغضت إلي ، فانت
أبغضُ الناس إليّ . فقالت : إن كنت صادقاً فما لي زوج غيرك . فقال :
دعيني أخرج . فقالت : لا ، إلا أن تجعل لي أن تزوج بي ، قال : لا ،
حتى أخرج . قالت : فلي عليك إن أنا أتيتك أن تزوجني ؟ قال :
لعل . فتقنع بثوبه ، ثم خرج إلى بلده . وارتحلت ثائبة نادمة على
ما كان منها حتى قدمت بلده . فسالت عن اسمه ومنزله ، فدلّت عليه . فقيل
له : إن المَلِكة قد جاءتك . فلما رآها شفق شفقة فمات وسقط في
يدها . وقالت : أمّا هذا فقد فاتني ، فهل له من قريب ؟ قالو : أخوه رجل
فقير . قالت : فإتي أتوجه حباً لأخيه . فتزوجته ، فنشر الله
منها سبعة أنبياء .

٢٦ - [نوبة الفصاح والمجارية]

أخبرنا الفقيه أبو محمد عبد الرحمن بن جامع بن غنيمه بن البنا ،
حدثنا أبو السعادات أحمد بن أحمد المتوكّلي ، أنا أبو بكر الخطيب ، أنا
أبو سعيد محمد بن موسى بن الفضل ، أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله
الصفّار ، أنا أبو بكر بن أبي الدنيا ، ثنا الحسن بن الصباح ، ثنا زيد
ابن الحباب ، ثنا محمد بن نشيط الهلالي ، ثنا بكر بن عبد الله المزني .
أن قصاباً ولع بمجارية لبعض جيرانه . فإرسلها أهلها في حاجة لهم
إلى قرية أخرى ، فتبعها ، فراودها عن نفسها . فقالت : لا تفعل !

(١) أي خوفاً .

لأننا أشدَّ حبًّا لك منك لي ، ولكنني أخاف الله . قال : فانت تخافينه وأنا لا أخافه ؟! فرجع تائباً ، فأصابه العطش حتى كاد ينقطع عنقه . فإذا هو برسول لبعض أنبياء بني إسرائيل ، فسأله ، قال : مالك؟ قال: العطش . قال : تعال حتى ندعو الله حتى تظللنا سحابة حتى ندخل القرية . قال : ما لي من عمل . قال : فانا أدعو وأمن أنت . قال : فدعا الرسول ، وأمن هو . فاظلمت سحابة حتى انتهوا إلى القرية ، فاخذ القصاب إلى مكانه ، ومالت السحابة فالت عليه . فرجع الرسول ، فقال : زعمت أن ليس لك عمل ، وأنا الذي دعوت وأنت الذي أمّنت ، فاظلمت سحابة ثم تبعتك ، لتخبرني بأمرك . فأخبره ، فقال الرسول : التائب إلى الله بمكان ليس أحد من الناس بمكانه .

٢٧ - [توبة صاحب الرغبة]

أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سلمان ، أنا أبو الفضل أحمد بن أحمد ، ثنا أبو نعيم الحافظ ، ثنا عبد الله بن محمد بن شبل ، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، ثنا معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، ثنا أبو عثمان ، عن أبي بردة ، قال :

لما حضرت أبا موسى الوفاة ، قال : يا بني ! اذكروا صاحب الرغبة ، كان رجل يتعبد في صومعة أراه سبعين سنة لا ينزل إلا في

يوم واحد . قال : فشبّه أو شب الشيطان في عينه امرأة ، فكان معها سبعة أيام أو سبع ليالٍ ، ثم كُشف عن الرجل غطاؤه ، فخرج تائباً . وكان كلما خطا خطوة صلى وسجد . فأواه الليل إلى دكان عليه اثنا عشر مسكيناً . فأدركه العياء ، فرمى بنفسه بين رجلين منهم . وكان ثمّ راهبٌ يبعث إليهم كل ليلة أرغفة فيعطي كل إنسان رغيفاً . فجاء صاحب الرغف ، فأعطي كل إنسان رغيفاً ، ومرّ على ذلك الرجل الذي خرج تائباً فظنّ أنّه مسكين فأعطاه رغيفاً ، فقال له المتروك^(١) : مالك لم تعطني رغيفي ؟ فقال : تراني أمسكتُ عنك ؟ سل هل أعطيتُ أحداً منكم رغيفين ؟ قالوا : لا . فقال : والله لا أعطيك الليلة شيئاً ! فعمد التائب إلى الرغيف الذي دفعه إليه فدفعه إلى الرجل الذي ترك ، فأصبح التائب ميتاً ، قال : فوزنت السبعون بالسبع ليالٍ فرجحت الليالي . فوزن الرغيف بالسبع ليالٍ فرجح الرغيف . فقال أبو موسى : يا بني ! اذكروا صاحب الرغيف .

٢٨ - [توبة راهب من بني اسرائيل]

أخبرنا أبو الحسن علي بن عساكر البطائحي ، أنا الأمين أبو طالب اليوسفي ، أنا ابن المذهب ، أنا القطيعي ، ثنا عبد الله بن أحمد ، حدثني أبي ، ثنا أبو معاوية ، ثنا الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن مغيث ابن سمي ، قال :

(١) في المطبوعة : فقال المتروك لصاحب الرغف .

تعبد راهب من بني إسرائيل في صومعة ستين سنة ، فنظر يوماً في
 غيب سماء ، فأعجبه الأرض . فقال : لو نزلت فمشت في الأرض
 ونظرت فيها . قال : فنزل معه برغيف . فعرضت له امرأة فتكشفت
 له ، فلم يملك نفسه أن وقع عليها . فأدركه الموت على تلك الحال . قال :
 وجاء سائل فأعطاه الرغيف ومات . قال : فجيء بعمل ستين سنة
 فوضع في كفة . قال : وجيء بخطيبته فوضعت في كفة فرجحت
 بعمله . قال : وجيء بالرغيف فوضع مع عمله فرجح بخطيبته ^(١) .

٢٩ - [توبة عابد من العبدة]

أخبرنا محمد بن عبد الباقي ، أنا أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن
 محمد الخطيب الأنباري ، أنا أبو الحسين بن بشران ، أنا أبو علي بن
 صفوان ، أنا ابن أبي الدنيا ، ثنا المثني بن معاذ الغنبري ، ثنا أبي عن
 شعبة ، عن منصور ، عن إبراهيم :

أن رجلاً من العباد كتم امرأة ، فلم يزل حتى وضع يده على
 فخذه . فذهب فوضع يده في النار حتى نشت ^(٢)

(١) ورواه ابن حبان في «صحيحه» (٢٠٩) «موارد الظمان» عن أبي ذر رضي
 الله عنه بنحوه ، ورواه البيهقي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بنحوه موقوفاً
 عليه .

(٢) يقال : نش الغدير ينش نشاً : أخذ ماؤه في النضوب . والمعنى : جفت ، وليس
 من شروط التوبة في شرعنا تعذيب الجسد وإيلامه ، وإنما يكفي في ذلك الاصلاح عن
 الذنب ، والندم على فعله ، والمزم على عدم العود إليه .

٣٠ - [نوبة ذي الرّجل]

أخبرنا محمد ، أنا علي بن محمد ، أنا علي بن محمد بن عبد الله بن بشران ، أنا الحسين بن صفوان ، أنا عبد الله بن محمد ، حدثني محمد بن الحسين ، عن موسى بن داود ، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه ، قال : كان في بني إسرائيل رجل يتعبد في صومعته ، فمكث بذلك زماناً طويلاً . فأشرف يوماً ، فإذا هو بامرأة فافتتن بها وهمّ بها . فأخرج رجله لينزل إليها ، فأدركه الله بسابقة . فقال : ما هذا الذي أريد أن أصنع ؟ ورجعت إليه نفسه وجاءته العصمة ، فندم . فلما أراد أن يعيد رجله في صومعته ، قال : هيهات ! هيهات ! رجل خرجت تريد أن تعصي الله تعود معي في صومعتي ؟ لا يكون والله ذلك أبداً ! فتركها والله معلقة من الصومعة تصيبها الرياح والأمطار والشمس والثلج حتى تقطعت فسقطت . فشكر الله عزّ وجلّ له ، فأنزل في بعض الكتب : « وذو الرّجل » ، يذكره بذلك .

٣١ - [نوبة برخ العابد]

وذكر ابن البراء في « الروضة » : أنبأنا الفضل بن حازم ، حدثني يوسف بن عزولا ، حدثني مخلد بن ربيعة الربعي ، عن كعب ، قال : فحطت بنو إسرائيل على عهد موسى عليه السلام فسألوه أن

يستسقي لهم . فقال : اخرجوا معي إلى الجبل ، فخرجوا ، فلما صعد الجبل قال موسى : لا يتبعني رجل أصاب ذنباً . فانصرف أكثر من نصفهم . ثم قال الثانية : لا يتبعني من أصاب ذنباً ، فانصرفوا جميعاً إلا رجلاً واحداً أعور يقال له : برخ العابد . فقال له موسى : ألم تسمع ما قلت ؟ قال : بلى . قال : فلم تصب ذنباً ؟ قال : ما أعلمه إلا شيئاً أذكره ، فإن كان ذنباً رجعت . قال : ما هو ؟ قال : مررت في طريق ، فإذا باب حجرة مفتوح ، فلمحت بعيني هذه الذاهبة شخصاً لا أعلم ما هو . فقلت لعيني : أنت من بين بدني سارعت إلى الخطيئة ، لاتصحبيني بعدها ! فأدخلت أصبعي فقلعتها ، فإن كان هذا ذنباً رجعت . فقال موسى : ليس هذا ذنباً . قال له : استسق يا برخ ، فقال : قدوس ! قدوس ! ما عندك لا ينفد ، وخزائنك لا تفتن ، وأنت بالبخل لاترعى ، فما هذا الذي لاتعرف به ؟ اسقنا الغيث الساعة الساعة . قال : فانصرفا يخوضان الوحل .

٣٢ - [توبة العبر العاصي]

وروي أنه لحق بني إسرائيل قحط على عهد موسى عليه السلام فاجتمع الناس إليه ، فقالوا : يا كلم الله ! ادع لنا ربك أن يسقينا الغيث ، فقام معهم ، وخرجوا إلى الصحراء وهم سبعون ألفاً أو يزيدون . فقال موسى عليه السلام : إلهي ! اسقنا غيثك : وانشر علينا رحمتك ،

وارحنا بالأطفال الرُّضَع ، والبهايم الرُّتَع ، والمشايخ " الرُّكَع .
فما زادت السماء إلا تقشُّعاً ، والشمس إلا حرارة . فقال موسى : إلهي
إن كان قد خَلَقَ جاهي عندك ، فبجاه النبي الأمي محمد ﷺ الذي
تبعته في آخر الزمان ! فأوحى الله إليه : ما خَلَقَ جاهك عندي ،
وإنك عندي وجيه ، ولكن فيكم عبد يبارزني منذ أربعين سنة بالمعاصي ،
فناد في الناس حتى يخرج من بين أظهركم ، فبه منعتكم . فقال موسى
إلهي وسيدي ! أنا عبد ضعيف ، وصوتي ضعيف ، فإني يبلغ وهم
سبعون ألفاً أو يزيدون ؟ فأوحى الله إليه : منك النداء ، ومني البلاغ .
فقام منادياً وقال : يا أيها العبد العاصي الذي يبارز الله منذ أربعين سنة !
أخرج من بين أظهرنا ، فبك منعتنا المطر . فقام العبد العاصي ،
فنظر ذات اليمين وذات الشمال ، فلم يرَ أحداً خرج . فعلم أنه المطلوب ؛
فقال في نفسه : إن أنا خرجتُ من بين هذا الخلق افتضحتُ على
رؤوس بني إسرائيل ، وإن قعدتُ معهم منيعوا لأجلي . فادخل
رأسه في ثيابه نادماً على فعله ، وقال : إلهي وسيدي ! عصيتك أربعين
سنة وأمهلتنني ، وقد أتيتك طائماً فاقبلني . فلم يستمَّ الكلام حتى
ارتفعت سحابة بيضاء فأمطرت كأفواه القيرب ، فقال موسى : إلهي
وسيدي ! بماذا سقيتنا وما خرج من بين أظهرنا أحد ؟ فقال : يا موسى !
سقيتكم بالنبي به منعتكم . فقال موسى : إلهي ! أرني هذا العبد

(١) في المطبوعة : والمشاخ ، بالهمز ، وهو خطأ ، وهمز المشايخ لا يجوز .

الطائع . فقال : يا موسى ! إني لم أفضحه وهو يعصيني ، [أ] أفضحه
وهو يطيعني ؟! يا موسى ! إني أبغضُ الثَّامين ، [أ] فأكون نماماً ؟!

٣٣ - [نوبة شاب مسرف على نفسه]

وعن وهب بن منبه ، قال : كان في زمن موسى عليه السلام شاب
عاتٍ مسرف على نفسه ، فأخرجوه من بينهم لسوء فعله . فحضرته
الوفاة في خربة على باب البلد ، فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام :
إن ولياً من أوليائي حضره الموت ، فاحضره وغسله وصل عليه ،
وقل لمن كثر عصيانه يحضر جنازته لأغفر لهم ، واحمله إلي لأكرم مثواه .
فنادى موسى في بني إسرائيل ، فكشّر الناس . فلما حضروه عرفوه ،
فقالوا : يا نبي الله ! هذا هو الفاسق الذي أخرجناه . فتعجب موسى
من ذلك . فأوحى الله إليه : صدّقوا وهم شهدائي ، إلا أنه لما حضرته
الوفاة في هذه الخربة نظر يمينه ويسرة فلم يرَ حميماً ولا قريباً ، ورأى
نفسه غريبة وحيدة ذليلة ، فرفع بصره إلي ، وقال : إلهي ! عبدٌ من
عبادك غريب في بلادك ، لو علمت أن عذابي يزيد في ملكك ، وعفوك
عني ينقص من ملكك لما سألتك المغفرة ، وليس لي ملجأ ولا رجاء إلا
أنت ، وقد سمعتُ فيما أنزلت أنك قلت : إني أنا الغفور الرحيم ،
فلا تخيب رجائي . يا موسى ! أفكان يحسن بي أن أردّه وهو غريب
على هذه الصفة ، وقد توسل إلي بي وتضرّع بين يدي ! وعزّتي ، لو

سألني في المذنبين من أهل الأرض جميعاً لو هبتهم له لذلُّ غربتهم .
يا موسى ! أنا كهف الغريب وحبيبه وطيبه وراحه .

٣٤ - [نوبة رطلين من بني إسرائيل]

أخبرتنا شهيدة ابنة أحمد بن الفرغ الابري قالت : أنا أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن طلحة ، أنا أبو الحسن محمد بن عبيد الله الحنائي ، أنا ابن السماك ، أنا أبو القاسم إسحاق بن إبراهيم الحنطلي ، أنا علي بن مسلم ، ثنا سيار ، ثنا جعفر ، ثنا مالك بن دينار ، عن معبد الجهني عن أبي العوام سادن بيت المقدس عن كعب الأحبار ، قال : انطلق رجلان من بني إسرائيل إلى مسجد من مساجدهم ، فدخل أحدهما وجلس الآخر خارجاً ، فجعل يقول : ليس مثلي يدخل بيت الله وقد عصيت الله ، فكتب صديقاً .

قال : وأصاب رجل من بني إسرائيل ذنباً ، فحزن عليه وجعل يجيء ويذهب ويجيء ويقول : بم أرضي ربي ؟ بم أرضي ربي ؟ بم أرضي ربي ؟ فكتب صديقاً .

٣٥ - [نوبة عامس من العصابة]

أخبرنا الشيخ أبو الفرغ^(١) فيما كتب إليّ به ، أنا عبد الملك بن أبي القاسم ، أنا محمد بن علي بن عمير ، أنا محمد بن محمد بن عبد الله القاضي ،

(١) هو الامام جمال الدين أبو الفرغ عبد الرحمن بن علي بن الجوزي الحنطلي البغدادي ، صاحب المؤلفات الكثيرة ، توفي رحمه الله سنة (٥٩٧ هـ) .

ثنا محمد بن أحمد المرواني ، قال : حدثني محمد بن المنذر ، أنا الربيع بن سليمان ، أنا عبد الله بن وهب ، قال : حدثني ابن زيد ، عن ربيعة بن عثمان التيمي ، قال :

كان رجل على معاصي الله تعالى ، ثم إن الله أراد به خيراً وتوبة^(١) . فقال لزوجته : إني للتمس شفيعاً إلى الله تعالى . فخرج إلى الصحراء ، فجعل يصيح : يا سماء ! اشفعي لي ، يا جبال ! اشفعي لي ، يا أرض ! اشفعي لي ، يا ملائكة ! اشفعي لي . فادركه الجهد فخر مغشياً عليه ، فبعث الله إليه ملكاً ، فأجلسه ومسح رأسه وقال له : أبشر ، فقد قبل الله توبتك ، قال : رحمك الله ! من كان شفيعي إلى الله عز وجل ؟ قال : خشيتك شفعت لك إلى الله تعالى .

٣٦ - [توبة الخارج من القرية الظالمة]

أخبرنا أبو القاسم يحيى بن ثابت ، أنا طراد بن محمد الزيني ، أنا أبو الحسين بن بشران ، أنا إسماعيل بن محمد الصفار ، ثنا أحمد ابن منصور ، أنا عبد الرزاق ، أنا معمر ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال :

كانت قريتان إحداهما سالحة ، والأخرى ظالمة ، فخرج رجل من القرية الظالمة يريد القرية السالحة ، فأتاه ملك الموت^(٢) حيث شاء الله

(١) في الطبوعة : وتوبته .

(٢) أي في صورة آدمي .

عزّ وجل ، فاختم فيه الملك والشیطان ، فقال الشیطان : والله ما عصاني قطّ ! فقال الملك : إنه خرج يريد التوبة ! فقضي بينهما أن يُنظر إلى أيهما هو أقرب ، فوجدوه أقرب إلى القرية الصالحة بشر ، فغفر له :

٣٧ - [توبة من قتل مائة نفس]

أخبرنا أبو بكر بن النقور ، أنا أبو طالب اليوسفي ، أنا أبو علي ابن المذهب ، أنا أبو بكر القطيعي ، ثنا عبد الله بن أحمد ، ثنا أبي ، ثنا يزيد ، ثنا همام بن يحيى ، ثنا قتادة ، عن أبي الصديق الناجي ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : لا أحدتكم إلا ما سمعت من رسول الله ﷺ ، سمعته أذناي ، ووعاه قلبي :

أن عبداً قتل تسعةً وتسعين نفساً ، فعرضت^(١) له التوبة ، فسأل عن أعلم أهل الأرض ، فدُلّ على رجل ، فأتاه فقال : إني قتلْتُ تسعةً وتسعين نفساً ، فهل لي من توبة ؟ فقال : بعد قتل تسعة وتسعين نفساً ! قال : فانتضى سيفه فقتله به ، فأكمل به المائة . ثم عرضت له التوبة ، فسأل عن أعلم أهل الأرض ، فدُلّ على رجل ، فأتاه فقال : إني قتلْتُ مائة نفس ، فهل لي من توبة ؟ قال : ومن يحول بينك وبين التوبة ؟ اخرج من القرية الخبيثة التي أنت فيها إلى القرية الصالحة^(٢) . [قرية

(١) في « مسند أحمد » : ثم عرضت .

(٢) قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » ٣٧٤/٦ : ووقعت لي تسمية القرية المذكورتين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً في « المعجم الكبير » للطبراني ، فإن فيه أن اسم القرية الصالحة : « نصره » واسم القرية الأخرى « كفره » .

كذا وكذا فاعبد ربك فيها ، قال : فخرج إلى القرية الصالحة ^(١) فعرض له أجله في الطريق . قال : فاختمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب . قال : فقال إبليس : أنا أولى به ، إنه لم يعصني ساعة قط . قال : فقالت ملائكة الرحمة : إنه خرج تائباً .

قال همام : فحدثني حميد الطويل ، عن بكر بن عبد الله المزني ، عن أبي رافع ، قال : فبعث الله - عز وجل - [له] ^(٢) ملكاً ، فاختموا إليه . ثم رجع إلى حديث قتادة ، قال : فقال : انظروا إلى أي القريتين كان أقرب إليها فألحقوه بأهلها .

قال قتادة : فحدثنا الحسن أنه لما عرف الموت ، احتفز ^(٣) بنفسه . فقرب الله منه القرية الصالحة ، وباعد منه القرية الخبيثة ، فألحقوه بأهل القرية الصالحة ^(٤) .

(١) زيادة من « مسند أحمد » .

(٢) زيادة من « مسند أحمد » .

(٣) في المطبوعة : احتقر .

(٤) هو في « مسند أحمد » ٢٠/٣ ورواه البخاري ٣٧٥/٦/٣٧٥ ومسلم ٢٢١٨/٤ بنحوه .

قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » ٣٧٤/٦ : وفي الحديث مشروعية التوبة من جميع الكبائر ، حتى من قتل الأذنس ، ويحمل على أن الله تعالى إذا قبل توبة الفاعل تكفل برضى خصمه .

وفيه أن المفق قد يجيب بالخطأ ، وغفل من زعم أنه إنما قتل الأخير على سبيل التأول ، لكونه أفتاه بغير علم ، لأن السياق يقتضي أنه كان غير عالم بالحكم حتى استمر يستغني ، وإن الذي أفتاه استبعد أن تصح توبته بعد قتله لمن ذكر أنه قتله بغير حق ، وأنه إنما قتله بناءً على العمل بفتواه ، لأن ذلك اقتضى عنده أن لا نجاة له ، فيش من الرحمة ثم تداركه الله فندم على ما صنع فرجع يسأل .

٢٨ - [توبة نصي من بني اسرائيل]

أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي ، أنا أبو الفضل أحمد بن أحمد الحدّاد ، أنا أحمد بن عبد الله بن إسحاق ، ثنا أبو محمد بن حيان ، ثنا

 = وفيه إشارة إلى قلة فطنة الراهب ، لأنه كان من حقه التحرز من اجترأ على القتل حتى صار له عادة بأن لا يواجهه بخلاف مراده ، وأن يستعمل معه المعارض مداراة عن نفسه ، هذا لو كان الحكم عنده صريحاً في عدم قبول توبة القاتل ، فضلاً عن أن الحكم لم يكن عنده إلا مظهرتاً .

وفيه أن الملائكة الموكلين ببني آدم يختلف اجتهدام في حقهم بالنسبة إلى من يكتبونه مطيعاً أو عاصياً ، وأنهم يقتصمون في ذلك حتى يقضي الله بينهم . وفيه فضل التحول من الأرض التي يصيب الانسان فيها المعصية لما يقلب بحكم العادة على مثل ذلك ، إما لتذكره لأفعاله الصادرة قبل ذلك والفتنة بها ، وإما لوجود من كان يعينه على ذلك ويحضه عليه ، ولهذا قال له الأخير : ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء ، ففيه إشارة إلى أن التائب ينبغي له مفارقة الأحوال التي اعتادها في زمن المعصية والتحول منها كلها والاشتغال بغيرها .

وفيه فضل العالم على العابد ، لأن الذي أفتاه أولاً بأن لا توبة له غلبت عليه العبادة فاستعظم وقوع ما وقع من ذلك القاتل من استجرائه على قتل هذا العدد الكثير ، وأما الثاني فغلب عليه العلم ، فأفتاه بالصواب ودله على طريق النجاة .

قال عياض : وفيه أن التوبة تنفع من القتل كما تنفع من سائر الذنوب ، وهو وإن كان شرعاً لمن قبلنا ، وفي الاحتجاج به خلاف ، لكن ليس هذا موضع الخلاف ، لأن موضع الخلاف إذا لم يرد في شرعنا تقريره وموافقته ، أما إذا ورد فهو شرع لنا بلا خلاف . ومن الوارد في ذلك قوله تعالى : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وحديث عبادة بن الصامت ففيه بعد قوله : (ولا تقتلوا النفس) وغير ذلك من المنهيات ، « فنأصاب من ذلك شيئاً فأمره إلى الله ، إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عذبه » . متفق عليه . قال الحافظ : قلت : ويؤخذ ذلك أيضاً من جهة تخفيف الآصار عن هذه الأمة بالنسبة إلى من قبلهم من الأمم ، فإذا شرع لهم قبول توبة القاتل ، فشروعيتها لنا بطريق الأولى . قال : واستدل به علي أن في بني آدم من يصلح للحكم بين الملائكة إذا تنازعوا ، وفيه حجة لمن أجاز التحكيم ، وأن من رضي الفريقان بتحكيمة ، فحكمه جائز عليهم ، وفيه أن للحاكم إذا تعارضت عنده الأحوال وتعددت البيئات أن يستدل بالقرائن على الترجيح .

أحمد بن الحسين، ثنا أحمد بن إبراهيم، حدثني محمد بن يزيد بن خنيس،
عن وهيب بن الورد، قال :

بلغنا أن عيسى عليه السلام مرَّ هو ورجل من بني إسرائيل من
حواريه بلصَّ في قلعة له . فلما رآهما اللصَّ ألقى الله في قلبه التوبة .
قال : فقال لنفسه : هذا عيسى بن مريم عليه السلام ، روح الله وكلمته
وهذا حواريه ، ومن أنت يا شقي ؟ لصَّ بني إسرائيل ! قطعت
الطريق ، وأخذت الأموال ، وسفكت الدماء ! ثم هبط إليهما ثائباً نادماً
على ما كان منه . فلما لحقها ، قال لنفسه : تريد أن تمشي معها ؟ لست
لذلك بأهل ! امش خلفها كما يمشي الخطاءُ المذنب مثلك !

قال : فالتفت إليه الحواري فعرفه . فقال في نفسه : انظر إلى
هذا الخبيث الشقي ومشيهِ وراءنا ! قال : فاطلع الله سبحانه وتعالى
على ما في قلوبهما من ندامته وتوبته ومن ازدراء الحواري إياه وتفضيله
نفسه عليه . قال : فأوحى الله تعالى إلى عيسى بن مريم أن مرَّ الحواري
ولصَّ بني إسرائيل أن يأتنفا العمل جميعاً ، أما اللصَّ فقد غفرت له
ما قد مضى لندامته وتوبته ، وأما الحواري فقد حبط عمله لعجبه بنفسه
وازدراءه هذا التواب

٢٩ - [توبة مهملات بنات من البعابا وغوازة قرينة]

أخبرنا المبارك بن علي ، أنا أحمد بن الحسين بن قريش ، أنا إبراهيم
ابن عمر البرمكي ، أنا أبو بكر محمد بن زكريا الدقاق ، ثنا عبد الله بن

سليمان ، ثنا عبد الملك بن محمد بن عبد الله ، ثنا ابن عائشة ، ثنا سعيد
ابن عامر قال : حدثني حسن أبو جعفر ، قال :

كان لقمان الحبشي عبداً لرجل جاء به إلى السوق يبيعه . قال :
فكان كلما جاء إنسان يشتريه قال له لقمان : ما تصنع بي ؟ فيقول : أصنع
بك كذا وكذا . قال : حاجتي إليك أن لا تشتريني ، حتى جاء رجل ،
فقال : ما تصنع بي ؟ قال : أصيرك بواباً على بابي ، قال : أنت اشتريني .
قال : فاشتراه وجاء به إلى داره .

قال : وكان لمولاه ثلاث بنات يبعين في القرية ، وأراد أن يخرج
إلى ضيعة له ، فقال له : إني قد أدخلت إليهن طعامهن وما يحتجن إليه ،
فإذا خرجت فاغلق الباب واقعد من ورائه ولا تفتحه حتى أجيء .

قال : فقلن له : افتح الباب ! فأبى عليهن ، فشججنه ، فغسل الدم
وجلس . فلما قدم سيده لم يخبره . ثم عاد مولاه بعد الخروج ، فقال :
إني قد أدخلت إليهن ما يحتجن إليه ، فلا تفتحن الباب . فلما خرج ،
خرجن إليه فقلن له : افتح الباب ، فأبى ، فشججنه ورجعن ، فجلس ،
فلما أن جاء مولاه لم يخبره بشيء .

قال : فقالت الكبيرة : ما بال هذا العبد الحبشي أولى بطاعة الله
عز وجل مني ؟ والله لأتوبن ! قال : فتابت . فقالت الصغرى : ما بال
هذا العبد الحبشي وهذه الكبرى أولى بطاعة الله عز وجل مني ؟ والله
لأتوبن ! فتابت . فقالت الوسطى : ما بال هاتين وهذا العبد الحبشي

أولى بطاعة الله عز وجل مني؟ والله لا أتوبن! فتابت. قال: فقال
غواة القرية: ما بال هذا العبد الحبشي وبنات فلان أولى بطاعة الله
منا؟ فتابوا إلى الله عز وجل وكانوا عوايد القرية.

٤٠ - [نوبة صاحب فائمة]

أخبرنا أبو منصور جعفر بن الدامغاني: أنا محفوظ بن أحمد
الكلوذاني، أنا أبو علي الجازري، أنا المعافى بن زكريا الجريري، ثنا
الحسين بن القاسم الكوكبي، ثنا أبو يوسف يعقوب بن إسحاق القاضي،
ثنا يحيى بن صالح الوحاظي، ثنا إسماعيل بن عياش، عن صفوان
ابن عمرو، عن شريح بن عبيد الحضرمي، عن كعب الأخبار:

أن رجلاً من بني إسرائيل أتى فاحشةً، فدخل نهراً يغتسل فيه.
فناداه الماء: يا فلان! أما تستحيي؟ ألم تتب من هذا الذنب وقلت:
إنك لا تعود فيه؟! فخرج من الماء فرعاً وهو يقول: لا أعصي الله!
فأتى جبلاً فيه اثنا عشر رجلاً يعبدون الله عز وجل. فلم يزل معهم
حتى قحط موضعهم، فنزلوا يطلبون الكلاً، فمروا على ذلك النهر.
فقال لهم الرجل: أما أنا فلست بذهاب معكم. قالوا: لم؟ قال: لأن
ثم من قد اطلع مني على خطيئة، فانا أستحيي منه أن يراني. فتركوه
ومضوا، فناداهم النهر: يا أيها العباد! ما فعل صاحبكم؟ قالوا: زعم
أن له هاهنا من قد اطلع منه على خطيئة فهو يستحيي منه أن يراه.

قال : يا سبحان الله ! إن أحدكم يغضب على ولده أو على بعض قراباته ، فإذا تاب ورجع إلى ما يحبّ أحبه ، وإن صاحبكم قد تاب ورجع إلى ما أحبّ ، فإنا أحبه . فأتوه فأخبروه ، واعدوا الله على شاطئ ، فأخبروه ، فجاء معهم ، فأقاموا يعبدون الله زماناً . ثم إن صاحب الفاحشة توفى . فناداهم النهر : يا أيها العباد والعبيد الزهاد ! غسلوه من مائي وادفنوه على شاطئ حتى يبعث يوم القيامة من قربي . ففعلوا ذلك به ، وقالوا : نبئت ليلتنا هذه على قبره نبكي ، فإذا أصبحنا سرنا . فباتوا على قبره ليكون ، فلما جاء وجه السحّر غشيهم النعاس ، فأصبحوا وقد أنبت الله على قبره اثنتي عشرة سرّوة ، وكان أول سرّو أنبتة الله عز وجل على وجه الأرض . فقالوا : ما أنبت الله هذا الشجر في هذا المكان إلا وقد أحب الله عبادتنا فيه . فأقاموا يعبدون الله عز وجل على قبره ^(١) ، كلما مات رجل دفنوه إلى جانبه . فماتوا بأجمعهم . قال كعب : فكان بنو إسرائيل يحجون إلى قبورهم ^(٢) .

(١) لقد نبينا عن العبادة على القبور والحج إليها ، وهذه القصة من الاسرائيليات .

(٢) كتب هنا في الأصل « أ » : آخر الجزء الثاني من الأصل .

أخبار التابعين من أصحاب رسول الله ﷺ

٤١ - [نوبة أبي قبيلة رضي الله عنه] ^(١)

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن منصور بن هبة الله الموصلي ، أنا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي ، أنا أبو الحسن محمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر ، أنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن الحسن ابن شاذان ، أنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن المغلس ، أنا أبو عثمان سعيد ابن يحيى الأموي قال : حدّثني أبي قال : قال ابن إسحاق :

تخلف أبو خيثة أحد بني سالم ، عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، حتى إذا سار رسول الله ﷺ رجع أبو خيثة ذات يوم إلى أهله في يوم حارّ . فوجد امرأتين له في عريشين له في حائط لهما ، قد رشت كل واحدة منهما عريشها ، وبردت له فيه ماء ، وهيات له طعاما . فلما دخل ، قام على باب العريش ينظر ثم قال : رسول الله ﷺ في الضح والريح والحارّ - يعني بالضح : الشمس - وأبو خيثة في ظلّ وماء

(١) هو أبو خيثة الأنصاري السلمي ، وقع ذكره في حديث كعب بن مالك الطويل في قصة توبته ، شهد أحدا ، وبقي إلى خلافة يزيد . قال الواقدي : اسم أبي خيثة عبد الله بن خيثة .

بارد وطعام مهيا وامرأة حسناء . ما هذا بالنصف ! والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ فهيتا لي زادا . ففعلتا ، ثم قدّم ناضحه فارتحله ، ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ فادركه حين نزل تبوك .

قال : وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجمحي في الطريق يطلب رسول الله ﷺ ، فترافقا حتى إذا دنوا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير بن وهب : إن لي ذنبا فلا عليك أن تخلف عني حتى آتي رسول الله ﷺ . ففعل ، ثم سار حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ وهو بتبوك . فلما طلع قال الناس : هذا راكب مقبل . فقال رسول الله ﷺ : كن أبا خيثمة ! فلما دنا قال الناس : يا رسول الله ! هذا والله أبو خيثمة ! فلما أناخ سلم على رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : أولى لك ، أبا خيثمة ! ثم أخبره الخبر ، فقال له خيرا ! ودعاه له .

قال : وقد كان رهط من المنافقين ، منهم مخشّن بن حمير ، رجل من أشجع ، حليف لبني سلمة ، مع رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك . قال : أتحسبون قتال بني الأصفر كقتال غيرهم ؟ والله لكانا غدا مقرّون في الجبال ! فأطلع الله تعالى نبيه عليهم ، فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون . وقال مخشّن بن حمير : يا رسول الله ! قعد بي اسمي واسم أبي . فعفا الله عنه بقوله : ﴿ إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ ﴾ [التوبة : ٦٨] قال : وهي الطائفة التي عفا عنها . فسُمي عبدالرحمن بن حمير ،

(١) كلمة فيها معنى التهديد ، وهي اسم سمي به الفعل .

قال: وسأل الله تعالى أن يقتل شهيداً لا يُعلم مكانه. فأُصيب يوم اليمامة ولم يوجد له أثر .

٤٢ - [نوبة كعب بن مالك رضي الله عنه]^(١)

أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي، أنا أبو الفضل جعفر بن يحيى المكيّ ، أنا محمد بن الحسين بن يوسف الأصفهاني ، أنا محمد بن أحمد ابن البغوي ، أنا إسحاق بن إبراهيم الدبري ، أنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال : أخبرني ابن كعب بن مالك عن أبيه ، قال :

لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها حتى كانت غزوة تبوك^(٢) إلا بدرأ . ولم يعاتب النبي ﷺ أحداً تخلف عن غزوة بدر ، إنما خرج يريد العير ، فخرجت قريش مغوثين لعيرهم ، فالتقوا على غير موعد كما قال الله تعالى . ولعمري إن أشرف مشاهد رسول الله ﷺ في الناس لبدر ، وما أحبّ أني كنتُ شهدتها مكان بيعتي ليلة العقبة حيث تواتقنا على الإسلام . ثم لم أتخلف بعدُ عن رسول الله ﷺ في غزاة غزاها، حتى إذا كانت غزوة تبوك، وهي آخر غزاة غزاها، واذن النبي ﷺ الناس بالرحيل ، وأراد أن يتأهبوا أهبة غزوهم ،

(١) في المطبوعة مالك ، وهو خطأ ، وهو : كعب بن مالك بن كعب بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن سارة ، أبو عبد الله الأنصاري السلمي . ويقال : أبو بشر ، ويقال : أبو عبد الرحمن . شهد العقبة وبايع تحتها وتخلف عن غزوة بدر ، وشهد أحداً وما بعدها . وتخلف عن تبوك ، واعتذر وتاب فقبل الله توبته ، وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم .

(٢) كانت غزوة تبوك في السنة التاسعة من الهجرة .

وذلك حين طابت الظلال وطابت الثمار ، وكان قلبها أراد غزوة إلا
 ورى بغيرها ، وكان يقول : « الحرب خدعة »^(١) - إلا غزوة
 تبوك^(٢) ، فإنه جلس للناس أمرهم . فأراد النبي ﷺ في غزوة تبوك
 أن يتأهب الناس أهبتهم . وأنا أيسر ما كنت ، قد جمعت راحلتين ،
 وأنا أقدر شيء في نفسي على الجهاد وخفة الحاذ^(٣) ، وأنا في ذلك
 أصغي الى الظلال وطيب الثمار . فلم أزل كذلك حتى قام رسول الله
 ﷺ غادياً بالغداة ، وذلك يوم الخميس ، وكان يحب أن يخرج يوم
 الخميس فأصبح غادياً . فقلت : أنطلق غداً إلى السوق فأشتري جهازي
 ثم ألحق بهم ، فانطلقت إلى السوق من الغد ، فعسر علي بعض شأني ،
 فرجعت . فقلت : أرجع غداً إن شاء الله فألحق بهم ، فعسر علي
 بعض شأني أيضاً . فقلت : أرجع غداً إن شاء الله ، فلم أزل كذلك حتى
 ألبس بي الذنب ، وتخلفت عن رسول الله ﷺ ، فجعلت أمشي في
 الأسواق وأطوف بالمدينة ، فيحزنني أني لا أرى أحداً تخلف إلا رجلاً
 مغموصاً^(٤) عليه في النفاق . وكان ليس أحد تخلف إلا رأى أن ذلك
 سيخفي له ، وكان الناس كثيراً لا يجمعهم ديوان ، وكان جميع من تخلف

(١) حديث « الحرب خدعة » متفق عليه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه ،
 وهذه القطعة من الحديث جزء من حديث كعب بن مالك الطويل في رواية أبي داود
 في « سننه » .

(٢) في المطبوعة : يعني الا غزوة تبوك ، ولا داعي لكلمة « يعني » .

(٣) الحاذ : الحال :

(٤) أي مطعوناً .

عن النبي ﷺ بضعةً وثمانين رجلاً . ولم يذكرني النبي ﷺ حتى بلغ تبوكاً قال : ما فعل كعب بن مالك ؟ قال رجل من قومي : خلفه يا رسول الله ، برّده^(١) والنظرُ في عِظْفَيْهِ^(٢) ! فقال معاذ بن جبل : بس ما قلت ! والله يا نبي الله ما علمنا^(٣) عليه إلا خيراً . قال : فبينما هم كذلك إذا هم برجل يزول^(٤) به السراب^(٥) . فقال النبي ﷺ : كن أبا خيشمة ! فإذا هو أبو خيشمة^(٦) . فلما قضى النبي ﷺ غزوة تبوك وقفل^(٧) ودنا من المدينة جعلت أتذكر بماذا أخرج به من سخط النبي ﷺ ، وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي ، حتى إذا قيل : النبي ﷺ هو مصبحكم غداً بالغداة - زاح عني الباطل وعرفت أنني لا أنجو إلا بالصدق . فدخل النبي ﷺ ضحى ، فصلّى في المسجد . وكان إذا جاء من سفر فعل ذلك : دخل المسجد فصلّى فيه ركعتين^(٨) ثم

(١) يعني الرداء والإزار ، أو الرداء والقميص ، وسامها بردن . لأن الإزار والقميص قد يكونان من برد ، والبرود : ثياب من اليمن فيها خطوط ، ويحتمل أن أحدهما كان برداً ، وتسميتها بردن على طريقة العمريين والقمرين .
(٢) أي جانيه ، كناية عن المعجب . قال القرطبي : وكان هذا القائل كان في نفسه حقد على كعب ، ولعله كان منافقاً فنسب كعباً إلى الزهو والكبر ، وكانت نسبة باطلة ، بدليل رد العدل الفاضل معاذ بن جبل رضي الله عنه .
(٣) في المطبوعة : ما نعلم .

(٤) أي يتحرك .

(٥) السراب : ما يظهر للإنسان في الهواجر في البراري كأنه ماء .

(٦) الذي تقدمت قصة توبته قبل قصة توبة كعب بن مالك .

(٧) أي رجع .

(٨) أي تحية المسجد ، وكان يفعل ذلك ليبدأ بتعظيم بيت الله قبل بيته ، ويقوم بشكر نعمة الله عليه في سلامته ، وليس ذلك في شرعه لأتمه .

جلس ، فجعل يأتية من تخلف ، فيحلفون له ويعتذرون إليه ، فيستغفر لهم ويقبل علانيتهم ، ويكل سرائرهم الى الله عز وجل . فدخلت المسجد ، فإذا هو جالس . فلما رأني تبسم تبسم الغضب ، فجننت فجلست بين يديه . فقال : « ألم تكن ابتعت ظهرك ؟ » ^(١) فقلت : بلى ، يا نبي الله ! قال : « فما خلفك ؟ » فقلت : واللّه لو بين يدي أحد من الناس غيرك جلست لخرجت من سخطه عليّ بعذر ، ولقد أوتيتُ جدلاً ولكن قد علمتُ يا نبيّ الله أيّ إن أخبرتك اليوم بقول تجد عليّ فيه وهو حقّ فإني أرجو فيه عقبي الله ، وإن حدثتكَ اليوم حديثاً ترضي عني فيه وهو كذب أو شك الله أن يُطليعَكَ عليّ ، واللّه يا نبيّ الله ما كنت قطُّ أيسر ولا أخفّ حاذاً ^(٢) مني حين تخلفت عنك قال : « أما هذا فقد صدقكم الحديث ، فقم حتى يقضي الله فيك » . فقامت ، فثار عليّ إثري أناس من قومي يؤنّبونني ^(٣) . فقالوا : واللّه ما نعلمك أذنبت ذنباً قطّ قبل هذا ، فهلاّ اعتذرت الى نبيّ الله ﷺ بعذر يرضى عنك فيه ! وكان استغفار رسول الله ﷺ سيأتي من وراء ذنبك ، ولم تقف نفسك موقفاً لا تدري ماذا يقضي لك فيه . فلم يزالوا يؤنّبونني حتى همت أن أرجع فأكذب نفسي . فقلت : هل قال هذا القول أحد غيري ؟ قالوا : نعم قاله هلال بن أمية ،

(١) أي اشتريت ظهرك ، والظهر هي الابل التي تركب ، جمه ظهران بضم الظاء .

(٢) أي : حالاً .

(٣) أي : يؤمنوني أشدّ اللوم .

ومرارة بن ربيعة . فذكروا رجلين صالحين قد شهدا بدرأ ، لي فيهما أسوة . فقلت : والله لا أرجع إليه في هذا أبداً ولا أكذب نفسي . قال : ونهى النبي ﷺ الناس عن كلامنا أيها^(١) الثلاثة ، قال : فجعلت أخرج إلى السوق فلا يكلمني أحد . وتنكر لنا الناس حتى ما هم بالذين نعرف ، وتنكرت لنا الشيطان حتى ما هي بالشيطان التي نعرف . وتنكرت لنا الأرض حتى ما هي بالأرض التي نعرف . وكنت أقوى أصحابي ، فكنت أخرج وأطوف في السوق وآتي المسجد ، فأدخل وآتي النبي ﷺ ، فأسلم عليه ، فأقول : هل حرك شفتيه بالسلام ؟ إذا قلت أصلي إلى السارية فأقبلت قبل صلاتي نظرت إلي بمؤخر عينيه ، وإذا نظرت إليه أعرض عني . قال : واستكان أصحابي فجعلوا يبيكان الليل والنهار ولا يطلعان رؤوسها . فبينما أنا أطوف في السوق إذا رجل نصراني جاء بطعام له يبيعه ، يقول : من يدل على كعب بن مالك ؟ فطفق الناس يشيرون له إلي . فأتاني بصحيفة من ملك غسان^(٢) فإذا فيها : أما بعد ، فإنه بلغني أن صاحبك^(٣) قد جفاك وأقصاك^(٤) ، ولست بدار مضيعة ولا هوان ، فالحق بنا نواسك . قال : فقلت : هذا أيضاً من البلاء والشر . فأسجرت^(٥) لها التنور وأحرقتها . فلما مضت أربعون ليلة إذا رسول من النبي ﷺ قد

-
- (١) هو بالرفع وموضعه نصب على الاختصاص .
(٢) واسم جيلة بن الأيمم ، وقيل : الحارث بن أبي ثمر
(٣) يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(٤) أبعدك .
(٥) أوقدت .

أتاني . فقال : اعتزل امرأتك . فقلت : أطلقها ؟ قال : لا ولكن لا تقربها ، وأرسل الى صاحبي بمثل ذلك . فجاءت امرأة هلال بن أمية ، فقالت : يا رسول الله ! إن هلال بن أمية شيخ كبير ضعيف ، فهل تأذن لي أن أخدمه ؟ قال : نعم ولكن لا يقربنك ! قالت : يا نبي الله ! والله ما به من حركة لشيء ^(١) ، ما زال مكتئباً ^(٢) يبكي الليل والنهار منذ كان من أمر ما كان .

قال كعب : فلما طال عليّ البلاء اقتحمتُ على أبي قتادة ^(٣) حائطه ^(٤) وهو ابن عمي - فسمنتُ عليه فلم يردّ عليّ . فقلت : أنشدك الله ^(٥) ، يا أبا قتادة ! أتعلم أني أحب الله ورسوله ؟ فسكت . ثم قلت أيضاً : يا أبا قتادة ! أتعلم أني أحب الله ورسوله ؟ فسكت . ثم قلت : أنشدك الله ، يا أبا قتادة ! أتعلم أني أحب الله ورسوله ؟ قال : الله ورسوله أعلم . قال : فلم أملك نفسي أن بكيتُ . ثم اقتحمتُ الحائط خارجاً ، حتى إذا مضت خمسون ليلة من حين نهى النبي ﷺ الناس عن كلامنا صليتُ على ظهر بيت لنا صلاة الفجر . ثم جلستُ وأنا في المنزلة التي قال الله عز وجل : قد ضاقت عليّ نفسي وضاقت عليّ الأرض بما رحبت ^(٦) إذ سمعت نداءً

(١) أي : إلى شيء من الجماع ومقدماته لما هو فيه من الكرب .

(٢) حزيناً .

(٣) هو الحارث بن ربيعي الأنصاري ، الصحابي رضي الله عنه .

(٤) الحائط : البستان إذا كان عليه دائر بناء .

(٥) بفتح الهمزة وضم الشين ، أي : أسألك بالله ، من النشيد وهو الصوت .

(٦) أي : مع رحبها وسعتها .

من ذروة سلع^(١) : أبشر يا كعب بن مالك ! فخررت ساجداً وعرفتُ
أن الله تعالى قد جاء بالفرج . ثم جاء رجل يركض على فرس يبشّرني ،
فكان الصوت أسرع من فرسه^(٢) فلما^(٣) جاءني الذي سمعتُ صوته
أعطيته ثوبيّ بشارة ولبست ثوبين آخرين . قال : وكانت توبتنا نزلت
على النبي ﷺ ثلث الليل ، فقالت أم سلمة : يا نبي الله ! ألا نبشر كعب
ابن مالك ؟ قال : إذا يحطمكم الناس ويمنعونكم النوم سائر الليلة .

قال : وكانت أم سلمة محسنة في شأني تحزن بأمرني . فانطلقتُ إلى
النبي ﷺ ، فإذا هو جالس في المسجد ، وحوله المسلمون ، وهو
يستنير كاستنارة القمر ، وكان إذا سُرَّ استنار ، فجئْتُ فجلستُ بين
يديه ، فقال : « أبشر ، يا كعب بن مالك بخير يوم مرّ عليك منذ
ولدتك أمك ! » قال : قلت ، يا نبي الله أَمِنَ عند الله ، أم من عندك ؟
قال : بل من عند الله . ثم تلا عليهم ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ ﴾ حتى بلغ ﴿ التَّوَّابِ الرَّحِيمِ ﴾ . [التوبة ، ١١٧ ، ١١٨]
قال : وفيما نزلت : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة : ١١٩]
قال : فقلتُ : يا نبي الله ! إن من توبتي أن لا أحدثُ إلا صدقاً ، وأن
أخلعَ من مالي كله صدقة إلى الله وإلى رسوله . فقال : « أمسك بعض

(١) سلع : جبل بالمدينة معروف .

(٢) قيل : هو الزبير بن العوام ، قال الحافظ : ويحتمل أن يكون أبا قتادة ، لأنه
كان فارس النبي صلى الله عليه وسلم .

(٣) في المطبوعة : زيادة كلمة « يعني » .

مالك فهو خير لك . فقلت : فإني أمسك سهمي الذي بجيبر . قال :
 فما أنعم الله عليّ نعمةً بعد الإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله
 ﷺ حين صدقته أنا وصاحبائي أن لانكون كذبناه فهلكننا كما هلكوا ،
 وإني لأرجو أن لا يكون ابتلى الله أحداً في الصدق مثل الذي ابتلاني ،
 ما تعمدت لكذبة بعدُ وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي .^(١)

(١) قصة توبة كعب بن مالك هذه ، رواها البخاري في « صحيحه » في الوصايا ،
 والجهاد ، وصفة النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي وفود الأنصار ، وفي موضعين من المغازي ،
 وفي موضعين من التفسير ، وفي الاستئذان ، وفي الأحكام ، ورواها مسلم في « صحيحه »
 في التوبة ، وأبو داود في الطلاق ، وفي النذور ، والجهاد ، والترمذي في التفسير ، والنسائي
 في الطلاق ، والنذور .

وقد استنبط العلماء من هذا الحديث فوائد كثيرة منها : إباحة الغنيمة لهذه الأمة ،
 إذ قال : إنا خرج يريد العير ، وفضيلة أهل بدر والعقبة ، والمبايعة مع الامام ، وجواز
 الحلف من غير استحلاف ، وتورية المقصد إذا دعت إليه ضرورة ، والتأسف على ما فات
 من الخير ، وتقي التأسف عليه ، ورد الغيبة ، وهجران أهل البدعة ، وأن للإمام أن يؤدب
 بعض أصحابه بإمساك الكلام عنه ، واستحباب صلاة القادم من سفر ، ودخوله المسجد
 أولاً ، وتوجه الناس إليه عند قدمه ، والحكم بالظاهر وقبول المعاذير ، واستحباب البكاء
 على نفسه ، وأن مسارقة النظر في الصلاة لا تبطلها ، وفضيلة الصدق ، وأن السلام وردة
 كلام ، وجواز دخول بستان صديقه بغير اذنه ، وأن الكناية لا يقع بها الطلاق ما لم ينوّه ،
 وإيثار طاعة الله ورسوله على مودة القريب ، وخدمة المرأة لزوجها ، والاحتياط بمجانبة
 ما يخاف الوقوع في منهي عنه ، إذ كعب لم يستأذن في خدمة امرأته لذلك ، وجواز إحراق
 ورقة فيها ذكر الله تعالى إذا كان لمصلحة ، واستحباب التبشير عند تجدد النعمة واندفاع
 الكربة ، واجتماع الناس عند الإمام في الأمور المهمة ، وسروره بما يسره أصحابه ،
 والتصديق بشيء عند ارتفاع الحزن ، والنهي عن التصديق بكل المال عند خوف عدم الصبر ،
 وإجازة التبشير بخلعة ، وتخصيص السنين بالنية ، وجواز العارية ، ومصافحة القادم ، والقيام له ،
 واستحباب سجدة الشكر ، والتزام مداومة الخير الذي انتفع به ، وانظر «الفتح» ٩٣/٨ - ٩٥ .

٤٣ - [نوبة أبي لبابة رضي الله عنه]^(١)

قال الزهري : وكان أبو لبابة ممن تخلّف عن النبي ﷺ في غزوة تبوك ، فربط نفسه بسارية ، ثم قال : والله لأحُلُّ نفسي منها ولا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت أو يتوب الله عليّ ، فكث سبعة أيام لا يذوق فيها طعاماً ولا شراباً حتى كاد يخر مغشياً عليه ، ثم تاب الله عليه ، فقيل له : قد تيب عليك ، فقال : والله لا أحلُّ نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني بيده . قال : فجاء النبي ﷺ فحله بيده . ثم قال أبو لبابة : يا رسول الله ! إن من توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب ، وأن أخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله . قال : « يجزئك الثلث ، يا أبا لبابة » .

أخبرنا أبو صالح سعد الله بن نجاب بن الوادي ، أنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي ، أنا أبو محمد الجوهري ، أنا أبو عمر بن حيويه ، أنا عبد الوهاب بن أبي حية ، عن محمد بن شجاع البلخي ، أنا محمد بن عمر الواقدي قال : فحدثني ربيعة بن الحارث عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن السائب بن أبي لبابة عن أبيه ، قال :

(١) شهر بهذه الكنية ، وقد اختلف في اسمه على أقوال كثيرة ، انظرها في «الاصابة» وهو أبو لبابة بن عبد المنذر ، الأنصاري المدني رضي الله عنه .

لما أرسلت قريظة إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يرسلني إليهم - حين اشتد عليهم الحصر - دعاني رسول الله ﷺ ، فقال : اذهب إلى حلفائك فإنهم أرسلوا إليك من بين الأوس . قال : فدخلت عليهم وقد اشتد عليهم الحصار . فهشوا^(١) إلي وقالوا : يا أبا لبابة ! نحن مواليك دون الناس كلهم . فقام كعب بن أسد ، فقال : أبا بشير ! قد عرفت ما صنعنا في أمرك وأمر قومك يوم الحداثق ويوم بعاث وكل حرب كنتم فيها ، وقد اشتد علينا الحصار وهلكنا ، ومحمد يأبى أن يفارق حصننا حتى تنزل على حكمه ، فلو رال عنا لحقنا بأرض الشام أو خيبر ولم نكثر عليه جمعاً أبداً ، فما ترى فإننا قد اخترناك على غيرك ، إن محمداً قد أبى إلا أن تنزل على حكمه . قال : نعم ، فانزلوا . وأوماً إلى حلقه : فهو الذبح . قال : فندمت فاسترجعت . فقال كعب : مالك يا أبا لبابة ؟ فقلت : خنت الله ورسوله . فنزلت وإن لحيتي لمبتلة بالدموع والناس ينتظرون رجوعي إليهم ، حتى أخذت من وراء الحصن طريقاً آخر حتى أتيت المسجد فارتبطت . وبلغ رسول الله ﷺ ذهابي وما صنعت . فقال : « دعوه حتى يحدث الله فيه ما يشاء ، لو كان جاءني استغفرت له ، فأما إذ لم يأتني وذهب فدعوه » .

قال : فحدثني معمر عن الزهري . قال : وارتبط أبو لبابة سبعاً

(١) أي: خفوا. وفي «ب» والمطبوعة: فهشوا. وفي شرح الزرقاني «على المواهب

اللدنية» : وجهش اليه النساء والصبيان ، أي : فزعوا إليه .

في حر شديد لا يأكل ولا يشرب . وقال : لا أزال هكذا حتى أفارق الدنيا أو يتوب الله عليّ . قال : فلم يزل كذلك حتى يسمع الصوت من الجهد ، ورسول الله ﷺ ينظر إليه بكرة وعشية . ثم تاب الله عليه ، فنودي : إن الله قد تاب عليك . وأرسل رسول الله ﷺ إليه ليطلق عنه رباطه ، فأبى أن يطلقه عنه أحد غير رسول الله ﷺ ، فجاء رسول الله ﷺ .

قال الزهري : فحدثتني هند بنت الحارث عن أم سلمة زوج النبي ﷺ ، قالت : رأيت رسول الله ﷺ يحلّ رباطه ، وإن رسول الله ﷺ ليرفع صوته يكلمه ويخبره بتوبته ، وما يدري كثيراً مما يقول له من الجهد والضعف . ولقد كان الرباط حزّ في ذراعه ، وكان من شعر ، وكان يداويه بعد ذلك دهنراً .

٤٤ - [توبة أبي هريرة رضي الله عنه ^(١) عن فتواه في امرأة زانية]

وقرأت في « تنبيه الغافلين » ^(٢) عن أبي هريرة ، قال : خرجت ذات ليلة بعد ما صلّيت العشاء مع رسول الله ﷺ ، فإذا أنا بامرأة متنقّبة قائمة على الطريق . فقالت : يا أبا هريرة ! إني قد ارتكبت ذنباً

(١) أبو هريرة رضي الله عنه هو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الكثيرين لرواية الحديث النبوي الشريف مشهور بكنيته ، واختلف في اسمه اختلافاً كثيراً ، وأشهر ذلك أنه عبد الرحمن بن صخر الدوسي رضي الله عنه .

(٢) هو كتاب في المواعظ والرفائق لمؤلفه إمام الهدى نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي أبي الليث من أئمة الحنفية من الزهاد ، له تصانيف عديدة . توفي رحمه الله سنة ٥٣٧ هـ .

عظيماً ، فهل لي من توبة ؟ فقلت : وما ذنبك ؟ قالت : إني زنيته و قتلتُ ولدي من الزنا . فقلت لها : هلكتِ وأهلكتِ ، والله مالك من توبة . فشبهت شهقةً خرَّت مغشياً عليها ، ومضت . فقلتُ في نفسي : أفتي ورسول الله ﷺ بين أظهرنا ؟ ! فلما أصبحت غدوت إلى رسول الله ﷺ ، وقلتُ : يا رسول الله ! إن امرأة استفتتني البارحة بكذا وكذا . فقال رسول الله ﷺ : « إنا لله وإنا إليه راجعون ! أنت والله هلكتِ وأهلكتِ ، ، أين كنت عن هذه الآية : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَأُولَئِكَ يبدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ ؟ [الفرقان : ٦٨ - ٧٠] ، قال : فخرجت من عند رسول الله ﷺ وأنا أعدو في سكك المدينة وأقول : من يدلني على امرأة استفتتني البارحة كذا وكذا ؟ والصبيان يقولون : جنُّ أبو هريرة ! حتى إذا كان الليل ، لقيتها في ذلك الموطن فأعلمتها بقول رسول الله ﷺ وأنَّ لها التوبة . فشبهت شهقة من السرور وقالت : إنَّ لي حديقة وهي صدقة للمساكين لذني .

٤٥ - [توبة ثعلبة بن عبد الرحمن رضي الله عنه]

أخبرنا الشيخ الصالح أبو عبد الله بن محمد بن أحمد بن النقوم ، أنا أبو الحسن علي بن محمد بن العلاف ، أنا أبو القاسم بن بشران ، أنا

أحمد بن إبراهيم الكندي ، أنا أبو بكر محمد بن جعفر السامري قال :
حدثني أحمد بن جعفر بن محمد ، ثنا إبراهيم بن علي الأطروش ، ثنا
سليم بن منصور ^(١) بن عمار قال : حدثني أبي عن المنكدر بن محمد بن
المنكدر عن أبيه عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال :

أسلم فتى من الأنصار يقال له : ثعلبة بن عبد الرحمن . قال : وكان
يخدم النبي ﷺ ويخفّ له . وإن رسول الله ﷺ بعثه في حاجة له ،
فمرّ بباب رجل من الأنصار ، فرأى امرأة من الأنصار تغتسل . وخاف
أن ينزل الوحي على رسول الله ﷺ بما صنع ، فخرج هارباً على وجهه .
فاتى جبلاً بين مكة والمدينة فوَلَجَها . ^(٢) ففقدَهُ النبي ﷺ أربعين
يوماً . وإن جبريل عليه السلام نزل على النبي ﷺ فقال : يا محمد ! إن
ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك : إن رجلاً من أمتك بين هذه
الجبال يتعوذ بي . فقال النبي ﷺ : يا عمر ، ويا سلمان ! انطلقا فأتيا
بثعلبة بن عبد الرحمن . فخرجا من أنقاب المدينة فلقيا راعياً من رعاة
المدينة يقال له : ذفافة . فقال له عمر : هل لك علم بشاب بين هذه الجبال
يقال له : ثعلبة ؟ قال : لعلك تريد الهارب من جهنم . فقال له : وما
علمك بأنه هارب من جهنم ؟ قال : لأنه إذا كان جوف الليل خرج علينا
من بين هذه الجبال واضعاً يده على أم رأسه وهو ينادي : يا ليتك

(١) في المطبوعة : سليمان بن منصور ، والتصحيح من « ميزان الاعتدال » .

(٢) أي : دخلها .

قبضت روعي في الأرواح ، وجسدي في الأجساد ، ولم تجردني لفصل القضاء ! فقال عمر : إياه نريد . فانطلق بهما . فلما كان في جوف الليل خرج عليهم من بين تلك الجبال واضعاً يده على أم رأسه وهو ينادي : يا ليتك قبضت روعي في الأرواح ، وجسدي في الأجساد ، ولم تجردني لفصل القضاء ! قال : فغدا عليه عمر فاحتضنه . فقال : يا عمر ! هل علم رسول الله ﷺ بذنبي ؟ قال : لا علم لي ، إلا أنه ذَكَرَكَ بِالْأَمْسِ فارسلني وسلمان في طلبك . قال : يا عمر ! لا تدخلني عليه إلا وهو في الصلاة . فابتدر عمر وسلمان الصف . فلما سمع ثعلبة قراءة النبي ﷺ خر مغشياً عليه . فلما سلم النبي ﷺ قال : «يا عمر ! يا سلمان ! ما فعل ثعلبة ؟» قال : هاهوذا ، يا رسول الله ! فقام النبي ﷺ فحركه فانتبه . فقال له رسول الله ﷺ : «ما غيبك عني ؟» قال : ذنبي ، يا رسول الله ! قال : «أفلا أدلك على آية تمحو الذنوب والخطايا ؟» قال : بلى ، يا رسول الله ! قال : «قل : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾» [البقرة : ٢٠١] . قال : ذنبي ، يا رسول الله ، أعظم . قال : « بل كلام الله أعظم » . ثم أمره بالانصراف إلى منزله ، فمضى ثمانية أيام . ثم إن سلمان أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! هل لك في ثعلبة ، فإنه لما به قد هلك . فقال رسول الله ﷺ : «قوموا بنا إليه» . فدخل عليه فأخذ رأسه فوضعه في حجره . فأزال رأسه عن حجر رسول الله ﷺ . فقال له : «لِمَ أزلت رأسك عن

حجري؟ قال : لأنه ملآن من الذنوب . قال : ماتشتكي؟ قال : مثل
ديب النمل بين عظمي ولحمي وجلدي . قال : ما تشتهي؟ قال : مغفرة
ربي . قال : فنزل جبريل عليه السلام، فقال : يا محمد ! إن ربك يقرئك
السلام ويقول لك : لو أن عبدي هذا لقيني بقرآب الأرض^(١) خطيئة
لقيته بقرآبها مغفرة . قال : فأعلمه النبي ﷺ . قال : فصاح صيحة
فمات . قال : فأمر رسول الله ﷺ بغسله وكفنه . فلما صلى عليه
جعل يمشي على أطراف أنامله . فلما دفنه ، قيل له : يا رسول الله !
رأيناك تمشي على أطراف أناملك . قال : « والذي بعثني بالحق نبياً !
ما قدرت أن أضع قدمي على الأرض من كثرة من نزل من الملائكة^(٢) »
لتشييعه .

٤٦ - [نوبة مالك الرؤاسي رضي الله عنه]^(٣)

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، أنا محمد بن أحمد ، أنا أحمد بن عبد الله
الحافظ، ثنا محمد بن محمد، ثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، ثنا سفيان بن
وكيع، حدثني أبي ، عن جدي ، عن طارق عن عمرو بن مالك الرؤاسي
عن أبيه .

(١) قرآب الأرض بثلاث الفاف : ما يقارب ملاءها .

(٢) في المطبوعة : ما الملائكة ، وهو خطأ .

(٣) هو مالك بن قيس بن بجيد بن رؤاس بن ربيعة بن عامر بن صعصعة العامري

الكلابي الرؤاسي وفد هو وابنه عمرو بن مالك على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلما
رضي الله عنهما .

أنه أغار هو وقوم من بني كلاب على قوم من بني أسد ، فقتلوا فيهم
وعبثوا بالنساء . فبلغ ذلك النبي ﷺ فدعا عليهم ولعنهم . فبلغ ذلك
مالكاً فغلَّ يده ، ثم أتى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله ! ارض عني
رضي الله عنك . فأعرض عنه النبي ﷺ . ثم دار إليه ، فقال : ارض
عني رضي الله عنك . فأعرض عنه . ثم أتاه الثالثة ، فقال : ارض عني
رضي الله عنك ، فوالله إنَّ الربَّ تعالى ليُرضى فيرضى . فأقبل
عليه النبي ﷺ فقال : تبت مما صنعتَ واستغفرتَ الله؟ قال : نعم . قال :
« اللهم ! تب عليه وارض عنه » .

٤٧ - [نوبة غني من أغنياء الصحابة]

أخبرنا الإمام أبو الحسن المقرئ ، أنا أبو طالب اليوسفي ، أنا أبو
علي التميمي ، أنا أبو بكر القطيعي ، ثنا عبد الله قال : حدثني أبي ،
ثنا يزيد ، أنا أبو الأصبهاني قال : حدثني سعيد بن أيمن مولى كعب بن
سور ، قال :

بينما رسول الله ﷺ يحدث أصحابه ، إذ جاء رجل من
الفقراء ، فجلس إلى جنب رجل من الأغنياء . فكانه قبض من ثيابه
عنه ، وتغير رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : يا فلان !
أخشيت أن يعدو غناك عليه أو أن يعدو فقره عليك؟ قال :
يا رسول الله ! وشرُّ الغنى؟ قال : نعم ، إنَّ غناك يدعوك إلى النار

وإن فقره يدعوهُ إلى الجنة . قال : فما ينجيني منه ؟ قال : تواسيه منه . قال : إذا أفعل . فقال الآخر : لا أرب لي فيه . قال : فاستغفر لأخيك وادع له .

٤٨ - [نوبة أبي سفيان بن الحارث رضي الله عنه ^(١)]

أخبرنا سعد الله بن نجا ، أنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي ، أنا الحسن بن عليّ الجوهريّ ، أنا أبو عمر بن حيّويه ، أنا عبد الوهاب ابن أبي حية ، أنا محمد بن شجاع البلخيّ ، ثنا محمد بن عمر الواقدي حدّثني سعيد بن مسلم ، عن عبد الرحمن بن سابط وغيره ، قال :

كان أبو سفيان بن الحارث أخا رسول الله ﷺ من الرضاعة ، أرضعته حلّيمة ^(٢) . وكان يالف رسول الله ﷺ ، وكان له ترّبا ^(٣) . فلما بعث رسول الله ﷺ عاداه عداوة لم يعاد أحد قط مثلها ، وهجا رسول الله ﷺ وأصحابه . فمكث عشرين سنة عدوّ الرسول الله ﷺ يهجو المسلمين ويهجونه ، ولا يتخلّف عن موضع تسير فيه قريش لقتال رسول الله ﷺ . ثمّ إن الله ألقى في قلبه الإسلام .

(١) هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأخوه من الرضاعة ، أرضعتها حلّيمة السعدية ، وكان ممن يشبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . قيل : اسمه المغيرة ، وقيل اسمه كنيته ، والمغيرة أخوه ، أسلم يوم الفتح رضي الله عنه .

(٢) هي حلّيمة السعدية مرضعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، رضي الله عنها وهي بنت أبي ذؤيب ، واسمها عبد الله بن الحارث بن شجنة بن رزّام بن ناضرة بن سعد بن بكر بن هوازن .

(٣) التّرب : التّدة والسنّ ومن ولد معك .

قال أبو سفيان : فقلت : من أصحاب ومع من أكون ؟ قد ضرب الإسلام بجرّانه^(١) . فجئت زوجتي وولدي فقلت : تهيئوا للخروج فقد أظلم قدوم محمد . قالوا : قد آن لك أن تبصر أن العرب والعجم قد تبعت محمداً ، وأنت موضعٌ في عداوته ، وكنت أولى الناس بنصره . فقلت لغلّامي المذكور : عجل بأبعرة وفرس . قال : ثم سرنا حتى نزلنا « الأبواء »^(٢) وقد نزلت مقدمة رسول الله ﷺ « الأبواء » . فتنكرت وخفت أن أقتل . وكان رسول الله ﷺ قد نذر دمي . فخرجت على قدمي نحواً من ميل ، وأقبل الناس رسلًا رسلًا^(٣) فتتحيّت فرقاً^(٤) من أصحابه ، فلما طلع في موكبه تصدّيت له تلقاء وجهه ، فلما ملا عينيه مني أعرض عني بوجهه إلى الناحية الأخرى ، فتحوّلت إلى ناحية وجهه الأخرى ، فأعرض عني مراراً ، فأخذني ما قرب وما بعد ؛ وقلت : أنا مقتول قبل أن أصل إليه ! وأتذكّر برّه ورحمه فيمسك ذلك مني ، وقد كنت لأشك أن رسول الله ﷺ وأصحابه سيفرحون بإسلامي فرحاً شديداً لقرابتي برسول الله ﷺ ، فلما رأى المسلمون إعراض رسول الله ﷺ عني أعرضوا عني جميعاً ،

(١) يريدان الإسلام استقام وقر في قراره .

(٢) بلد بين مكة والمدينة .

(٣) بفتح الراء والسين أي فرقا فرقا ، وفي المطبوعة : رسلا رسلا بضم الراء والسين .

(٤) أي خوفاً .

فلقيني ابن أبي قحافة^(١) معرضاً عني ، ونظرت إلى عمر^(٢) يغري بي رجلاً من الأنصار ، فقال لي : يا عدو الله ! أنت الذي كنت تؤذي رسول الله ﷺ وتؤذي أصحابه ، قد بلغت مشارق الأرض ومغاربها في عداوته . فرددت بعض الرد عن نفسي ، واستطال عليّ ورفع صوته حتى جعلني في مثل الحرجة من الناس يسرون بما يفعل بي . قال : فدخلت على عمي العباس ، فقلت : يا عم ! قد كنت أرجو أن يفرح رسول الله ﷺ بإسلامي لقرابتي وشرفي ، وقد كان منه ما رأيت ، فكلمه فيّ ليرضي عني . قال : لا والله لا أكلّمه كلمة أبداً بعد الذي رأيت ، إلا أن أرى وجهاً . إني أجلّ رسول الله ﷺ وأهابه ، فقلت : يا عم ! إلى من تكلمني ؟ قال : هو ذاك ! قال : فلقيتُ علياً^(٣) فكلمته ، فقال لي مثل ذلك . فرجعت إلى العباس ، فقلت : يا عم ! فكف عني الرجل الذي يشتمني . قال : صفه لي . فقلت : هو رجل آدم شديد الأدمة قصير دحداح بين عينيه شحّة . قال : ذاك نعيان بن الحارث النجاري . فأرسل إليه ، فقال : يا نعيان ! إن أبا سفيان ابن

(١) ابن أبي قحافة ، هو عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب التيمي القرشي ، أبو بكر الصديق رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر والحضر .

(٢) هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزّي بن رياح بن عبد الله بن قرظ ابن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العدوي أبو حفص الفاروق أمير المؤمنين رضي الله عنه .

(٣) هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو الحسن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه أمير المؤمنين رضي الله عنه

عم رسول الله ﷺ وابن أخي ، وإن يكن رسول الله ﷺ ساخطاً عليه فسيرضى عنه ، فكف عنه . فبعدَ لأيٍ ما^(١) ، كف وقال : لا أعرض له .

قال أبو سفيان : فخرجتُ فجلستُ على باب منزل رسول الله ﷺ حتى راح إلى الجحفة وهو لا يكلمني ولا أحدٌ من المسلمين . وجعلت لا ينزل منزلاً إلا أنا على بابه ومعني ابني جعفر قائم . فلا يراني إلا أعرض عني . فخرجت على هذه الحال حتى شهدت معه فتح مكة ، وأنا في خيله التي تلازمه حتى نزل الأبطح^(٢) . فدنوت من باب قبته ، فنظر إليّ نظراً هو ألين من ذلك النظر الأول ، ورجوت أن يتبسّم . ودخل عليه نساء بني عبد المطلب ودخلت معهن زوجتي فرققته عليّ ، وخرج إلى المسجد وأنا بين يديه لا أفارقه على حال ، حتى خرج إلى هوازن فخرجت معه وقد جمعت العرب جمعاً لم تجمع مثله قط ، وخرجوا بالنساء والذرية والماشية . فلما لقيتهم ، قلت : اليوم يرى أثري إن شاء الله .

فلما لقيناهم حملوا الحملة التي ذكر الله : (ثُمَّ وَلَّيْتُم مَّدْبَرِينَ) [التوبة: ٢٦] . وثبت رسول الله ﷺ على بغلته الشهباء^(٣) وجرّد سيفه فاقتحمت عن

(١) الأبي: الجهد والمشقة، و « ما » للايهام .

(٢) الأبطح : مسيل واسع فيه دفاق الحصى وجمعه أبطاح .

(٣) الشهب معركة : بياض يصدعه سواد في خلاله ، كالشبهة بالضم .

فرسي وبيدي السيف صلتاً قد كسرتُ جفنه^(١) ، والله يعلم أني أريد الموت دونه ، وهو ينظر إليّ . وأخذ العباس بلجام البغلة فأخذت بالجانب الآخر . فقال : من هذا ! فقال العباس : أخوك وابن عمك أبو سفيان بن الحارث ، فارض عنه أي رسول الله ! قال : قد فعلت ، فغفر الله له كل عداوة عادانيها . فأقبل رجله في الركاب ، ثم التفت إليّ ، فقال : أخي لعمرى !

ثم أمر العباس فقال : ناد يا أصحاب سورة (البقرة) ! يا أصحاب السمرة^(٢) ! يا للهاجرين ! يا للأنصار ! يا للخزرج ! فأجابوا : لبيك داعي الله ! وكرّوا كرة رجل واحد ، قد حطموا الجفون وشرعوا الرماح وخفضوا عوالي الأسنة وأرقلوا إرقال الفحول^(٣) . قرأيتني وإني لأخاف على رسول الله ﷺ شروع رماحهم ، حتى أهدقوا برسول الله ﷺ وقال لي رسول الله ﷺ : « تقدم فضارب القوم ! فحملت حملة أزلتهم عن موضعهم ، وتبعني رسول الله ﷺ قدماً في نحور القوم ، ما يالو ما تقدم . فما قامت لهم قائمة حتى طردتهم قدر

(١) جفن السيف : ضمه ، ويجمع على جفون .

(٢) السمرة : الشجرة . وجمعها : السمر .

(٣) الأسنة ، جمع سنان ، وهو نصل الرمح . والمعنى : خفضوا عوالي نصول الرماح . ومعنى أرقلوا إرقال الفحول ، أي : أسرعوا إسراع الفحول ، وهي الذكور من الحيوانات ، كالجمال وغيرها .

فرسخ^(١) وتفرقوا في كل وجه .

وروي عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ، قال : لقد رأيت النبي ﷺ يومئذٍ وما معه إلا أبو سفيان بن الحارث ، فاتيته حتى أخذت بحكمة^(٢) بغلته ، وكنت رجلاً صيِّتاً ، فقال رسول الله ﷺ : يا عباس ! اصرخ : يا معشر الأنصار ! يا أصحاب السَّمُرَةِ ! فناديتُ : يا معشرَ الأنصار ! يا أصحابَ السَّمُرَةِ . قال : فأقبلوا كأنهم الإبل إذا حنَّت إلى أولادها ، يقولون : يا لبيك ! يا لبيك !

وروي أنهم عطفوا عطفة البقر على أولادها ، قد شرعوا الرماح ، حتى إني لأخاف على رسول الله ﷺ رماحهم أشدَّ من خوفي رماح المشركين ، يؤمّون^(٣) الصوت ويقولون : يا لبيك ! يا لبيك !

(١) الفرسخ ، ثلاثة أميال ، والميل : ألف باع ، وهو في اللغة : منتهى مد البصر ، والباع : أربعة أذرع ، والذراع : أربعة وعشرون أصبعاً ، والأصبع : أربع شعيرات بطن لبطن ، والشعيرة : ست شعرات من ذيل بغل . ولقد قال بعضهم في ذلك شعراً :

إن البريد من الفراسخ أربع	ولفرسخ ثلاث أميال ضعوا
والميل ألف أي من الباعات قل	والباع أربع أذرع فتتبع
ثم الذراع من الأصابع أربع	من بعدها العشرون ثم الأصبع
ست شعيرات فظهر شعيرة	منها إلى بطن لأخرى توضع
ثم الشعيرة ست شعرات فقط	من ذيل بغل ليس عن ذا مرجع

(٢) الحكمة محرّكة : ما أحاط بحنكي الفرس من لجامه ، وفيها العذاران ، ومن الانسان مقدم وجهه ورأسه وشأنه وأمره .

(٣) أي يقصدون .

قال : والتفت رسول الله ﷺ يومئذ إلى أبي سفيان بن الحارث ، وهو مقنّع بالحديد ، وهو أخذ بشعر بغلة النبي ﷺ ، قال : من هذا ؟ قال : ابن أمك يا رسول الله ! ويقال ، إنه قال : أخوك ، فذاك أبي وأمي ، أبو سفيان بن الحارث . فقال رسول الله ﷺ : نعم أخي ، ناولني حصّى من الأرض ، فناوله ، فرمى بها في وجوه القوم وقال : شامت الوجوه ^(١) ! فرّت كأنها عنانة ^(٢) ، فدخلت في أعينهم كلهم فانهزموا .

وذكر ابن عبد البرّ بإسناده عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : مر علينا أبو سفيان بن الحارث ، فقال لي رسول الله ﷺ : هلمي يا عائشة ، حتى أريك ابن عمي الشاعر الذي كان يهجوني ، أول من يدخل المسجد وآخر من يخرج منه ، لا يجاوز طرفه شراك نعله ^(٣) . ورؤي أنه كان لا يرفع رأسه إلى النبي ﷺ حياءً منه . وقال عند موته : لاتبكوا عليّ ، فماتت نطفتُ بخطيئة ^(٤) منذ أسلمت . وبكى على النبي ﷺ كثيراً ورثاه ، فقال :

أرقتُ وباتَ ليلى لا يزول وليلُ أخي المصيبة فيه طولُ
وأسعدني البكاءُ وذاك فيما أصيبَ المسلمونَ به قليلُ

(١) شامت الوجوه : قبّحت .

(٢) أي سحابة ، أو التي تمسك الماء ، وجمع عنان كسحاب .

(٣) أي سيره . (٤) أي : ماتت خطيئة .

لقد عظمت مصيبتنا وجلت
 فاضحت أرضنا مما عراها
 فقدنا الوحي والتزيل فينا
 وذاك أحق ما سالت عليه
 نبي^١ كان يجلو الشك عنا
 ويهدينا فلا يخشى علينا
 أفاطم إن جزعت فذاك عذر^٢
 فقدر أباك سيد كل قبر
 عشية قيل قد قبض الرسول
 تكاد بنا جوانبها تميل
 يروح به ويغدو جيرثيل
 نفوس الناس أو كادت تسيل
 بما يوحى إليه وما يقول
 ضلالا والرسول لنا دليل
 وإن لم تجزعي فهو السبيل
 وفيه سيد الناس الرسول

٤٩ - [توبة عبد الله بن الزبيري الشاعر رضي الله عنه]

وهرب يوم الفتح هيرة بن أبي وهب الخزومي زوج أم هانئ بنت
 أبي طالب ، وعبد الله بن الزبيري ، إلى نجران . وكانا شاعرين
 يهجون المسلمين . ويقال : إن ابن الزبيري أشعر شعراء قريش .
 فأرسل حسان بن ثابت أبياتا يريد بها ابن الزبيري ، أنشدنيها ابن
 أبي الزناد :

لَا تَعْدَمَنْ رَجُلًا أَحَلَّكَ بَغْضَهُ
 نَجْرَانَ فِي عَيْشٍ أَحَدًا لَيْمٍ^(١)
 بُلِيَّتْ قَنَاتُكَ فِي الْحُرُوبِ فَأَلْفَيْتْ
 خَمَانَةَ جَوْفَاءَ ذَاتِ وَصُومٍ^(٢)

(١) الأبيات في ديوانه : ٤١٦ ، ونجران : بلد من اليمن ، وقوله « أحد » بالهاء
 المهمل : قليل خفيف ، ووقع في المطبوعة « أجد » بالميم والداد وهو تصحيف .
 (٢) خانة : رخوة رديئة ، والوصوم : الميوب ، وفي المطبوعة : خمانة جوفاء ذات ،
 كلها بالرفع ، وهو خطأ .

غضبَ الإلهُ على الزُّبَيْرِ وابنهِ وعذابَ سوءٍ في الحياةِ مقيمٍ

فلما جاءه شعر حسان تهباً للخروج . فقال له هبيرة : أين تريد يا ابن عمي ؟ قال : أردت والله محمداً . قال : أتريد أن تتبعه ؟ قال : إي والله ! قال هبيرة : ياليت أني رافقت غيرك ! والله ما ظننت أنك تتبع محمداً أبداً ؟ قال ابن الزُّبَيْرِ : فعلى أي شيء تقيم مع بني الحارث ابن كعب - وأترك ابن عمي وخير الناس وأبره - ومع قومي وداري ؟ فانحدر ابن الزُّبَيْرِ حتى جاء رسول الله ﷺ وهو جالس في أصحابه . فلما نظر رسول الله ﷺ إليه قال : هذا ابن الزُّبَيْرِ ومعه وجه فيه نور الإسلام . فلما وقف على رسول الله ﷺ قال : السلام عليك يا رسول الله ! شهدت أن لا إله إلا الله وأنت عبدهُ ورسوله ، والحمد لله الذي هداني للإسلام ، لقد عاديتك وأجلبت عليك ^(١) وركبت البعير والفرس ومشيت على قدمي في عداوتك ، ثم هربت منك إلى نجران وأنا أريد أن لا أقرب الإسلام أبداً ، ثم أرادني الله منه بخير وألقاه في قلبي وحببه إلي ، وذكرت ما كنت فيه من الضلالة ، واتَّباع ما لا ينفع ذا عقل ، من حجر يُعبد ويذبح له ، لا يسدري من يعبده ومن لا يعبده ، قال رسول الله ﷺ : « الحمد لله الذي هدانا للإسلام ، إن الإسلام يجب ما كان قبله . »

(١) أي : صحت وجمعت الناس عليك .

وقال ابن الزُّبَيْرِ حينَ أسلمَ :

منعَ الرُّقَادَ بِلَابِلٍ وَهَمومٍ
مَّا أتَانِي أَنَّ أَحْمَدَ لَامِنِي
يَا خَيْرَ مَنْ حَمَلَتْ عَلَيَّ أَوْصَالَهَا
إِنِّي لَمَعْتَدِرُ إِلَيْكَ مِنَ الَّذِي
أَيَّامَ تَأْمُرُنِي بِأَغْوَى خُطَّةٍ
فَالْيَوْمَ آمَنَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
مَضَتْ الْعِدَاوَةُ وَانْقَضَتْ أَسْبَابُهَا
فَاغْفِرْ فِدَى لَكَ وَالَّذِي كَلَّاهَا
وَعَلَيْكَ مِنْ عِلْمِ الْمَلِيكَ عِلَامَةٌ
أَعْطَاكَ بَعْدَ مَحَبَّةٍ بَرَّهَانَهُ
وَلَقَدْ شَهِدْتُ بَانَ دِينِكَ صَادِقٌ

والليلُ مُعْتَلِجُ الرَّوَاقِ بِهِم^(١)
فِيهِ فَبِتُّ كَأَنِّي مَحْمومٌ
عَيْرَانَةٌ سُرْحُ الْيَدِينِ غَشومٌ^(٢)
أَسَدَيْتُ إِذْ أَنَا فِي الضَّلَالِ أَهيمٌ^(٣)
سَهْمٌ وَتَأْمُرُنِي بِهَا مَخْزومٌ^(٤)
قَلْبِي وَمَخْطِئُهُ هَذِهِ مَحْرُومٌ
وَدَعْتُ أَوْاصِرِي نِنَّا وَحُلُومٌ^(٥)
زَلَلِي فَإِنَّكَ رَاحِمٌ مَرْحُومٌ
نُورٌ أَعْرُ وَخَاتِمٌ مَخْتومٌ
شَرَفًا وَبَرَّهَانُ الْإِلَهِ عَظِيمٌ
حَقٌّ وَأَنْتَ فِي الْعِبَادِ جَسِيمٌ

(١) الأبيات في ديوان حسان : ٤١٦ وسيرة ابن هشام ٢/٤١٩ ، وفي المطبوعة : الرقاد بضم الدال ، وهو خطأ . والبلابل : الوسواس المختلطة والأحزان . معتلج : مضطرب يركب بعضه بعضاً .

(٢) عيرانة : ناقة تشبه العير (حمار الوحش) في حدته ونشاطه ، وسرح الديدن : خفيفة الديدن ، وغشوم : لا ترد عن وجهها .

(٣) أسديت : صنعت وحكيت ، يعني ما قال من الشعر قبل إسلامه .

(٤) وبعد هذا البيت في سيرة ابن هشام بيت آخر هو :

وأمدت أسباب الردى ويفودني أمرُ السواقِ وأمرم مشؤومٌ

(٥) الأواصر : جمع آصرة وهي ما عطفك على آخر من رحم أو قرابة أو صهر

أو معروف ، والمراد هنا قرابة الرحم . والحلوم : العقول .

والله يشهد أن أحمدَ مصطفىَ متقبلاً في الصالحاتِ كريمُ
قرمٌ تفرع في الذرى من هاشمٍ فرع تمكن في الذرى وأروم^(١)

٥٠ - [نوبة هبار بن الأسود رضي الله عنه]^(٢)

قال الواقدي : حدثني واقد بن أبي ياسر عن يزيد بن رومان ،
قال : قال الزبير بن العوام : ما رأيت رسول الله ﷺ ذكر هباراً -
يعني ابن الأسود - قط إلا تغيظ عليه ، ولا رأيت رسول الله ﷺ
بعث سرية قط إلا قال : إن ظفرتم بهبار فاقطعوا يديه ورجليه ثم
اضربوا عنقه ، والله لقد كنت أطلبه وأسأل عنه ، والله يعلم لو ظفرت
به قبل أن يأتي إلى رسول الله ﷺ لقتلته . ثم طلع على رسول الله ﷺ
وأنا جالس ، فجعل يعتذر إلى رسول الله ﷺ

وعن جبير بن مطعم ، قال : كنت جالساً مع النبي ﷺ في أصحابه
في مسجده منصرفه من الجعرانة^(٣) . فطلع هبار بن الأسود . فلما

(١) رواية الشطر الأول في السيرة: قرم علا بنيه من هاشم . والأروم : الأصوار .

(٢) هو هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي
الأسدي ، أمه فاخنة بنت عامر بن قرطبة القشيرية ، وأخواه لأمه : حزن وهبيرة ابنا
أبي وهب المخزوميان .

(٣) الجعرانة : بكسر أوله إجماعاً ، ثم إن أصحاب الحديث يكسرون عينه ويشددون
راءه ، وأهل الإيقان والأدب يخطئونهم ويسكنون العين ويخففون الراء . وقد حكى عن
الامام الشافعي رحمه الله أنه قال : المحدثون يخطئون في تشديد « الجعرانة » وتخفيف
« الحديبية » . والجعرانة : ماء بين الطائف ومكة ، وهي إلى مكة أقرب ، نزله النبي
صلى الله عليه وسلم لما قسم غنائم هوازن مرجعه من غزاة حنين ، وأحرم منها صلى الله
عليه وسلم ، وله فيها مسجد .

نظر القوم اليه ، قالوا : يا رسول الله ! هبار بن الأسود ! قال رسول الله ﷺ : « قد رأيته » . فأراد بعض القوم القيام إليه ، فأشار إليه رسول الله ﷺ « أن اجلس » . فوقف عليه هبار ، فقال : السلام عليك يا رسول الله ! إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ، ولقد هربتُ منك في البلاد فأردتُ اللحوق بالأعاجم ، ثم ذكرتُ عائدتك وفضلك وبرك وصفحك عن جهل عليك ، وكنا يا رسول الله أهل شرك ، فهدانا الله بك وأتقنا بك من الهلكة ، فاصفح عن جهلي وعمّا كان يبلغك مني فإني مقرّ بسوّاتي ، معترف بذنبي .

قال الزبير : وقال : فقد كنتُ موضعاً في سبك وأذاك ، وكنتُ مخدولاً ، وقد بصّرني الله وهداني للإسلام . قال الزبير : فجعلتُ أنظر إلى رسول الله ﷺ وإنه لي طاطىء رأسه مما يعتذر هبار . وجعل رسول الله ﷺ يقول : « قد عفوت عنك ، والإسلام يجب ما كان قبله » . وكان لَسِيناً . وكان - يعني بعد ذلك - يُسَبَّ حتى يبلغ منه ، فلا ينتصف . فبلغ رسول الله ﷺ حلمه وما يحمل عليه من الأذى ، فقال : « يا هبار ! سب من سبك » ^(١) .

(١) حديث « سب من سبك » . قال الحافظ ابن حجر في « الاصابة » : وأخرج علي بن حرب في « فوائده » وثابت بن قيس في « الدلائل » وأبو الدرداء الدمشقي في « فوائده » كلهم من طريق ابن أبي نجیح أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث سرية فقال : « إن أصبتم هبار بن الأسود فاجعلوه بين حزمتين وحر قوه » فلم تصبه السرية ، وأصابه الاسلام ، فهاجر إلى المدينة ، وكان رجلاً سباباً ، فعيل النبي صلى الله عليه وسلم : إن هبار =

٥١- [نورة عكرمة بن أبي مهزل رضي الله عنه ^(١)]

وذكر سعيد بن يحيى الأموي قال : حدثني أبي ، ثنا الأعمش ، عن أبي إسحاق السبيعي قال : لما دخل النبي ﷺ مكة ، قال عكرمة : والله لا أسكن أرضاً أرى فيها قاتل أبي الحكم ^(٢) ! فانطلق يركب البحر . وعمد ختنه ابو امرأته فأمر زوجته فتعصبت . ثم تلقته فقالت : أين تذهب يا سيد فتيان قريش ؟ تذهب إلى أرض لا تعرف بها ؟ فأبى أن يطيعها .

وعن عبد الله بن الزبير ، قال : لما كان يوم الفتح أسلمت هند بنت عتبة ، وأسلمت أم حكيم بنت الحارث بن هشام امرأة عكرمة ، في عشر نسوة من قريش . فأتين رسول الله ﷺ وهو بالأبطح فبايعنه .

= يسب ولا يسب ، فأناه فقام عليه فقال له : « سب من سبك » فكفوا عنه . قال الحافظ : وهذا مرسل ، وفيه وهم في قوله : وهاجر إلى المدينة ، فإنه إنما أسلم بالجمرة ، وذلك بعد فتح مكة ، ولا هجرة بعد الفتح . قال : والصواب ما قال الزبير ابن بكار : إن هباراً لما أسلم وقدم المدينة جعلوا يسبونونه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « سب من سبك » وأخرج ابن شاهين من طريق عقيل عن ابن شهاب نحوه مرسل . فهو حديث ضعيف ، ويعارض قوله صلى الله عليه وسلم لأبي جري جابر ابن سليم . « لا تسبن أحداً » رواه أبو داود رقم (٤٠٨٤) وإسناده صحيح .

(١) هو عكرمة بن أبي جهل القرشي المخزومي ، كان كأيبه من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أسلم يوم الفتح ، وخرج إلى المدينة ، ثم إلى قتال أهل الردة ، ثم مات بأجنادين رضي الله عنه ، ولم يعقب .

(٢) أبو الحكم ، هو أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي ، أشد الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر الإسلام ، قتل في غزوة بدر الكبرى ، وكفى الله تعالى المؤمنين شره وشر أمثاله من الأشرار الفجار .

فدخلن عليه وعنده زوجته وابنته فاطمة ونساء من نساء بني عبد
المطلب . فتكلمت هند بنت عتبة ، فقالت : يا رسول الله ! الحمد لله
الذي أظهر الدين الذي اختار لنفسه لتمسني رحمك ، يا محمد ! إني امرأة
مؤمنة بالله مصدقة . ثم كشفت عن نقابها ، فقالت : هند بنت عتبة .
فقال رسول الله ﷺ : «مرحباً بك» . فقالت : والله ، يا رسول الله ،
ما كان على الأرض أهل خباءٍ أحبَّ إليَّ أن يذلُّوا من خباياك ، ولقد
أصبحتُ وما على الأرض من أهل خباءٍ أحبَّ إليَّ أن يعزُّوا من خباياك .
فقال رسول الله ﷺ : «وزيادة أيضاً» . ثم قرأ رسول الله ﷺ عليهنَّ
القرآن وبأيعهنَّ .

ثم قالت أم حكيم امرأة عكرمة : يا رسول الله ! قد هرب عكرمة
منك إلى اليمن ، وخاف أن تقتله فأمنته . فقال رسول الله ﷺ : هو
آمنٌ . فخرجت أم حكيم في طلبه ، فأدرسته وقد انتهى إلى ساحل
من سواحل تهامة ^(١) . فجعل نوتي السفينة ^(٢) يقول له : : أخلص !
قال : أي شيء أقول ؟ قال : قل : لا إله إلا الله . قال عكرمة : ما هربتُ
إلا من هذا ! فجاءت أم حكيم على هذا من الأمر ، فجعلت تقول :
يا ابن عم ! جئتك من عند أفضل الناس وأبرَّ الناس وخير الناس ،
لا تهلك نفسك ! وقالت : إني قد استأمنت لك رسول الله ﷺ . قال :
أنت فعلت ؟ قالت : نعم ، أنا كلمته فأمنك . فرجع معها .

(١) تهامة ، وهامة : الأرض المتصوية إلى البحر ، والغور ، ومنها مكة المكرمة شرفها الله تعالى .

(٢) نوتي السفينة : ملاحها ، والجمع : النواتي ، وم الملاحون .

قال : وجعل عكرمة يطلب امرأته ليجامعها، فتأبى عليه وتقول :
إنك كافر وأنا مسلمة . فيقول : إنَّ امرأَ منعك مني لأمرٌ كبير !

فلما رأى النبي ﷺ عكرمة وثب إليه ، وما على النبي ﷺ رداء ،
فرحاً بعكرمة . ثم جلس رسول الله ﷺ فوق عكرمة بين يديه
ومعه امرأته مُتنقِبة . ثم قال عكرمة : فإنني أشهد أن لا إله إلا الله
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . فسرَّ بذلك رسول الله ﷺ ثم قال :
يا رسول الله ! علمني خير شيء أقوله . فقال : «تقول: أشهد أن لا إله إلا
الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله» . فقال عكرمة : ثم ماذا ؟ قال
رسول الله ﷺ : «تقول: أشهد الله وأشهد من حضر أني مسلم مهاجر» .
فقال عكرمة ذلك . فقال رسول الله ﷺ : «لا تسألني اليوم شيئاً أعطيه
أحداً إلا أعطيتك» . فقال عكرمة : فإنني أسألك أن تستغفر لي كل
عداوة عاديتكها ، أو مسيرٍ أوضعتُ فيه ، أو مقامٍ لقيتكَ فيه ، أو
كلامٍ قلتَه في وجهك أو أنت غائب عنه . فقال رسول الله ﷺ : «اللهم
اغفر له كلَّ عداوة عادانها ، وكلَّ مسيرٍ سار فيه إليَّ موضعاً يريد
بذلك المسير إطفاء نورك، واغفر له كلَّ ما نال مني من عرض في وجهي
أو وأنا غائب عنه . فقال عكرمة : رضيت يا رسول الله ! أما والله ،
يا رسول الله ، لا أدع نفقة كنتُ أنفقُها في صدِّ عن سبيل الله إلا
أنفقت ضعفها في سبيل الله ، ولا قتالٍ كنتُ أقاتل في صدِّ عن سبيل

الله إلا أبلت ضعفه في سبيل الله . ثم أجهد في القتال حتى أقتل ،
قال : فما زال يقاتل في سبيل الله حتى قُتِلَ رحمه الله .

وروي أنه لما كان يوم اليرموك ترَّجل عكرمة ، فقال له خالد :
لا تفعل ، فإن مصابك على المسلمين شديد . فقال : دعني يا خالد !
فإنه كانت لك سابقة مع رسول الله ﷺ . ثم قاتل قتالاً شديداً حتى
قتل ، فوجد به بضع وسبعون من بين طعنة وضربة ورمية .

وقال عبد الله بن مصعب : استشهد يوم اليرموك الحارث بن هشام ،
وعكرمة بن أبي جهل ، وسهيل بن عمرو . فأثوا بماءٍ وهم صرعى ،
فتدافعوه . كلما دُفع إلى رجل منهم قال : اسق فلاناً ، حتى ماتوا ولم
يشربوه . قال : طلب الماء عكرمة ، فنظر إلى سهيل ينظر إليه ، فقال :
ادفعه إليه ، فنظر إلى الحارث ينظر إليه ، فقال : انعه إليه . فلم يصل
إليه ، حتى ماتوا ، رحمة الله عليهم .

٥٢ - [نوبه سهيل بن عمرو^(٢) والحارث بن هشام رضي الله عنهما^(٣)]

ويروى عن الحسن ، قال : حضر الناسُ باب عمر بن الخطاب رضي

(١) هو خالد بن الوليد بن المغيرة الخزومي القرشي ، سيف الله ، الفاتح الكبير
والقائد العظيم ، والصحابي الجليل رضي الله عنه .

(٢) هو سهيل بن عمرو بن عبدشمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر
ابن لؤي القرشي العامري ، خطيب قرينش أبو يزيد ، وهو الذي تولى أمر الصلح الحديبية
رضي الله عنه .

(٣) هو الحارث بن هشام بن المغيرة الخزومي القرشي أبو عبد الرحمن صحابي - وهو =

الله عنه وفيهم سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن الحارث وأولئك الشيوخ. فخرج آذنه فجعل يأذن لأهل بدرٍ لصهيب وبلال وأهل بدر ، وكان يحبهم وكان قد أوصى بهم . فقال أبو سفيان : ما رأيت كاليوم ، إنه ليؤذن هؤلاء العبيد ونحن جلوس لا يلتفت إلينا . فقال سهيل .. قال الحسن : وباله من رجل ما كان أعقله ! - : أيها القوم ! قد أرى الذي في وجوهكم ، فإن كنتم غضاباً فاغضبوا على أنفسكم ، دُعي القوم ودُعيتم ، فأسرعوا وأبطأتم ، أما والله لما سبقوكم به من الفضل أشدُّ عليكم فوتاً من بابكم هذا الذي تتنافسون عليه ، أيها القوم ! إن هؤلاء قد سبقوكم بما ترون ، ولا سبيل لكم إلى ما سبقوكم إليه ، فانظروا هذا الجهاد فالزموه عسى أن يرزقكم الله الشهادة . ثم نفض ثوبه فقام ، فلحق بالشام وخرج بأهله إلا بنته هنداً . فاتوا كلهم إلا هنداً وفاخنة بنت عتبة بن سهيل . وقتل سهيل شهيداً باليرموك ، فقدم بفاخنة على عمر . وكان الحارث بن هشام خرج بأهله فلم يرجع منهم إلا ولده عبد الرحمن . فقال عمر : زوجوا الشريد الشريدة . وأقطعها عمر بالمدينة خطةً وأوسع لها . فقيل له : أكثرت لها . فقال : عسى الله أن ينشر منها ولداً كثيراً رجالاً ونساءً فولد لها أبو بكر وعمر وعثمان وعكرمة وخالد ومخلد . فأبو بكر أحد الفقهاء السبعة ، فقهاء المدينة ، وكان يدعى : راهب قريش .

= أخو أبي جهل - كان شريفاً في الجاهلية والاسلام وقد انتهت إليه سيادة بني مخزوم ، أسلم يوم فتح مكة ، وخرج في أيام عمر رضي الله عنه بأهله وماله من مكة إلى الشام ، فلم يزل مجاهداً بالشام إلى أن مات في طاعون عمواس رضي الله عنه .

وروى ابن المبارك عن الأسود بن شيبان عن نوفل بن أبي عقرب ، قال : خرج الحارث بن هشام من مكة ، فجزع أهل مكة جزعاً شديداً . فلم يبقَ أحد يطعم الطعام إلا خرج معه يشيعه ، حتى إذا كان بأعلى البطحاء أو حيث شاء الله من ذلك ، وقف ووقف الناس . فقال : يا أيها الناس ! إني والله ما خرجت رغبةً بنفسي عن أنفسكم ولا اختيار بلد على بلدكم ، ولكن كان هذا الأمر فخرجت فيه رجال من قريش ، والله ما كانوا من ذوي أنسابها ولا في بيوتها ، فأصبحنا والله ولو أن جبال مكة ذهباً أنفقناها في سبيل الله ما أدركنا يوماً من أيامهم ، والله لئن فاتونا في الدنيا لنلتمس أن نشاركهم في الآخرة ، فاتقى الله امرؤ . فتوجه إلى الشام واتبعه ثقله ، فيقال : إنه قتل يوم اليرموك رحمه الله .

٥٣ - [توبة الودّ نصر رضي الله عنهم]

أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن النقور ، قال : أنا أبو طالب عبد القادر بن محمد اليوسفي ، أنا أبو علي بن المذهب ، أنا أبو بكر القطيعي ، ثنا عبد الله بن أحمد ، ثنا أبي ، ثنا عارم ، ثنا معتمر بن سليمان ، قال : سمعت أبي يقول : ثنا السَّمِيطُ السَّدُوسِيّ ، عن أنس ابن مالك ، قال :

فتحنا مكة ثم إنا غزونا حنيناً ، فجاء المشركون بأحسن صفوف رُئيّت أو رأيت . قال : فلم نلبث أن انكشفت خيلنا وفرت الأعراب

ومن تعلم من الناس . قال : فنادى رسول الله ﷺ : «يا للمهاجرين !
يا للمهاجرين ! يا لِلْأَنْصَارِ ! يا لِلْأَنْصَارِ !» قال : قلنا : لبيك ،
يا رسول الله ! قال : فتقدّم رسول الله ﷺ . قال : وايم الله
ما أتيناكم حتى هزمهم الله . قال : فقبضنا ذلك المال . قال : فنزلنا ،
فجعل رسول الله ﷺ يعطي الرجل المائة ويعطي الرجل ،

قال : فتحدثت الأنصار بينها : أمّا من قاتله فيعطيه ، وأمّا من
لم يقاتله فلا يعطيه . قال : فرُفِعَ الحديث إلى رسول الله ﷺ فأمر
بسراة المهاجرين^(١) والأنصار أن يدخلوا عليه ، ثمّ قال : «لا يدخلن
عليّ إلا أنصاري» . قال : فدخلنا حتى ملأنا القبة . فقال نبيّ الله ﷺ :
«يا معشر الأنصار ! ما حديثٌ أتاني؟» قالوا : ما أتاك يا رسول الله ؟
قال : «ألا ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون برسول الله حتى
تدخلوه بيوتكم؟» قالوا : رضينا يا رسول الله ! فقال رسول الله ﷺ :
«لو أخذ الناس شعباً وأخذت الأنصار شعباً لأخذت شعب الأنصار» .
قالوا : رضينا يا رسول الله !

وروى هذا الحديث محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص قال : حدثني
أبو سلمة بن عبد الرحمن وغيره ، قال : بلغ النبيّ ﷺ أن الأنصار قد
قالت . قال : فدخلوا عليه ، فقال لهم : ألم أجدكم ضلّالاً فهداكم الله بي ؟

(١) في المطبوعة : وأيم بهزمة قطع ، وهو خطأ .

(٢) سراة المهاجرين : أغنياؤهم .

قالوا : بلى ! قال : ألم أجدكم عائلة فاعناكم الله بي ؟ قالوا : بلى . قال : ألم أجدكم أعداءً فالف الله بين قلوبكم بي ؟ قالوا : بلى ! قال : أما إنكم لو شتمت قلم فصدتم : جئنا طريداً فأويناك ، قالوا : الله ورسوله آمن . قال : ولو شتمت قلم : قد جئنا مخذولاً فنصرناك ، قالوا : الله ورسوله آمن . قال : ولو شتمت قلم : جئنا عائلاً فأسيناك ، قالوا : الله ورسوله آمن . قال : أفلا ترضون أن ينقلب الناس بالشاة والبعير وتنقلبون برسول الله إلى رحالكم ؟ قالوا : بلى ، رضينا . قال : ولو أن الناس سلكوا وادياً أو شعباً لسلكت وادي الأنصار وشعبهم ، ولولا الهجرة لكنتُ امرءاً من الأنصار ، الناس دثار والأنصار شعار .

٥٤ - [توبة أبي محجن الثقفي رضي الله عنه] (١)

أخبرنا الرئيس العالم الأديب أبو العز محمد بن محمد بن مواهب ابن الخراساني قال : أنا أبو غالب محمد بن عبد الواحد القزاز ، أنا أبو الحسن علي بن عمر البرمكي وأبو الحسين بن النقور قالوا : أنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن الخلص ، أنا أبو بكر أحمد بن عبد الله بن سيف ، أنا أبو عبيدة السري بن يحيى ، أنا شعيب بن إبراهيم ، قال : أنبا سيف بن عمر التميمي ، عن محمد وطلحة وابن مخراق وزيد ، قالوا :

(١) هو أبو محجن الثقفي الشاعر المشهور ، مختلف في اسمه ، فقيل : عمرو بن جيب ابن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن عنزة بن عوف بن ثقيف ، وقيل : اسمه كنيته . وقيل : اسمه مالك ، وقيل : عبد الله ، وأمه كنود بنت عبد شمس . قال الحاكم : له صحبته .

لما اشتد القتال بالسواد - يعني في القادسية - وكان أبو محجن قد
 حبس وقيد فهو في القصر ، فأتى سلمى بنت حفصة امرأة سعد ، فقال :
 يا بنت آل حفصة ! هل لك إلى خير ؟ قالت : وما ذاك ؟ قال : تخلين
 عني وتعيريني باللقاء ، فله علي إن سلمني الله أن أرجع حتى أضع رجلي
 في قيدي ، وإن أصبت فما أكثر من أفلت . فقالت : ما أنا وذاك ؟
 فرجع يرسف في قيوده ويقول :

كفني حزناً أن تُردي الخيل بالقنا وأترك مشدوداً علي وثاقياً
 إذا قتت عنائي الحديد وغلقت مصاريع دوني قد تصم المنادياً
 وقد كنت ذامال كثير وإخوة فقد تركوني واحداً لا أخالياً
 والله عهد لا أخيس بعهدِه لئن فرجت أن لأزور الحوانيا

فقال سلمى : إني استخرت الله ورضيت بعهدك . فاطلقته .

فاقتاد الفرس فأخرجها من باب القصر فركبها ، ثم دب عليها حتى
 إذا كان بجيال الميمنة كبر ، ثم حمل على ميسرة القوم يلعب برمح
 وسلاحه بين الصفين . ثم رجع من خلف المسلمين إلى الميسرة ، فكبر
 على ميمنة القوم يلعب بين الصفين برمح وسلاحه ، ثم رجع خلف المسلمين
 إلى القلب فبدر أمام الناس فحمل على القوم يلعب بين الصفين برمح
 وسلاحه . وكان يقصف الناس ليلتئذ قصفاً منكراً ، وتعجب الناس
 منه وهم لا يعرفونه ولم يروه من النهار .

فقال بعضهم : أوائل أصحاب هاشم ، أو هاشم نفسه . وقال بعضهم :

إن كان الخضير يشهد الحروب فنظن صاحب البلقاء الخضر . وقال
 بعضهم : والله لولا أن الملائكة لا تبشر لقلت : مَلَكٌ بيننا .
 ولا يذكره الناس ولا يابسون له لأنه بات في محبسه . وجعل سعد يقول :
 والله لولا محبس أبي محجن لقلت : إن هذا أبو محجن وهذه البلقاء . فلما
 انتصف الليل تحاجز الناس وتراجع المسلمون . وأقبل أبو محجن حتى
 دخل من حيث خرج ، فوضع عن نفسه ودابته وأعاد رجله في قيديه .
 وذكر عبد الرزاق قال : وأخبرنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين ،
 قال : كان أبو محجن الثقفي لا يزال يجلد في الحجر ، فما أكثر عليهم
 سجنوه وأوثقوه . فلما كان يوم القادسية فكانه رأى أن المشركين قد
 أصابوا في المسلمين . فأرسل إلى أم ولد سعد أو امرأة سعد : إن
 أبا محجن يقول لك : إن خليت سبيله وحملته على هذا الفرس ودفعت
 إليه سلاحاً ليكون أول من يرجع إليك إلا أن يقتل . وأنشأ يقول :
 كفى حزناً أن تلتقي الخيل بالقنا وأترك مشدوداً عليّ وثاقياً
 إذا قت عُناني الحديدُ وغلقتُ مصاريعُ من دوني تصمُّ المنايا
 فحلت عنه قيوده وحمل على فرس كان في الدار وأعطي سلاحاً .
 ثم خرج يركض حتى لحق بالقوم ، فجعل لا يزال يحمل على رجل فيقتله
 ويدق صلبه . فنظر إليه سعد فجعل يتعجب ويقول : من ذاك الفارس ؟
 قال : فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى هزمهم الله . ورجع أبو محجن ورد

(١) في « أ » : ملكاً ، وفي « ب » : والطبوعة : ملكاً يبتنا ، وهو خطأ .

السلاح وجعل رجله في القيود كما كان . فجاء سعد ، فقالت له امرأته :
كيف كان قتالكم ؟ فجعل يخبرها ويقول : لقينا ولقينا ، حتى بعث
الله رجلاً على فرس أبلق ، لولا أني تركت أبا محجن في القيود لقلت :
إنها بعض شمائل أبي محجن . فقالت : والله إنه لأبو محجن ، كان من
أمره كذا وكذا . فقصت عليه قصته .

فدعا به ، فحل قيوده وقال : لا تجلدك على الخمر أبداً . قال أبو
محجن : وأنا والله لا أشربها أبداً ، كنت آنف أن أدعها من أجل جلدكم .
قال : فلم يشربها بعد ذلك .

وقيل : قال أبو محجن : قد كنت أشربها إذ يقام علي الحد وأطهر
منها ، فأما إذ بهر جنتي ، فوالله لا أشربها أبداً . وكان أبو محجن أسلم
حين أسلمت ثقيف . وسمع من النبي ﷺ وروى عنه . واسمه مالك ،
وقيل : عبد الله بن حبيب ، وقيل : اسمه كنيته .

٥٥ - [نوبة طلحة بن خويلد رضي الله عنه ^(١)]

أخبرنا أبو منصور جعفر بن عبد الله بن الدامغاني ، أنا أبو الحسين
المبارك بن عبد الجبار الصيرفي ، أنا أبو منصور بن السواق ^(٢) ، أنا أبو
القاسم إبراهيم بن أحمد الحرقي ، أنا أبو بكر أحمد بن الحسين بن سفيان ^(٣) ،

(١) هو طلحة بن خويلد بن نوفل بن فضالة بن الأشتر بن حيوان بن قيس الأسدي
المعصومي رضي الله عنه .

(٢) في « ب » : ابن السوار .

(٣) في « ب » والمطبوعة : سفير ، وفي « أ » نسخة : شفير .

أنا أبو جعفر أحمد بن عبيد بن ناصح ، أنا محمد بن الواقدي ، وذكر
أمر طليحة بن خويلد حين تنبأ وقتاله إلى أن كسر عسكره ، قال :
فحدثني موسى بن محمد إبراهيم التميمي عن أبيه ، قال :

لما رأى طليحة أن الناس يقتلون ويؤسرون أعدّ فرسه وهياً
امرأته عنده ، فوثب على فرسه وحمل امرأته فنجأ بها ، وقال : من
استطاع منكم أن يفعل كما فعلت فليفعل . ثم هرب حتى قدم الشام ،
فأقام عند بني جفنة الغسانيين حتى فتح الله أجنادين وتوفي أبو بكر .
فقدم في خلافة عمر مكة محرماً . فلما رآه عمر قال : يا طليحة !
لا أحبك بعد قتلك الرجلين الصالحين عكاشة وثابت بن أقرم . وكان
قتلها هو وأخوه . قال : يا أمير المؤمنين ! رجلان أكرمها الله بيدي
ولم يهني بأيديهما ، وما كل البيوت بنيت على الحب ولكن صفحة جميلة ،
فإن الناس يتصافحون على الشنان .

وأسلم إسلاماً صحيحاً ولم يغمص عليه في إسلامه . وقال يعتذر
ويذكر ما كان منه :

ندمتُ على ما كان من قتلِ ثابتٍ وعكاشة الغنميِّ ثم ابنِ معبدٍ
وأعظمُ من هاتينِ عندي مصيبةٌ رُجوعي عن الإسلامِ ففعلتُ التعمدِ
وتركي بلادي والحوادثُ جمةٌ طريداً وقيداً كنتُ غيرَ مطردٍ
فهل يقبلُ الصديقُ أني مراجعٌ ومعطٍ بما أحدثتُ من حدثِ يدي

وَأَنِّي مِنْ بَعْدِ الضَّلَالَةِ شَاهِدٌ شَهَادَةَ حَقٍّ لَسْتُ فِيهَا بِلِحْدِ
بَانَ إِلَهَ النَّاسِ رَبِّي وَأَنْبِي دَلِيلٌ وَأَنَّ الدِّينَ دِينَ مُحَمَّدٍ
قَالَ الْوَاقِدِيُّ : وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ أَنَّ طَلِيحَةَ خَرَجَ غَازِيَا
هُوَ وَأَصْحَابُهُ يَرِيدُونَ الرُّومَ . فَرَكِبُوا الْبَحْرَ ، فَبَيْنَمَا هُمْ مُلْجَجِينَ فِيهِ ،
إِذْ نَادَاهُمْ قَادِسٌ مِنْ تِلْكَ الْقَوَادِسِ ، فِيهِ نَاسٌ مِنَ الرُّومِ . فَقَالُوا لَهُمْ : إِنْ
شِئْتُمْ أَنْ تَقْفُوا لَنَا حَتَّى نَتَّحِبَ فِي سَفِينَتِكُمْ ، وَإِنْ شِئْتُمْ وَقَفْنَا لَكُمْ حَتَّى
تَشْبُوا عَلَيْنَا فِي سَفِينَتِنَا . قَالَ طَلِيحَةُ لِأَصْحَابِهِ : مَا يَقُولُونَ ؟ فَأَخْبَرُوهُ .
فَقَالَ طَلِيحَةُ : لِأَضْرَبَنَّكُمْ بِسَيْفِي مَا اسْتَمْسَكَ فِي يَدِي أَوْ لِتَقْرَبَنَّ
سَفِينَتِنَا إِلَيْهِمْ . قَالَ : فَدَنَا الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ . قَالَ طَلِيحَةُ
لِأَصْحَابِهِ : اقْدِفُونِي فِي سَفِينَتِهِمْ ، فَرَمُوا بِهِ فِي سَفِينَتِهِمْ ، فَغَشِيَهُمْ بِسَيْفِهِ
حَتَّى تَطَايَرُوا مِنْهُ . فَغَرِقَ مِنْ غَرَقٍ وَاسْتَسْلَمَ مِنْ اسْتَسْلَمَ . فَبَلَغَ ذَلِكَ
عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَأَعْجَبَهُ .

وذكر سيف بن عمر عن أبي عمرو عن أبي عثمان النهدي^(١) ، قال :
أخرج سعد^(٢) طليحة في خمسة ، وعمرو بن معدي كرب في خمسة
- يعني عيوناً له - صبيحة قدم رستم الجالينوس وذا الحاجب . فرجع
عمرو وأصحابه وأصحاب طليحة لمارأوا كثرة عدوهم . ومضى طليحة
حتى دخل عسكر رستم وبات فيه يجوسه . فلما أدير الليل خرج وقد
أتى أفضل من توسم في ناحية العسكر . فإذا فرس لم ير في خيل القوم
مثله ، وفسطاط^(٣) أبيض لم ير مثله . فانتضى سيفه فقطع مقود الفرس ، فركبه
وخرج يعدو به .

(١) في المطبوعة : الهندي ، بتقديم الهاء على النون ، وهو تحريف .

(٢) في « أ » و « ب » المطبوعة : فسطاط .

ونذر به الرجل والقوم ، فركبوا الصعبة والذلول في طلبه .
فأصبح وقد لحقه فارس . فلما غشيه وبوأ له الرمح ليضعه عدل
طليحة فرسه ، فندر الفارسي بين يديه . ففكر عليه طليحة فقضم
ظهره بالرمح . ثم لحقه آخر ، ففعل به مثل ذلك . ثم لحق به آخر ،
ففعل به مثل ذلك . فلما كر عليه طليحة ، عرف أنه قاتله فاستأسر .
فأمره طليحة أن يركض بين يديه ، ففعل حتى غشيا عسكر المسلمين
وهم على تعبئة . فأفزع الناس وجوزوه إلى سعد فأخبره بما صنع .
وجيء بالترجمان فأقيم بين يدي سعد والفارسي .

فقال الفارسي : أخبركم عن صاحبي هذا قبل أن أخبركم عما قبلي .
باشرت الحروب وغشيتها وسمعت بالأبطال ولقيتها منذ أنا غلام إلى أن
بلغت ما ترى . فلم أسمع بمثل هذا ، أن رجلاً قطع عسكرين لا تجترىء
عليهما الأبطال إلى عسكر فيه سبعون ألفاً يخدم الرجل منهم الخمسة
والعشرة إلى ما دون ذلك . فلم يرض أن يخرج كما دخل حتى سلب
فارس الجند وهتك أطناب بيته ، فأنذره وأنذرنا به ، فأدركه فارس
الناس يعدل بألف فارس فقتله . ثم أدركه الثاني وهو نظيره فقتله .
ثم أدركته ، ولا أظنني خلفت بعدي من يعدلني ، وأنا الثائر بالقتيلين
وهما ابنا عمي ، فرأيت الموت فاستأسرت .

ثم أخبره عن أهل فارس أن الجند عشرون ومائة الف . وأسلم
الرجل ، وعاد طليحة ، وقال : والله لا تغلبون ما دمتم على ما أرى من
الوفاء والصدق والإصلاح . فكان من أهل البلاء يومئذ^(١) .

(١) كتب هنا في الأصل « ب » : آخر الجزء الثالث من الأصل .

ذكر التوابين من ملوك هذه الامة

٥٧ [-نوبة ذي الكلاع]^(١)

ذكر محمد بن أحمد بن البراء في كتاب «الروضة»: أنا محمد بن الرصافي، ثنا سليمان بن معبد، ثنا سعيد بن عفير المصري، ثنا علوان بن داود عن رجل من قومه، قال:

بعثني أهلي في الجاهلية إلى ذي الكلاع بهدية. فأقت بيابه سنة لا أصيل إليه. ثم اطلع اطلاعةً من قصره فلم يبق حول قصره أحد إلا خرّ له ساجداً. ثم أمر بهديته فقبلت. ثم رأيت في الإسلام، قد

(١) ذو الكلاع: لقب لقب به، من التكلع، وهو التحالف والتجمّع، وذو الكلاع، اثنان: ذو الكلاع الأكبر، وذو الكلاع الأصغر، وهو حفيد ذي الكلاع الأكبر، والمقصود به هنا: الأصغر، واسمه: سيفع بن فاكور بن عمرو بن يعفر بن ذي الكلاع الأكبر، أبو شراحيل الحميري من ملوك اليمن المعروفين بالأذواء، كان في أواخر العصر الجاهلي، ولما ظهر الإسلام أسلم ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم، وقدم المدينة في زمن عمر، فروى عنه، وشهد وقعة اليرموك وفتح دمشق، ثم سكن حمص وتولى قيادة أهلها في جيش معاوية أيام صفين وقتل بها، وكان جسيماً وسيماً، والمؤرخون مختلفون في ضبط اسمه واسم أبيه، ولكنهم متفقون على تعريفه بذوي الكلاع.

اشترى لحماً بدرهم وهو على فرس ، قد سمط اللحم " على فرسه ،
وهو يقول :

أف للدين إذا كانت كذا كل يوم أنا منها في أذى
ولقد كنت إذا ما قيل : من أنعم الناس معاشاً ؟ قيل : ذا
ثم بدلت بعيشي شقوةً حبذا هذا شقاءً حبذا

وروى ابن دريد عن الرياشي عن الأصمعي ، قال : كان رسول الله
ﷺ كاتباً ذا الكلاع من ملوك الطوائف على يد جرير بن عبد الله
يدعوه إلى الإسلام ، وكان قد استعلى أمره حتى ادعى الربوبية وأطيع
حتى مات النبي ﷺ قبل عودة جرير ، وأقام ذو الكلاع على ما هو
عليه إلى أيام عمر ، ثم رغب في الإسلام ، فوفد على عمر ومعه ثمانية
آلاف عبد ، فأسلم على يده وأعتق من عبيده أربعة آلاف . فقال له عمر :
يا ذا الكلاع ! بعني ما بقي من عبيدك حتى أعطيك ثلث أثمانهم هاهنا ،
وثلثاً باليمن ، وثلثاً بالشام . قال : أجلني يومي هذا أفكر فيما قلت ،
ومضى إلى منزله فاعتقهم جميعاً . فلما غدا على عمر ، قال له : ما رأيك
فما قلت لك في عبيدك ؟ قال : قد اختار الله لي ولهم خيراً مما رأيت .
قال : وما هو ؟ قال : هم أحرار لوجه الله . قال : قد أصبت والله ،
يا ذا الكلاع ! قال : يا أمير المؤمنين ! لي ذنب ما أظن أن الله يغفره لي .

(١) أي طئفة .

(٢) هو جرير بن عبد البجلي الصحابي رضي الله عنه .

قال : وما هو ؟ قال : توأريت عن يتعبد لي ثم أشرفت عليهم من مكان عالٍ ، فسجد لي زهاء مائة ألف^(١) إنسان . فقال عمر : التوبة بالإخلاص والإنابة بالإقلاع يرجى بهما مع رافة الله الغفران . قال الله تعالى : ﴿ لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ [الزمر : ٥٣]^(٢) .

٥٨ - [نونية امير وناجر]

أخبرنا الشيخ أبو الفرج^(٣) أنا أبو القاسم هبة الله بن أحمد قال : أنا أبو بكر محمد بن علي الحياط ، أنا أحمد بن محمد بن العلاف ، ثنا الحسين بن صفوان ، ثنا أبو بكر القرشي ، حدثني محمد بن الحسين ، أخبرني أبو عمر العمري ، حدثني عبيد الله بن صدقة بن مرداس البكري عن أبيه ، قال :

نظرت إلى ثلاثة أقبر على شرف من الأرض مما يلي بلاد أنطاكية^(٤) فإذا على أحدها مكتوب :

(١) 'زهاء مائة ألف: قدر مائة ألف .

(٢) والآية بتامها : (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يقفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم) .

(٣) هو الإمام عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، وقد تقدم مراراً .

(٤) أنطاكية : قصبة العواصم من الثغور الشامية ، وهي من أعيان البلاد وأماها موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعتوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير ، فتحت في زمن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه . وكانت العرب إذا أعجبها شيء نسبتها إلى أنطاكية .

وجاء في « ب » و « المطبوعة » : أنطابلس ، بدل أنطاكية . وهي مدينة بين الاسكندرية وبرقة .

وكيف يلدُ العيشَ منْ هوَ عالمٌ
فيأخذُ منه ظلمه لِعبادِه
بأنَّ إلهَ الخلقِ لا بد سائلُهُ
ويجزيه بالخيرِ الذي هوَ فاعلُهُ

وإذا على القبرِ الثاني :

وكيف يلدُ العيشَ منْ كانَ موقناً
فقلبُهُ ملكاً عظيماً ونخوةً^(١)
بأنَّ المنايا^(٢) بغتةً ستُعاجلُهُ
وتُسكِنُهُ البيتَ الذي هوَ أهلُهُ

وإذا على القبرِ الثالثِ إلى جنبِهما :

وكيف يلدُ العيشَ منْ كانَ صائراً
ويذهبُ رسمَ الوجهِ من بعدِ صونه
إلى جدِّ^(٣) تبليَ الشبابِ مناهله^(٤)
سريعاً ويبلى جسمه ومفاصله

وإذا هي قبورُ مسنِّمةٍ على قدرِ واحدٍ مصطفةً . فقلتُ لشيخٍ
جلستُ إليه : لقد رأيتُ في قريبتكم عجباً . قال : وما رأيتُ ؟
فقصتُ عليه قصةَ القبورِ . قال : فحديثهم أعجب مما رأيتُ على
قبورهم .

قال : فقلتُ : حدثني . قال : كانوا ثلاثة إخوة ، أميرٌ يصحبُ
السلطانَ ويؤمُّرُ على المدائنِ والجيوشِ ، وتاجرٌ موسرٌ مطاعٌ في خاصته ،

(١) جمع منية ، وهو الموت .

(٢) النخوة : الافتخار والتعظيم .

(٣) الجدث : القبر ، والجمع : أجدث ، وأجدات ، ومنه قوله تعالى في سورة
[يس : ٥١] (ونفخ في الصور فاذا هم من الأجدات إلى ربهم ينسلون) أي : ونفخ في
الصور النفخة الثانية ، فإذا هم من القبور إلى ربهم يخرجون بسرعة .

(٤) أي : منازله .

وزاهد قد تخلى لنفسه وتفرّد لعبادته . قال : حضرت أخام العابد الوفاة ، فاجتمع عنده أخواه . وكان الذي يصحب السلطان منهم قد ولي بلادنا هذه ، أمره عليها عبد الملك بن مروان ، وكان ظالماً غشوماً ^(١) متعسفاً . فاجتمعوا عند أخيها لما احتضر ^(٢) ، فقالوا له : أوص . قال : لا والله ما لي من مالٍ فأوصي فيه ، ولا لي على أحد دين فأوصي به ، ولا أخلف من الدنيا شيئاً فأسلبه . فقال له أخوه ذو السلطان : أي أخي اقل لي ما بدالك ، فهذا مالي بين يديك ، فأوص منه بما أحببت ، وأنفذ منه ما بدالك ، واعهد إليّ بما شئت . قال : فسكت عنه . فقال أخوه التاجر : أي أخي! قد عرفت مكسي وكثرة مالي ، فلعلّ في قلبك غصة من الخير لم تكن تبلغها إلا بالإنفاق فيها ، فهذا مالي بين يديك ، فاحتكم فيه بما أحببت ينفذ لك أخوك .

فأقبل عليها ، فقال : لا حاجة لي في مالكما ، ولكني سأعهد إليكما عهداً فلا تخالفا عهدي . قالوا : اعهد . قال : إذا مت فغسلاني وكفناني وادفناني على نشز من الأرض ^(٣) واكتب على قبري :

وكيف يلد العيش من هو عالم
بأنّ إله الخلق لا بدّ سائله

(١) من الغشم ، وهو الظلم أيضاً ، وكذلك التعسف .

(٢) أي حضره الموت .

(٣) أي على مرتفع من الأرض .

فياخذُ منه ظلمه لعباده

ويجزيه بالخير الذي هو فاعله

فإذا أتتا فعلتا ذلك فأتيا في كل يوم مرة لعلكما أن تتعظا .

قال : ففعلنا ذلك لما مات . قال : وكان أخوه يركب في جنده حتى يقف على القبر . فينزل فيقرأ ما عليه ويبيكي . فلما كان في اليوم الثالث جاء كما كان يبكي مع الجنده ، فنزل فبكى كما كان يبكي . فلما أراد أن ينصرف سمع هدة^(١) من داخل القبر كاد ينصدع لها قلبه ، فانصرف مذعوراً فرعاً^(٢) . فلما كان الليل رأى أخاه في منامه . فقال : أي أخي ! ما الذي سمعت من قبرك ؟ قال : تلك هدة المضمعة . قيل لي : رأيت مظلوماً فلم تنصره . قال : فأصبح مهموماً . فدعا أخاه وخاصته وقال : ما أرى أخي أراد بما أوصانا أن نكتب على قبره غيري ، وإني أشهدكم أنني لا أقيم بين ظهرانيكم أبداً . قال : فترك الإمارة ولزم العبادة . وكتب إلى عبد الملك ابن مروان في ذلك ، فكتب أن خلوه وما أراد . فكان إنما يأوي الجبال والبراري حتى حضرته الوفاة في هذا الجبل وهو مع بعض الرعاة . فبلغ ذلك أخاه ، فأتاه فقال : أي أخي ! ألا توصي ؟ قال : بم أوصي ؟ ما لي من مال فأوصي به ؛ ولكن أعهد إليك عهداً ؛ إذا أنامت فبواتني قبري^(٣) فادفني إلى جنب أخي واكتب على قبري :

(١) أي صوتاً خليطاً .

(٢) أي خائفاً .

(٣) أي : أنزلني قبري .

وكيف يلدُ العيش من كان موقناً
بأن المنايا بفتة ستعاجله
فتسلُّبه ملكاً عظيماً ونخوة
وتُسكِّنه القبر الذي هو أهله

ثم تعاهدني ثلاثاً ، فادع لي لعل الله أن يرحمني .

قال : فمات ، ففعل به أخوه ذلك . فلما كان اليوم الثالث من إتيانه إياه ، فدعاه وبكى عند قبره . فلما أراد أن ينصرف سمع وجبة من القبر^(١) كادت تُذهل عقله ، فرجع متقللاً . فلما كان من الليل إذا بأخيه في منامه قد أتاه . قال ذلك الرجل : فلما رأيت أخي وثبت إليه ، فقلت : أي أخي ! أتيتنا زائراً ؟ قال : هيات^(٢) أخي ! بعد المزار^(٣) واطمانت بنا الديار . قلت : أي أخي ! كيف أنت ؟ قال : بخير ، ما أجمع التوبة لكل خير ! قال : قلت : فكيف أخي ؟ قال : ذلك مع الأئمة الأبرار . قال : قلت : فما أمرنا قبلكم ؟ قال : من قدم شيئاً من الدنيا والآخرة وجده ، فاغتمم وجدك قبل فقرك . قال : فاصبح أخوه مغتزلاً للدنيا قد انخلع منها ، ففرق ماله وقسم ريبه^(٣) وأقبل على طاعة الله تعالى . قال : ونشأ له ابن كاهياً الشباب وجهاً وجمالاً . فاقبل

(١) الوجبة : السقطه مع الهدية ، أو صوت الساقط .

(٢) في المطبوعة : هيات بكسر التاء .

(٣) الرباع ، واحدهما : ربيع ، وهي الدار بعينها حيث كانت .

على التجارة حتى بلغ منها . وحضرت أباه الوفاة ، فقال له ابنه :
يا أبت ألا توصي ؟ قال : والله يا بني ! ما لأبيك مال فيوصي فيه
ولكني أعهد إليك عهداً ، إذا أنامت فادفني مع عمومتك واكتب على
قبري هذين البيتين :

وَكَيْفَ يَلِدُ الْعَيْشَ مَنْ هُوَ صَائِرٌ

إلى جدتِ تبلى الشبابَ منازلِهِ

ويذهبُ رَسْمُ الْوَجْهِ مِنْ بَعْدِ صَوْنِهِ

سريعاً ويبلى جسمهُ ومفاصلُهُ

فإذا فعلت ذلك فتعاهدني بنفسي ثلاثاً ، فادع لي .

ففعل الفتى ذلك . فلما كان اليوم الثالث سمع من القبر صوتاً
اقشعراً له جلده وتغير له لونه ، فرجع منه محمواً إلى أهله . فلما كان
من الليل أتاه أبوه في منامه ، فقال له : أي بني ! أنت عندنا عن قليل ،
والأمر بأخره ، والموت أقرب من ذلك ، فاستعدّ لسفرك وتأهب
لرحيلك وحوّل جهازك من المنزل الذي أنت عنه ظاعن إلى المنزل
الذي أنت فيه مقيم ، ولا تغترّ بما اغترّ به المبطلون قبلك من طول
أماهم فقصروا عن أمر معادهم فندموا عند الموت أشدّ الندامة ، وأسفوا
على تضييع العمر أشدّ الأسف ، فلا الندامة عند الموت تنفعهم ، ولا الأسف
على التقصير أنقذهم من شرّ ما وافى به المغبونون مليكهم يوم القيامة ،
أي بني ! فبادر ! ثم بادر ! ثم بادر !

قال عبيد الله بن صدقة : قال الشيخ الذي حدثني بهذا الحديث :

فدخلت على هذا الفتى صبيحة ليلته من هذه الرؤيا ، فقصها علينا ،
 وقال : ما أرى الأمر إلا كما قال أبي ، ولا أرى الموت إلا قد أظلني .
 قال : فيجعل يفرق ماله ويقضي ما عليه من الدين ويستحلّ خطاءه
 ومعاملية ومجملهم ويسلم عليهم ويودّهم ويودّ عونه ، كهيئة رجل قد
 أنذر بأمر فهو يتوقعه . وكان يقول : قال أبي : فبادر ! ثم بادر ! ثم
 بادر ! فهذه ثلاث ، فهي ثلاث ساعات قد مضت فليست بها ، أو ثلاثة
 أيام وأنسى لي بها ، أو ثلاثة أشهر وما أُراني أدركها ، أو ثلاث سنين
 فهو أكثر من ذلك ، وما أحبّ أن يكون ذلك كذلك .

قال : فلم يزل يعطي ويقسم ويتصدق ثلاثة أيام ، حتى إذا كان
 في آخر اليوم الثالث من صبيحة هذه الرؤيا دعا أهله وولده فودّهم
 وسلم عليهم . ثم استقبل القبلة ، فدّد نفسه وأغمض عينيه وتشهد شهادة
 الحقّ ، ثم مات رحمه الله تعالى . قال : فكث الناس حيناً يفتابون
 قبره^(١) من الأمصار فيصلون عليه .

٥٩ - [نوبة ملك من ملوك البصرة]

وأبناؤنا المبارك بن عليّ ، أنا هبة الله بن أحمد الجريري ، أنا أبو
 طالب العشاري ، أنا محمد بن عبد الله الدقاق ، أنا الحسن بن صفوان ،

(١) يأتون قبره مرة بعد أخرى .

قال : أنا ابن أبي الدنيا قال : حدثني محمد بن الحسين ، قال : حدثني سليمان بن أيوب قال : سمعت عبّاد بن عبّاد المهلبّي يقول :

إن ملكاً من ملوك أهل البصرة تنسك^(١) . ثم مال إلى الدنيا والسلطان ، فبنى داراً وشيدّها ، وأمر بها ففرشت له ونجّدت ، واتخذ مائدة وصنع طعاماً ودعا الناس . فجعلوا يدخلون عليه ويأكلون ويشربون وينظرون إلى بنيانه ويعجبون من ذلك ويدعون له ويتفرّقون . قال : فكث بذلك أياماً حتى فرغ من أمر الناس . ثم جلس ونفر^(٢) من خاصة إخوانه ، فقال : قد ترون سروري بداري هذه ، وقد حدثت نفسي أن أتخذ لكل واحد من ولدي مثلها ، فأقيموا عندي أياماً أستمتع بمديثكم وأشاوركم فيما أريد من هذا البناء لولدي . فأقاموا عنده أياماً يلّهون ويلعبون ، ويشاورهم كيف يبني لولده ، وكيف يريد أن يصنع .

فبينما هم ذات ليلة في لهوهم ذلك إذ سمعوا قائلاً من أقاصي الدار :
يا أيها الباني [و] الناسي منيته
لا تأملنّ فإنّ الموت مكتوب
على الخلائق إن سرّوا وإن فرحوا
فالموت حتفٌ لذي الآمال منصوب

(١) من النسك ، وهو العبادة ، وكل حق لله تعالى . وقد تنسك كنهض وكرم ، وتنسك تنسكاً .

(٢) في المطبوعة : ونفراً .

لا تَبْنِينَ دِيَاراً لستَ تَسْكُنُهَا

وراجع النسك كما يُغْفَرُ الْحُوبُ^(١)

قال : ففزع لذلك وفزع أصحابه فزعاً شديداً وراعهم^(٢) ما سمعوا من ذلك . فقال لأصحابه : هل سمعتم ما سمعت ؟ قالوا : نعم . قال : فهل تجدون ما أجد ؟ قالوا : وما تجد ؟ قال : أجد والله مسكة على فؤادي وما أراها إلا علة الموت . قالوا : كلا ، بل البقاء والعافية .

قال : فبكى ، ثم أقبل عليهم ، فقال : أنتم أخلائي وإخواني ، فإذا لي عندكم ؟ قالوا : مرنا بما أحببت من أمرك . قال : فامر بالشراب فأهريق ، ثم أمر بالملاهي فأخرجت ، ثم قال : اللهم ! إني أشهدك ومن حضرني من عبادك أني تائب إليك من جميع ذنوبي ، نادم على ما فرطت في أيام مهلتي ، وإياك أسأل إن أقلتني أن تتم نعمتك علي بالإجابة إلى طاعتك ، وإن أنت قبضتني إليك أن تغفر لي ذنوبي تفضلاً منك علي . واشتد به الألم ، فلم يزل يقول : الموت والله ! الموت والله ! حتى خرجت نفسه . فكان الفقهاء يرون أنه مات على توبة .

٦٠ - [توبة ملك من مالوك البصرة وجاربه]

وروي عن مالك بن دينار رحمه الله . أنه كان يوماً ماشياً في أزقة البصرة . فإذا هو بجارية من جواري الملوك راكبة ومعها الخدم ، فلما

(١) الحوب بفتح الحاء والخوب بضمها والحاب . الإثم ، وهو الذنب .

(٢) أفزعهم وخوفهم .

رآها مالك ، نادى : . أيتها الجارية ! أبيعك مولاك ؟ قالت : كيف
 قلت يا شيخ ؟ قال : أبيعك مولاك ؟ قالت : ولو باعني كان
 مثلك يشتريني ؟ قال : نعم ، وخير أمنك . فضحكت وأمرت أن
 يحمل إلى دارها ، فحمل ، فدخلت إلى مولاهما فأخبرته . فضحك وأمر
 أن يدخل إليه . فدخل ، فألقيت له الهيبة في قلب السيد ، فقال :
 ما حاجتك ؟ قال : بعني جاريتك ، قال : أو تطبيق أداء ثمنها ؟ قال :
 فثمنها عندي نواتان مسوستان . فضحكوا ، وقالوا : كيف كان ثمنها
 عندك هذا ؟ قال : لكثرة عيوبها . قالوا : وما عيوبها ؟ قال : إن لم
 تتعطر زفرت ، وإن لم تستك بخرت ، وإن لم تمتشط وتدهن قلت
 وشعثت ، وإن تعمّر عن قليل هرمت ، ذات حيض وبول وأقذار
 حجة ، ولعلها لا تودك إلا لنفسها ، ولا تحبك إلا لشغفها بك ، لا تفي
 بعهديك ، ولا تصدق في ودك ، ولا يخلف عليها أحد من بعدك إلا رآته
 مثلك ، وأنا آخذ بدون ما سألت في جاريتك من الثمن جارية خلقت
 من سلالة الكافور^(١) ، لو مزج بريقها أجاج^(٢) لطاب ، ولو دُعي
 بكلامها ميت لأجاب ، ولو بدا معصمها للشمس لأظلمت دونه ، ولو بدا
 في الليل لسطع نوره ، ولو واجهت الأفاق بجليها وحللها لتخرفت ،
 نشأت بين رياض المسك والزعفران ، وقصرت في أكنان النعيم ،
 وغذيت بماء التسنيم^(٣) ، فلا تخلف عهدا ، ولا يثبّدل ودّها ؛ فأيسما

(١) الكافور . نبت طيب، نورمه كنور الأفيون وهو طيب الرائحة .

(٢) أي ملح ومُر .

(٣) التسنيم . أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه .

أحقّ برفعة الثمن؟ قال: التي وصفت. قال: فإنها الموجودة الثمن
القريبة المحطّب. قال: فإثنها رحمتك الله؟ قال: اليسير المبذول، أن
تفرّغ ساعة في ليلتك فتصلي ركعتين تخلصها لربك، وأن يوضع
طعامك فتذكر جائعك فتؤثر الله على شهوتك، وأن ترفع عن الطريق
حجراً أو قدراً، وأن تقطع أيامك بالبلغة^(١) وترفع همتك عن دار
الغفلة، فتعيش في الدنيا بعز القنوع، وتأتي غداً إلى موقف الكرامة
آمناً، وتنزل غداً في الجنة مخلداً.

فقال الرجل: يا جارية! أسمع ما قال شيخنا هذا؟ قالت: نعم.
قال: أفصدق أم كذب؟ قالت: بل صدق وبرّ ونصح. قال: فانت
إذا حرّرت لوجه الله، وضيعة كذا وكذا صدقة عليك، وأنتم أيها الخدّام،
أحرار، وضيعة كذا وكذا لكم، وهذه الدار بما فيها صدقة مع جميع مالي
في سبيل الله. ثم مدّ يده إلى ستر خشن كان على بعض أبوابه فاجتذبه،
وخلع جميع ما كان عليه واستتر به.

قالت الجارية: لا عيش لي بعدك يا مولاي! فرمت بكسوتها ولبست
ثوباً خشناً وخرجت معه. فودّعها مالك ودعا لها، وأخذ طريقاً
وأخذها غيره. فتعبدا جميعاً حتى جاء الموت فنقلها على حال العبادة -
رحمة الله عليهما.

(١) البلغة. ما يتبلغ به من العيش.

٦١ - [نوبة أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان] (١)

أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي قال: أنا محمد بن أبي نصر الحميدي قال: أنا الخضر بن ميمون البايي، أنا أبو بكر أحمد بن عمر البزاز، أنا أبو منصور محمد بن عيسى بن عبد العزيز، ثنا علي بن الحسن بن الربيع، ثنا أبو علي الحسن بن يزيد الدقاق عن يعقوب بن إسحاق قال: سمعت إبراهيم بن الجنيد، قال: نا موسى القطان، ثنا أحمد بن محمد، ثنا أبو علي، ثنا محمد بن علي الزعفراني قال: سمعت أحمد بن رباح الكاتب يحكي عن الهيثم بن عدي عن مروان بن محمد، قال:

دخلت عزةً صاحبةً كثيرٍ على أم البنين بنت عبد العزيز ابن مروان أخت عمر^(٢)، فقالت لها: يا عزة! ما معنى قول كثير:

قَضَى كُلُّ ذِي دَيْنٍ عَلِمْتُ غَرِيمَهُ
وَعَزَّةٌ مُمَطُولٌ مُعْنَى غَرِيمِهَا

(١) أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان، وأخت عمر بن عبد العزيز، وزوجة الوليد بن عبد الملك بن مروان. من ربات الفصاحة والبلاغة، قرعت بجوابها حجة الحجاج ابن يوسف الثقفي، وأفحمته بكلام بين. ومن كلامها الدال على كرمها وطيب أرومتها: أف لبخل، لو كان قيصاً ما لبسته، ولو كان طريقاً ما سلكته، وكان لها دار بدمشق قرب طاحونة الثقيين المعروفة بطاحونة القلعة، وكانت لها دار أخرى خارج باب الفراءيس على يسار المار إلى المقبرة.

(٢) أبي عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد رحمه الله.

ما هذا الدين الذي يذكره؟ قالت: اعفيني. قالت: لا بد من إعلامك إياي. فقالت عزة: كنت وعدته قبلة، فأتاني لينتجزها^(١) فتحرّجت عليه ولم أف له، فقالت لها أم البنين: أنجزها منه، وعليّ إثما. ثم راجعت نفسها فاستغفرت الله، وأعتقت لکلمتها هذه أربعين رقبة. وكانت إذا ذكرت ذلك بكت حتى تبلّ خمارها، وتقول: يا ليتني خرس لساني عندما تكلمت بها! وتعبّدت عبادة ذكرت بها في عصرها من شدة اجتهادها. فرفضت فراش المملكة تحيي ليها. وكانت كل جمعة تحمل على فرس في سبيل الله. وكانت تبعث إلى نسوة عابدات يجتمعن عندها ويتحدثن، فتقول: أحبّ حديثكن، فإذا قمت إلى صلاتي لهوت عنكن. وكانت تقول: البخيل كل البخيل من بخل على نفسه بالجنة. وكانت تقول: جعل لكل إنسان نعمة في شيء، وجعلت نهمتي في البذل والإعطاء، والله للعطية والصلة والمواصلة في الله أحبّ إليّ من الطعام الطيب على الجوع والشراب البارد على الظما، وهل ينال الخير إلا بالاصطناع؟ وكانت على مذهب جميل حتى توفيت رحمها الله تعالى.

٦٢ - [نوبة هشام بن عبد الملك] ^(٢)

قال موسى: وحدثنا أحمد بن محمد بن إبراهيم، ثنا القاسم بن جعفر،

(١) يقال: نجز حاجته: قضاها، كأنجزها.

(٢) هو هشام بن عبد الملك بن مروان، من أمراء الدولة الأموية، ولد في دمشق =

ثنا علي بن حجر الواسطي قال : حدثني عيسى بن الفضل بن موسى
أنه سمع إسحاق بن إبراهيم الموصلي يقول : حدثني محمد بن عبدالرحمن
الهاشمي عن أبيه عن سليمان بن خالد :

أن هشام بن عبد الملك ذكرت له ربيبةٌ لبعض عجايز الكوفة ،
موصوفةٌ مشهورةٌ ببارع الجمال ، فائقة الحسن والكمال ، قارئةٌ لكتاب
الله عز وجل ، راويةٌ للأشعار مع عقل وأدب ، فأمر أن يُبرد إلى والي
الكوفة^(١) أن تُبتاع له^(٢) بحكم مولاتها ، ويعجل حملها إليه ، وبعث في
ذلك خادماً . فلما ورد الكتاب على الوالي بعث إلى العجوز ، فابتاع^(٣)
منها الربيبة بمائتي ألف درهم وحديقة نخل تستغل منها كل سنة خمسمائة
مثقال . وجهاز الجارية وحملها إلى هشام . وفرغ لها مقصورة مفردة
أنزلها فيها مع وصائف^(٤) ، وأمر لها بأنواع اللباس وفاخر الحلي
والفرش . فبينما هو ذات يوم قد خلا بها في مستشرف قد أعدت فيه
الفرش والطيب ، فتذاكرا فيه طرائف الأخبار وبلاغة الآثار ، فازداد
بها سروراً ، واجتمعت مسرته ، إذا صوارخ ، فاستشرف هشام ، فإذا

= سنة (٨٧١) وبويع له بالخلافة فيها بعد وفاة أخيه يزيد سنة (٨١٠) نشبت في أيامه
حرب هائلة مع خاقان الترك فيما وراء النهر ، انتهت بمقتل الخاقان واستيلاء العرب على
بلادهم ، واجتمع في خزائنه مالم يجتمع في خزائنه أحد من أمراء بني أمية ، وكان حسن
السياسة يقطاً في أمره ، يباشر الأعمال بنفسه . توفي بالرصافة سنة (٨١٢٥) .

(١) أي يرسل إليه بالبريد .

(٢) أي أن تشتري له .

(٣) أي اشترى .

(٤) الوصائف جمع وصيفة ، وهي الخادمة .

بجنازة معها فثام^(١) من الناس ووراء الجنازة نسوة صارخات ، وتادبة فيما بينهن تقول: بأبي^(٢) المحمول على الأعواد، المنطلق به إلى الأموات ، الخلى في قبره قريداً ، والمكوث في لحده^(٣) غريباً ، ليت شعري ، أيها المنقول ! أنت ممن يناشد حملته: أسرعوا بي ! أم أنت ممن يناشدهم: ارجعوا بي ! إلى مَ تقدّموني؟ قال : فأهملت عينا هشام دموعاً، فلها عن لذه وجعل يقول : كفى بالموت واعظاً . فقالت غضيض : قد قطعت نياط قلبي^(٤) هذه التادبة . قال هشام : الأمر جدّ . فنادى الخادم ، فنزل عن مستشرفه فمضى ، فأغفت غضيض في مجلسها ، فأتاها آتٍ في منامها، وقال لها : أنت المفتنة بجمالك ، والملمية بدلالك ! كيف أنت إذا تقر في الناقور^(٥) ، وبعثرت القبور ، وخرجوا منها إلى النشور ، وقبولوا بالأعمال التي قدّموها؟ فاستيقظت مرتاعة^(٦) وراحت من شرايها ، فنادت بعض وصائفها ودعت بماءٍ فاغتسلت ، وألقت عنها لباسها وحليها وتدرّعت بمدرعة صوف^(٧) وحزمت وسطها بخيط ، وتناولت عصاً وألقت في عنقها جراباً^(٨) . واقتحمت مجلس هشام ،

(١) جماعة .

(٢) في المطبوعة : يا أبي ، وهو نصحيح .

(٣) اللحد : الشق يكون في عرض القبر . وفي الحديث « اللحد لنا والشق لغيرنا » رواه أحمد وأصحاب «السنن» من حديث ابن عباس ، وهو حسن .

(٤) عروق قلبي .

(٥) أي نفخ في الصور

(٦) أي خائفة .

(٧) أي لبست مدرعة صوف ، كالدرع .

(٨) الجيراب : المزود أو الوعاء .

فلما رآها أنكرها . فنادت : أنا غضيض أمّتك ، أتاني النذير ففرع
 مسامعي وعيده ، وقد قضيت مني وطراً وقد أتيتك لتعتقني من رق
 الدنيا . فقال هشام : شتان ما بين الطرفين وأنت في طربك ! اذهبي ،
 فأنت حرّة لوجه الله تعالى ، قال : أي موضع تقصدين ؟ قالت : أوّم^(١)
 بيت الله الحرام . قال : انطَلقي ، فلا سبيل لأحد عليك . فخرجت
 من دار الخلافة زاهدة في الدنيا ، راغبة في الآخرة ، سائحة على وجهها
 حتى بلغت مكة . وأقامت مجاورة صائمة قائمة تعود على نفسها بالغزل
 في قوتها . فإذا أمست طافت ، ثم تدخل الحِجر^(٢) وتقول : يا ذخري
 أنت عدّتي ، لا تقطع رجائي وأنيلني^(٣) مُنْايَ وأحْسِنُ مُنْقَلِبي
 وأَجْزِلْ عَطائي . فلم تزل في الاجتهاد حتى غير مرّ الجديدين الليل
 والنهار بشربتها ، وطول القيام جسمها ، وكثرة البكاء عينيها ،
 وأقرح المغزل بناتها ، حتى توفيت - رحمة الله عليها - على ذلك .

٦٣ - [نوبة الامير حميد بن جابر]

أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي ، أنا أحمد بن أحمد ، أنا أحمد
 ابن عبد الله الحافظ قال : حدّثني إبراهيم بن نصر ، أنا جعفر بن محمد
 ابن نصير قال : حدّثني إبراهيم بن بشار ، قال :

(١) أي أقصد .

(٢) أي حجر إسماعيل عليه السلام وهو الخطيم وهو من الكعبة .

(٣) لى المطبوعة : وأنلني بضم الهمزة ، وهو خطأ .

كنت يوماً ماراً مع إبراهيم - يعني ابن آدم - في صحراء ، فأتدنا على قبر مسنم ، فترحم عليه وبكى . فقلت : قبر من هذا ؟ فقال : هذا قبر حميد بن جابر أمير هذه المدن كلها . كان غرقاً في بحار الدنيا ، فأخرجه الله تعالى منها واستنقذه . ولقد بلغني أنه سر يوماً بشيء من ملاهي ملكه ودنياه وغروره وفتنته . ثم نام في مجلسه ذلك مع من يخصه من أهله ، فرأى في منامه رجلاً واقفاً على رأسه ، بيده كتاب . فناوله ، ففتحه ، فإذا فيه كتاب بالذهب مكتوب : لا تؤثرن فانياً على باقٍ ، ولا تغترن بملكك وقدرتك وسلطانك وخدمك وعبيدك ولذاتك وشهواتك ، فإن الذي أنت فيه جسيم لولا أنه عديم ، وهو ملك لولا أن بعده هلك ، وهو فرح وسرور لولا أنه هو وغرور ، وهو يوم لو كان يوثق له بغدٍ ، فسارع إلى أمر الله تعالى ، فإن الله تعالى قال : (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) [آل عمران : ١٣٣] (١) .

قال : فانتبه فزعاً ، وقال : هذا تنبيه من الله عز وجل وموعظة . فخرج من ملكه لا يعلم به ، وقصد هذا الجبل ، فتعبّد فيه ، فلما بلغني قصته وحدثت بأمره ، قصدته ، فسألته ، فحدثني ببدء أمره ،

(١) وبعد هذه ذكر صفات المتقين فقال : (الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين . والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا ولم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين) .

وحدثته ببده أمري ، فما زلت أقصده حتى مات ، ودُفن هاهنا ، فهذا
قبره رحمه الله .

٦٤ - [توبه ابراهيم بن ادهم]

أخبرنا محمد ، أنا أحمد ، ثنا إبراهيم بن عبد الله بن إسحاق ، ثنا
محمد بن إسحاق السراج قال : سمعت إبراهيم بن بشار خادم إبراهيم بن
أدهم يقول :

قلتُ : يا أبا إسحاق ! كيف كان أوائل أمرك ؟ قال : كان أبي من
أهل « بلخ » (١) ، وكان من ملوك خراسان ، وحبب الينا الصيد ،
فخرجت راكباً فرسي وكلي معي ، فبينما أنا كذلك ، ثار أرنب أو
ثعلب ، فحرّكتُ فرسي فسمعت نداءً من ورائي : ليس لذا خلقتَ
ولا بدأ أمرت ! فوقفْتُ أنظرَ يميناً ويسرةً ، فلم أرَ أحداً ، فقلتُ :
لعن الله إبليس ! ثم حرّكتُ فرسي فاسمع نداءً أجهر من ذلك . يا إبراهيم
ليس لذا خلقتَ ولا بدأ أمرت ! فوقفْتُ أنظرَ يميناً ويسرةً ،
فلا أرى أحداً ، فقلتُ : لعن الله إبليس ! ثم حرّكتُ فرسي فاسمع
نداءً من قربوس سرجي : يا إبراهيم ! ما لذا خلقتَ ولا بدأ أمرت !
فوقفْتُ ؛ فقلتُ : أنبّهت ! أنبّهت ! جاءني نذير من رب العالمين ،

(١) بلخ : مدينة مشهورة بخراسان ، وهي من أجلّ مدن خراسان وأكثرها خيراً ،
وأوسعها غلةً تحمل غلتها إلى جميع خراسان وإلى خوارزم ، افتتحت في أيام عثمان بن عفان
رضي الله عنه ، ويلبس إليها خلق كثير .

والله لاعصيت الله بعد يومي هذا ما عصمني ربي . فرجعت إلى أهلي ،
ثم جئت إلى أحد رعاة أبي ، فأخذت منه جبةً وكساءً ، وألقيت ثيابي
إليه ، ثم أقبلت إلى العراق ، أرض ترفعني ، وأرض تضعني ،
حتى وصلت إلى العراق . فعملت بها أياماً ، فلم يصف لي منها - يعني
الحلال - فسالت بعض المشايخ^(١) ، فقال لي : إذا أردت الحلال فعليك
ببلاد الشام ، فصيرتُ إلى بلاد الشام ، فسرت إلى مدينة يقال لها :
المنصورة وهي المصيصة^(٢) . فعملت بها أياماً فلم يصف لي شيء من
الحلال ، فسالت بعض المشايخ . فقالوا لي : إن أردت الحلال الصافي ،
فعليك بطرسوس^(٣) ، فإن فيها المباحات والعمل الكثير ، فتوجهت
إلى طرسوس فعملت بها أياماً أنظر البساتين وأحصد الحصاد . فبينما
أنا قاعد على باب البحر ، جاءني رجل فاكراني أنظر له بستانه . فكنت
في البستان أياماً كثيرة ، فإذا أنا بخادم قد أقبل ومعه أصحابه . فقعده
في مجلسه ، ثم صاح : يا ناطور ! فقلت : هوذا أنا . فقال : اذهب
فاتنا بأكبرِ رمان تقدر عليه وأطيبه . فذهبتُ فاتيتُهُ بأكبرِ رمان ،
فاخذ الخادم رمانةً فكسرها ، فوجدها حامضة ، فقال : يا ناطور !

(١) في المطبوعة : المشايخ بالهمز ، وهمز المشايخ خطأ .

(٢) المصيصة : مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم
تقارب طرسوس كانت من مشهور ثغور الاسلام ، قد رابط بها الصالحون قديماً ، وبها
ساتين كثيرة . والمصيصة أيضاً قرية من قرى دمشق قرب بيت لها .

(٣) طرسوس : مدينة بثغور الشام بين انطاكية وحلب وبلاد الروم .

أنت في بستاننا منذ كذا وكذا ، تأكل فاكهتنا وتأكل رماننا ، ولا تعرف
الحلو من الحامض ؟

قال إبراهيم : قلتُ : والله ما أكلتُ من فاكهتك شيئاً ولا أعرف
الحلو من الحامض ، فأشار الخادم إلى أصحابه ، فقال : أما تسمعون
كلام هذا ؟ أتراك لو أنك إبراهيم بن آدم مازاد على هذا ؟ فانصرف ،
فلما كان من الغد ذكر صفتي في المسجد ، فعرفني بعض الناس ، فجاء
الخادم ومعه عَنَقٌ^(١) من الناس . فلما رأته قد أقبل مع الناس اختفيتُ
خلف الشجر والناس داخلون ، فاختلطتُ معهم وهم داخلون وأنا
خارج هارب . فهذا كان أوائل أمري وخروجي من طرطوس إلى
بلاد الرمال .

[إبراهيم بن آدم^(٢) والشيخ الحاج]

أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن النقور ، قال : أنا أبو

(١) العَنَقُ : الجماعة الكثيرة من الناس ، والجمع أعناق ، يقال : جاء الفوم عنقاً
عناقاً : أي طوائف .

(٢) هو إبراهيم بن آدم بن منصور التميمي البلخي أبو اسحاق ، زاهد مشهور .
كان أبوه من أهل الغنى في بلخ ، فتفقّه ورحل إلى بغداد ، ورحل إلى العراق والشام
والحجاز ، وأخذ عن كثير من علمائها ، وكان يعيش من العمل بالحصاد وحفظ البساتين
والحمل والطحن ، واشترك مع الغزاة في قتال الروم . وجاء إلى المصيصة
(من أرض كليليكيا) عبد لآبيه يحمل إليه عشرة آلاف درهم ويخبره أن أباه قد مات في بلخ
وخلف له مالاً عظيماً ، فأعتق العبد ووهبه الدرهم ولم يبقأً جال آبيه . أخباره كثيرة ،
والأصح أنه مات ودفن في سوفن (حصن من بلاد الروم) توفي رحمه الله سنة ١٦١ هـ .

القاسم عليّ بن أحمد بن بيان ، أنا أبو القاسم بن بشران ، أنا أبو بكر محمد بن الحسين الأجرّي ، ثنا أبو الفضل العباس بن يوسف الشكليّ قال: ثنا ابراهيم بن زياد المقرئ ، ثنا عبد الله بن الفرّج ، قال: حدّثني ابراهيم بن أدهم بابتدائه كيف كان ، قال :

كنتُ يوماً في مجلس لي ، له منظره إلى الطريق ، فإذا أنا بشيخ عليه أطهار^(١) . وكان يوماً حارّاً ، فجلس في فيسء القصر ليستريح . فقلت للخادم : اخرج إلى هذا الشيخ فأقرئه مني السلام وسلّه أن يدخل إلينا ، فقد أخذ بمجامع قلبي . فخرج إليه ، فقام معه ، فدخل إليّ فسلم ، فرددت عليه السلام ، واستبشرت بدخوله وأجلسته إلى جنبي ، وعرضت عليه الطعام ، فأبى أن يأكل . فقلت له : من أين أقبلت ؟ فقال : من وراء النهر . فقلت : أين تريد ؟ قال : الحجّ . إن شاء الله تعالى . قال : وكان ذلك في أوّل يوم من العشر^(٢) أو الثاني . فقلت : في هذا الوقت ؟ فقال : بل يفعل الله ما يشاء . فقلت : الصُّحبة . فقال : إن أحببت ذلك ، حتى إذا كان الليل ، قال لي : قم ، فلبست ما يصلح للسفر ، وأخذ بيدي . وخرجنا من « بلخ » فمررنا بقريّة لنا . فلقيني رجل من الفلّاحين ، فأوصيته ببعض ما أحتاج إليه . فقدم إلينا خبزاً وبيضاً ، وسألنا أن نأكل ، فأكلنا ، وجاء بماء فشربنا .

(١) الأطهار ، واحده طمير بكسر الطاء وسكون الميم : وهو الثوب الخلق ، أو الكساء البالي من غير الصوف .

(٢) العشر الأول من شهر ذي الحجة .

وقال لي : بسم الله قم ، فأخذ بيدي ، فجعلنا نسير وأنا أنظر إلى الأرض
تُجذب من تحتنا كأنها الموج . فمررنا بمدينة بعد مدينة ، فجعل يقول :
هذه مدينة كذا ، هذه مدينة كذا ، هذه « الكوفة » (١) . ثم قال :
الموعد هاهنا في مكانك هذا في الوقت من الليل ، حتى إذا كان الوقت
إذا به قد أقبل ، فأخذ بيدي وقال : بسم الله . قال : فجعل يقول :
هذا منزل كذا ، هذا منزل كذا ، وهذه « فيد » (٢) ، وهذه المدينة (٣) ،
وأنا أنظر إلى الأرض تُجذب من تحتنا كأنها الموج . فصرنا إلى قبر
رسول الله ﷺ ، فزرناه . ثم فارقني ، وقال : الموعد في الوقت من
الليل في المصلّى ، حتى إذا كان الوقت خرجت فإذا به في المصلّى . فأخذ
بيدي ، ففعل كفعله في الأولى والثانية حتى أتينا مكة في الليل .
ففارقني ، فقبضت عليه وقلت : الصحبة . فقال : إني أريد الشام .
فقلت : أنا معك . فقال لي : إذا انقضى الحجّ فالموعد هاهنا عند زمزم ،
حتى إذا انقضى الحجّ إذا به عند زمزم . فأخذ بيدي ، فطفنا بالبيت ،
ثم خرجنا من مكة . ففعل كفعله الأول والثاني والثالث ، فإذا نحن
ببيت المقدس . فلما دخل المسجد ، قال لي : عليك السلام ! أنا على
المقام - إن شاء الله - هاهنا . ثم فارقني ، فما رأيته بعد ذلك ، ولا عرفني

(١) الكوفة : مدينة العراق الكبرى المشهورة ، مصرها سعد بن أبي وقاص
رضي الله عنه .

(٢) فيد : موضع يسمى : فيد القريبات ، وفيد : قلعة بطريق مكة .

(٣) أي المدينة المنورة مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

اسمه . قال ابراهيم : فرجعت إلى بلدي ، فجعلت أسير سير الضعفاء منزلاً بعد منزل حتى رجعت إلى « بلخ » ، فكان ذلك أول أمري .

[ابراهيم بن ادهم والبحر الهائج]

قال الشكلي : حدثنا علي بن سعيد ، قال : ثنا ابراهيم بن بشار ، قال :
ركبنا البحر مع ابراهيم بن ادهم ، فبينما نحن نسير بريح طيبة ،
وكانت مراكب كثيرة ، فعصفت ريح شديدة على المراكب فتقطعت ،
وابراهيم ملتف في عباءة مستلق . فجاء أهل المركب إليه ، فقالوا :
يا هذا ! ما ترى ما نحن فيه وأنت مستلق غير مكترث ؟ فجلس وهو
يقول : لا أفلح من لم يكن استعداً لمثل هذا اليوم ! ثم حرك شفتيه ،
وإذا هاتف ينادي من اللجة : تخافون وفيكم ابراهيم بن ادهم ؟ أيها
الريح والبحر الهائج ، اسكنا بإذن الله ! فسكن البحر وذهبت الريح
حتى صار البحر كأنه دفّ - يعني لوح خشب .

٦٥ - [نوبة شقيق البلخي]^(١)

أخبرنا أبو الفتح بن عبد الباقي ، قال : ثنا أبو الفضل الحدّاد ، أنا أبو نعيم
الحافظ ، ثنا أبو بكر محمد بن أحمد البغدادي ، ثنا عباس بن أحمد

(١) هو شقيق بن ابراهيم بن علي الأزدي البلخي ، أبو علي . زاهد فاضل من
مشاهير المشايخ في خراسان وكان من كبار المجاهدين ، استشهد في غزوة كولان : « ماوراء
النهر » . توفي رحمه الله سنة (١٩٤ هـ) .

الشاشي ، ثنا أبو عقيل الرصافي، ثنا أحمد بن عبد الله الزاهد ، قال: قال علي بن محمد بن شقيق :

كان لجدي ثلاثمائة قرية ، ولم يكن له يوم مات كفن يُكفّن فيه ،
قَدَمَهُ كُلَّهُ بين يديه ، قال : وكان خرج إلى بلاد الترك لتجارة - وهو
حَدَّث - إلى قوم يقال لهم : الخلوخية يعبدون الأصنام . فدخل إلى
بيت أصنامهم ، وعالمهم قد حلق رأسه ولحيته ولبس ثياباً حمراً
أرجوانية^(١) ، فقال له شقيق : إن هذا الذي أنت فيه باطل ، ولهؤلاء
ونك ولهذا الخلق خالقٌ صانع ليس كمثله شيء ، له الدنيا والآخرة ،
قادر على كل شيء ، رازق كل شيء . فقال له الخادم : ليس يوافق
قولك فعلك . فقال له شقيق : كيف ذلك ؟ قال : زعمت أن لك
خالقاً قادراً على كل شيء ، وقد تعنييت^(٢) إلى هاهنا لطلب الرزق ،
ولو كان كما تقول كان الذي يرزقك هاهنا يرزقك ثم فتربح العناء .
قال شقيق : فكان سبب زهدي كلام التركي . فرجع فتصدق بجميع
ما ملك وطلب العلم .

(١) أرجوانية ، أي : شديدة الحمرة .

(٢) أي : تحملت العناء ، وهو التعب والنصب . يقال : عنى عناه وتعنى : نصب .
وتعنى العناء : نجشمه .

وروى أبو سعيد^(١) بإسناد له أن عبد الله بن مرزوق كان مع المهدي في دنيا واسعة . فشرب ذات يوم على لهوٍ وسماع ، فلم يصل الظهر والعصر والمغرب ، وفي كل ذلك تنبّهه جارية حظية عنده ، فلما جاز وقت العشاء جاءت الجارية بجمرة فوضعتها على رجله ، فانزعج وقال : ما هذا ؟ قالت : جمرة من نار الدنيا ، فكيف تصنع بنار الآخرة ؟ فبكى بكاءً شديداً ، ثم قام إلى الصلاة .

ووقع في نفسه مما قالت الجارية ، فلم ير شيئاً ينجيه إلا مفارقة ما هو فيه من ماله . فاعتق جواريه وتحلّل من معامليه وتصدّق بما بقي ، حتى صار يبيع البقل ، وتبعته على ذلك الجارية . فدخل عليه سفيان بن عيينة^(٢) وفضيل بن عياض فوجدا تحت رأسه لبينةً وليس تحته شيء . فقال له سفيان : إنه لم يدع أحد الله شيئاً إلا عوّضه الله منه بدلاً ، فما عوّضك مما تركت له ؟ قال : الرضى بما أنا فيه .

(١) في المطبوعة : أبو سعد .

(٢) هو سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي أبو محمد (١٠٧ - ١٩٨ هـ) عدت الحرم المكّي من الموالي ، ولد بالكوفة وسكن مكة وتوفي بها ، كان حافظاً ثقة ، واسع العلم ، كبير القدر ، له « الجامع » في الحديث ، وكتاب في « التفسير » .

وذكر أبو القاسم التنوخي عن أبيه أن جعفر بن حرب كان يتقلد كبار الأعمال للسلطان . وكانت نعمته تقارب نعمة الوزارة في غاية الوفور ، ومنزلته بجالها في الجلالة . فسمع رجلاً يقرأ : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [الحديد : ١٦] (٢) . فصاح : اللهم بلي ! فكرر رها دَفَعَاتٍ ، وبكى .

(١) هو جعفر بن حرب الهمداني ، من أئمة المعتزلة من أهل بغداد . أخذ الكلام عن أبي الهذيل العلاف بالبصرة ، وصنف كتباً ، قال الخطيب البغدادي : إنها معروفة عند المتكلمين ، وكان له اختصاص بالوائق العباسي . قال المسعودي : وإلى أبيه يضاف : شارع باب حرب في الجانب الغربي من مدينة السلام . توفي سنة (٥٢٣٦ هـ) .

(٢) وتمة الآية : (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) . وروى مسلم في « صحيحه » رقم (٣٠٢٧) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ) إلا أربع سنين ، قال ابن كثير : يقول تعالى : أما آن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله والموعظة وسماع القرآن فتفهمه وتنفق له وتسمع له وتطيعه ؟! وقال الآلوسي : المعنى : ألم يأن لهم أن ترق قلوبهم لأجل ذكر الله تعالى وكتابه الحق النازل فيسارعوا إلى الطاعة على أكمل وجوها ؟! . قال ابن كثير : وقوله تعالى : ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم) نبى الله تعالى المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حلوا الكتاب من قبلهم اليهود والنصارى ، لما تطاول عليهم الأمد ، بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم واشتروا به ثمناً قليلاً وينذوه وراء ظهورهم وأقبلوا على الآراء المختلفة والأقوال المؤتلفة ، وقلدوا الرجال في دين الله ، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، فعند ذلك قست قلوبهم ، فلا يقبلون موعظة ، ولا تلين قلوبهم بوعده ولا وعيده .

ثم نزل عن دابته ونزع ثيابه ، ودخل إلى دجلة^(١) واستتر بالماء .
ولم يخرج منه حتى فرّق جميع ماله في المظالم التي كانت عليه وردّها
وتصدّق بالباقي . فاجتاز رجل فرآه في الماء قائماً - وسمع يخبره -
فوهب له قميصاً ومثراً ، فاستتر بهما وخرج . وانقطع إلى العلم والعبادة
حتى مات .

٦٨ - [نوبة هارون الرشيد]^(٢)

أخبرنا محمد ، ثنا حمد ، قال : أنبا أحمد بن سليمان بن أحمد ، قال : أنبا
سليمان بن أحمد ، قال : أنبا محمد بن زكريا الغلابي ، ثنا أبو عمر الجرمي
النحوي ، ثنا الفضل بن الربيع ، قال :

حجّ أمير المؤمنين هارون الرشيد . فبينما أنا نائم بمكة إذ سمعت
قرع الباب ، فقلت : من هذا ؟ قال : أجب أمير المؤمنين . فخرجت

(١) دجلة : بالكسر هو المشهور ، وحكاة اللحياني بالفتح : نهر بغداد ، سمي به
لأنه غطى الأرض بمائه حين فاض . وفي « التهذيب » : دجلة ، معرفة لنهر بالعراق ، وقال
ثعلب : تقول : عبرت دجلة ، بلا لام ، ومن أمثال الحريري : أحق من رجلة (البقلة
الحقاه) وأوسع من دجلة .

(٢) هو هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي ، أبو جعفر ، خامس
خلفاء الدولة العباسية في العراق ، وأشهرهم ، ولد بالري ، ونشأ في دار الخلافة ببغداد ،
وولاه أبوه غزو الروم في القسطنطينية ، بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه المهدي سنة ٨١٧ هـ .
فقام بأعبائها ، وازدهرت الدولة في أيامه ، وكان عالماً بالأدب وأخبار العرب والحديث
والفقه ، فصيحاً ، شجاعاً ، كثير الغزوات ، له وقائع كثيرة مع ملوك الروم ، وأخباره
كثيرة جداً ، توفي سنة (٨١٩ هـ) .

مسرعاً ، فقلت : يا أمير المؤمنين ! لو أرسلت إليّ لأتيتك . فقال :
 ويحك ، قد خطر في نفسي شيء ، فانظر لي رجلاً أسأله . فقلت :
 ها هنا سفيان بن عيينة . فقال : امض بنا إليه . فأتيناه ، فقرعت الباب ،
 فقال : من ذا ؟ قلت : أجب أمير المؤمنين ! فخرج مسرعاً ، فقال :
 يا أمير المؤمنين ! لو أرسلت إليّ لأتيتك . فقال له : خذ ما جئناك
 له - رحمك الله - فحدثه ساعة ، ثم قال له : عليك دينٌ ؟ قال : نعم .
 قال : اقض دينه . فلما خرجنا ، قال : ما أغنى عني صاحبك شيئاً ،
 انظر لي رجلاً أسأله . فقلت : ها هنا عبد الرزاق بن همام^(١) . فقال :
 امض بنا إليه . فأتيناه ، فقرعت عليه الباب ، فقال : من هذا ؟ فقلت :
 أجب أمير المؤمنين ! فخرج مسرعاً ، فقال : يا أمير المؤمنين ! لو
 أرسلت إليّ لأتيتك . قال : خذ ما جئناك له - رحمك الله - فحدثه
 ساعة ، ثم قال : أعليك دينٌ ؟ قال : نعم . قال : يا عباسي ! اقض
 دينه . ثم انصرفنا ، فقال لي : ما أغنى عني صاحبك شيئاً ، انظر لي
 رجلاً أسأله . قلت : ها هنا الفضيل بن عياض . فقال : امض بنا إليه .
 فأتيناه وإذا هو قائم يصلي يتلو آية من القرآن يرددّها . قال : اقرع
 الباب ! فقرعته . فقال : من هذا ؟ قلت : أجب أمير المؤمنين ! فقال :
 مالي ولا مير المؤمنين ؟ فقلت : سبحان الله ! أما عليك طاعته ؟ فنزل

(١) هو عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميدي مولاهم أبو بكر الصنعائي (١٢٦-٢١١هـ)
 من حفاظ الحديث الثقات من أهل صنعاء ، له « الجامع الكبير » في الحديث المعروف
 بالسنن ، وكتاب في « تفسير القرآن » .

ففتح الباب ، ثم ارتقى إلى الغرفة فأطفا السراج ، ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت . فدخلنا فجعلنا نجول عليه بأيدينا ، فسبقت كفّ هارون قبلي إليه . فقال: يا لها من كفّ ما أنعمها وألينها إن نجت غداً من عذاب الله ، فقلت في نفسي : ليكلمنّه الليلة بكلام نقي من قلب نقي . فقال له: خذ لما جئناك له - رحمك الله - فقال: إن عمر بن عبد العزيز^(١) لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله^(٢) ومحمد بن كعب القرظي^(٣) ورجاء بن حيوة^(٤) فقال لهم : قد ابتليت بهذا البلاء ، فأشيروا عليّ . فعَدَّ الخلافة بلاءً ، وعدّتها أنت وأصحابك نعمة !؟ فقال له سالم بن عبد الله : إن أردت النجاة من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن إفطارك منها الموت . وقال له محمد بن كعب : إن أردت النجاة

(١) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي أبو حفص (٦١ - ١٠١ هـ) الخليفة الصالح ، والإمام العادل من خلفاء الدولة الأموية ، وربما قيل له : خامس الخلفاء الراشدين تشبيهاً لهم ، ولد ونشأ بالمدينة ، ولي الخلافة بعهد من سليمان بن عبد الملك ، سنة (٩٩ هـ) فبويح له في مسجد دمشق وسكن الناس في أيامه ، ومنع سب علي رضي الله عنه ، ولم تطل مدته ، أخباره كثيرة في عدله وحسن سياسته ، توفي في دير سمعان من أرض المعرة بالشام رحمه الله .

(٢) هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، القرشي العدوي ، أحد الفقهاء السبعة في المدينة ، ومن سادات التابعين وعلمائهم وثقاتهم ، توفي رحمه الله في المدينة سنة (٦٠ هـ) .

(٣) هو محمد بن كعب بن سليم بن أسد أبو حمزة القرظي المدني : ثقة عالم ولد سنة أربعين على الصحيح ، ووم من قال : ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم . توفي رحمه الله سنة (١٠٢ هـ) .

(٤) هو رجاء بن حيوة بن جرول الكندي أبو المقدم من الوعاظ النصحاء العلماء كان ملازماً لعمر بن عبد العزيز في عهده الإمارة والخلافة ، توفي رحمه الله سنة (١١٢ هـ) .

من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أبا ، وأوسطهم عندك أخا ،
وأصغرهم عندك ولداً ، فوقر أباك ، وأكرم أخاك ، وتحسن على ولدك .
وقال له رجاء بن حيوة : إن أردت النجاة من عذاب الله فاحب
للمسلمين ما تحب لنفسك ، واكره لهم ما تكره لنفسك ، ثم مت إذا
شئت . وإني لأقول لك هذا ، وإني لأخاف عليك أشد الخوف في يوم
ترل فيه الأقدام ! فهل معك - رحمك الله - مثل هؤلاء من يشير عليك
أو يأمرك بمثل هذا ؟ فبكى هارون بكاءً شديداً حتى غشي عليه .
فقلت له : ارفق بأمر المؤمنين . قال : يا ابن أم الربيع ! تقتله أنت
وأصحابك وأرفق به أنا ؟ ثم أفاق ، فقال : زدني رحمك الله ! فقال :
بلغني يا أمير المؤمنين ، أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكى إليه .
قال : فكتب إليه عمر : يا أخي : اذكر طول سهر أهل النار في النار
مع خلود الأبد ، فإن ذلك يطرد بك إلى باب الرب نائماً ويقظان ، وإياك
أن ينصرف بك من عند الله إلى النار فيكون آخر العهد ومنقطع
الرجاء . قال : فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر . فقال
له : ما أقدمك ؟ قال : خلعت قلبي بكتابك ، لاوليت لك ولاية حتى
ألقي الله . فبكى هارون بكاءً شديداً ، ثم قال له : زدني - رحمك
الله - فقال : يا أمير المؤمنين ! إن العباس ، عم المصطفى ﷺ ، جاء
إلى النبي ﷺ ، فقال له : أمرني . فقال له النبي ﷺ : يا عباس : يأم
النبي ! نفس تنجها خير من إمارة لا تحصيها ^(١) إن الإمارة حسرة

(١) هذه الفقرة من الحديث رواها أبو نعيم في « الحلية » ١٣٨/٦ وفيها انقطاع .

وندامة يوم القيامة، فإن استطعت أن لا تتأمرن على أحد فافعل». قال:

وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: عن هذا الحديث بهذه الفقرة: رواه ابن أبي الدنيا هكذا معضلاً بغير أسناد، ورواه البيهقي من حديث جابر متصلاً، ومن رواية ابن المنكدر مرسلًا، وقال: هو المحفوظ مرسلًا. وقد روى أحمد في «المسند» من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: جاء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله: اجعلني على شيء أعيش به، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا حمزة نفس نجيبها أحب إليك، أم نفس تميتها؟» قال: نفس أحبها، قال: «عليك نفسك». رواه أحمد ورواه ثقات إلا ابن لهيعة.

وأما تنمة الحديث: «إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة» فقد روى البخاري في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنكم ستحرضون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة» قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: أي لمن لم يعمل فيها بما ينبغي. قال: وزاد في رواية شيابة: «وحسرة»؛ ويوضح ذلك ما أخرجه البزار والطبراني بسند صحيح عن عوف بن مالك بلفظ: «أولها ملامة، وثانيها ندامة، وثالثها عذاب يوم القيامة، إلا من عدل» وفي الطبراني «الأوسط» من رواية شريك عن عبد الله بن عيسى عن أبي صالح عن أبي هريرة - قال شريك: لا أدري رفعه أم لا؟ - قال: «الإمارة أولها ندامة، وأوسطها غرامة، وآخرها عذاب يوم القيامة» وله شاهد من حديث شداد بن أوس رفعه بلفظ «أولها ملامة، وثانيها ندامة» أخرجه الطبراني، وعند الطبراني من حديث زيد بن ثابت رفعه: «نعم الشيء الإمارة لمن أخذها بحقها وحلها، وبئس الشيء الإمارة لمن أخذها بغير حقها. تكون حسرة يوم القيامة»، وهذا يقيد ما أطلق في الذي قبله، ويقيده أيضاً: ما أخرج مسلم عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله ألا تستعملني، قال: «إنك ضعيف، وأنها أمانة، وإنما يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها».

قال الحافظ: قال النووي: هذا أصل عظيم في اجتناب الولاية، ولا سيما لمن كان في ضعف، وهو في حق من دخل فيها بغير أهلية ولم يعدل، فإنه يتقدم على ما فرط منه إذا جوزي بالخزي يوم القيامة، وأما من كان أهلاً وعدل فيها، فأجره عظيم كما تظاهرت به الأخبار، ولكن في الدخول فيها خطر عظيم، ولذلك امتنع الأكابر منها، والله أعلم، انتهى كلامه.

وأما الفقرة الأخيرة من الحديث «فإن استطعت أن لا تتأمرن على أحد فافعل» فقد جاء

فبكى هارون بكاءً شديداً ، ثم قال له : زدني - رحمك الله -

قال : يا حسن الوجه ! أنت الذي يسألك الله عن هذا الخلق ، فإن استطعت أن تقى هذا الوجه من النار فافعل ، وإياك أن تصبح وتسمي وفي قلبك غش لرعيتك ، فإن النبي ﷺ قال : « من أصبح لهم غاشاً لم يرح رائحة الجنة » .^(١)

فبكى هارون بكاءً شديداً ، ثم قال : عليك دين ؟ قال : نعم ، دين لربّي لم يحاسبني عليه ، فالويل لي إن ساءلني ، والويل لي إن ناقشني ، والويل لي إن لم ألهم حجتي ! قال : فقال : إنما أعني من دين العباد . قال : إن ربي لم يأمرني بهذا ، إن ربي أمرني أن أصدق وعده وأطيع أمره ، فقال : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ . مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا . إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ .

= في « صحيح مسلم » عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يا أبا ذر ، إن أراك ضعيفاً ، وإني أحب لك ما أحب لنفسي ، لا تأمرن علي اثنين ، ولا تولين مال يتيم » ورواه أيضاً بنحوه أبو داود والحاكم .

(١) روى البخاري في « صحيحه » من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه ، لم يجد رائحة الجنة » قال الجافظ في « الفتح » : في نسخة الصغاني « إلا لم يجد » بزيادة « إلا » ثم قال : ووقع في رواية مسلم « إلا حرم الله عليه الجنة » . انتهى كلامه .

وفي البخاري عن معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة » وفي مسلم بلفظ « ما من عبد يسترعيه الله رعية ، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة » .

الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨] فقال له: هذه ألف دينار، خذها فأنفقها وتقوِّبها على عبادة ربك. فقال: ياسبحان الله: أنا أدلك على النجاة وأنت تكافيني بمثل هذا؟ - سلمك الله ووفقك - ثم صمت، فلم يكلمنا. فخرجنا من عنده، فلما أن صرنا على الباب، قال لي هارون: يا عباسي! إذا دللتني على رجل فدلتني على مثل هذا، هذا سيد المسلمين اليوم. قال غير أبي عمر^(١): فبينما نحن كذلك إذ دخلت عليه امرأة من نسائه، فقالت: يا هذا! قد ترى سوء ما نحن فيه من ضيق الحال، فلو قبلت هذا المال تفرجنا به! قال: مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بغير يأكلون من كسبه، فلما كبر نحره وأكلوا لحمه. فلما سمع هارون الكلام، قال: نرجع فعسى أن يقبل المال، قال: فدخل. فلما علم فضيل، خرج فجلس على تراب في السطح على باب الغرفة. وجاء هارون فجلس إلى جنبه، فجعل يكلمه فلم يجبه. فبينما نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء، فقالت: يا هذا! قد آذيت الشيخ منذ الليلة، فانصرف - رحلك الله - قال: فانصرفنا -

٦٩ - [نوبة ابن هارون الربيع]

قرأت على الشيخ الصالح أبي المكارم المبارك بن محمد بن المعمر البادراني، أخبركم أبو غالب بن أحمد الباقلاقي، وقرئ على أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن هلال الدقاق وأنا أسمع، أخبركم أبو طاهر عبد الملك بن أحمد السيوري، قالوا: أنبا أبو القاسم بن بشران، أنبا أبو بكر (١) أي من الرواة، وأبو عمر هو الجولي المذكور في سند القصة.

الآجريّ ، قال : سمعت أبا بكر بن أبي الطيّب يقول : بلغنا عن عبد الله بن الفرّج العابد ، قال :

احتجت الى صانع يصنع لي شيئاً من أمر الرّوز جارين^(١) ، فاتيت السوق فإذا بأواخرهم شاب مصفرّ ، بين يديه زنبيل كبير ومرّ ، وعليه جبة صوف ومئزر صوف ، فقلت له : تعمل ؟ قال : نعم . قلت : بيكَمْ ؟ قال : بدرهم ودائِق^(٢) . فقلت له : قم حتى تعمل . قال : على شريطة . قلت : ما هي ؟ قال : إذا كان وقت الظهر فأذن المؤذن خرجت فتطهرت واصلت في المسجد جماعة ثم رجعت ، فإذا كان وقت العصر فكذلك . فقلت : نعم . فقام معي ، فجنّنا المنزل ، فوافقته على ما ينقله من موضع إلى موضع . فشدّ وسطه وجعل يعمل ولا يكلمني بشيء حتى أذن المؤذن الظهر . فقال : يا عبد الله ! قد أذن المؤذن . قلت : شأنك ، فخرج فصلي ، فلما رجع عمل أيضاً عملاً جيداً إلى العصر . فلما أذن المؤذن ، قال لي : يا عبد الله ! قد أذن المؤذن . قلت : شأنك . فخرج فصلي العصر ، ثم رجع . فلم يزل يعمل إلى آخر النهار ، فوزنت له أجرته وانصرف .

فلما كان بعد أيام احتجنا إلى عمل . فقالت لي زوجتي : اطلب لنا ذاك الصانع الشاب ، فإنه قد نصحننا في عملنا . فجنّت السوق ، فلم أراه . فسألت عنه ، فقالوا : تسأل عن ذاك المصفرّ المشؤوم الذي لانراه

(١) العمال الذين يقومون بأعمال مختلفة بأجر يومي ، وروز بالفارسية بمعنى يوم .

(٢) الدائق : سدس الدرهم .

إلا من سبت إلى سبت ، لا يجلس إلا وحده في آخر الناس ؟ قال :
 فانصرفت ؛ فلما كان يوم السبت أتيت السوق فصادفته . فقلت :
 تعمل ؟ فقال : قد عرفت الأجرة والشروط . قلت : أستخير الله تعالى .
 فقام فعمل على النحو الذي كان يعمل . قال : فلما وزنت له الأجرة
 زدته ، فأبى أن يأخذ الزيادة . فالححت عليه ، فضجر وتركني ومضى .
 فغممني ذلك ، فاتبعته وداريته حتى أخذ أجرته فقط . فلما كان بعد
 مدة احتجنا أيضا إليه . فمضيت في يوم السبت فلم أصادفه . فسألت
 فقيل لي : هو عليل . وقال لي من يخبر أمره : إنما كان يجيء إلى السوق
 من سبت إلى سبت يعمل بدرهم ودانق ، ويتقوت كل يوم بدانق ، وقد
 مرض ، فسألت عن منزله فأتيته وهو في بيت عجوز . فقلت لها :
 هنا الشاب الروزجاري ؟ فقالت : هو عليل منذ أيام . فدخلت عليه ،
 فوجدته لما به ، وتحت رأسه لينة . فسلمت عليه ، وقلت : لك
 حاجة ؟ قال : نعم إن قبلت ، قلت : أقبل إن شاء الله . قال : إذا
 مت فبع هذا المر ، واغسل جبتي هذه الصوف وهذا المتر وكفني
 بهما ، وافتح جيب الجبة فإن فيها خاتما ، وانظر يوم يركب هارون
 الرشيد فقف له في موضع يراك ، فكلمه وأره الخاتم ؛ فإنه سيدعو
 بك ، فسلم إليه الخاتم ولا يكون هذا إلا بعد دفني . قلت : نعم . فلما
 مات فعلت به ما أمرني . ثم نظرت اليوم الذي يركب فيه الرشيد ،

(١) في الأصل : هذا .

فجلست له على الطريق . فلما مرّ ، ناديته : يا أمير المؤمنين الك
عندي وديعة . ولو حث بالخاتم ، فأمر بي ، فأخذت وحملت حتى أدخلت
إلى داره . ثم دعاني ، ونحى جميع من عنده ، وقال : من أنت ؟ قلت :
عبد الله بن الفرّج . فقال : هذا الخاتم من أين لك ؟ فحدثته قصة
الشاب . فجعل يبكي ، حتى رحّمته ؛ فلما أنس إليّ قلت : يا أمير
المؤمنين ! من هو منك ؟ قال : ابني . قلت : كيف صار إلى هذه الحال ؟
قال : وُلد لي قبل أن أبتلى بالخلافة ، فنشأ نشوءاً حسناً وتعلم القرآن
والعلم . فلما وليت الخلافة تركني ، ولم ينل من دنياي شيئاً . فدفعته
إلى أمه هذا الخاتم - وهو ياقوت يسوى مالا كثيراً - فدفعته إليها ،
وقلت : تدفعين هذا إليه - وكان برّاً بأمه - وتسالينه أن يكون معه ،
فلعله أن يحتاج إليه يوماً من الأيام فينتفع به . وتوفيت أمه ؛ فما
عرفت له خبراً إلا ما أخبرتني به أنت . ثم قال : إذا كان الليل اخرج
معي إلى قبره . فلما كان الليل خرج وحده معي يمشي حتى أتينا قبره ، فجلس
إليه ، فبكى بكاءً شديداً . فلما طلع الفجر قمنا فرجع . ثم قال : تعاهدني
في الأيام حتى أزور قبره ، فكنت أتعاهده في الليل ، فنخرج حتى
نزوره ، ثم نرجع . قال عبد الله بن الفرّج : ولم أعلم أنه ابن الرشيد
حتى أخبرني الرشيد أنه ابنه - أو كما قال ابن أبي الطيّب (١) .

(١) هو أبو بكر بن أبي الطيب الذي روى القصة .

٧٠ - [نوبة الأمان] (١)

وذكر إبراهيم بن الجنيد في كتاب « زهد الملوك » بإسناده عن صالح بن عبد العزيز قال: أخبرني عمي عبد الحميد بن محمد:

أن المأمون كان يجد بابنه عليّ وجداً شديداً ، ويقدمه على جميع أولاده . وكان من أحسن الناس وأجملهم مع أدب وفصاحة . قال عبد الحميد : وكنت إذا دخلت الدار أميل إليه فأسلم عليه ؛ فأرى معه حياةً وبشاشة ولا أرى فيه كبراً ولا عزاً ، يضحك خدمه ويلطف جلساءه ؛ ثم أسخى من رأت عيناى وأحسنه خلقاً وأطيبه نفساً . وكنت إذا رأيت له لا أكاد أصرف وجهي عنه من حسنه وجماله .

وكان سبب تزدهه فيما أخبرني به شاكر مولاة ، قال : كان في يوم صائف شديد الحرّ له سموم في قبة الجيش ؛ فأتاه يمين الخادم ، فقال : يا سيدي ! أمير المؤمنين يدعوك ، قد دعا بطعامه وهو ينتظرك . قال : ويحك ! الحرّ شديد ويؤذيني ، وأكره الخروج ، فارجع فأعلمه أنك

(١) المأمون ، هو عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور أبو العباس (١٧٠ - ٢١٨ هـ) سابع الخلفاء من بني العباس في العراق ، وأحد أعظم الأمراء في سيرته وعلمه وسعة ملكه ، ولي الخلافة بعد خلع أخيه الأمين سنة (١٩٨ هـ) فتم ما بدأ به جده المنصور ، وقرب العلماء والمحدثين والفقهاء والمتكلمين وأهل اللغة والأخبار ، وأطلق حرية الكلام للباحثين لولا الحفة بخلق القرآن في السنة الأخيرة من حياته ، أخباره كثيرة توفي في بزنطون ودفن في طرسوس .

وجدتني نائماً . ففضي ، فلم يكن بأسرع من أن رجع ، فقال : قد قال :
ادخل عليه ونسبه . وكان لا يصبر عنه ساعة . فقام وهو كاره ، فحضر
الطعام . ثم قعد أمير المؤمنين للشراب مع ندمائه . فقام عليّ وخرج
من المجلس ؛ وكان لا يشرب شيئاً من الأنبذة . فانصرف إلى قصره ،
وأمر أن يُفرش له في بعض مستشرفه على دجلة ، وألقى فيه الماء
والثلج والحِلاف ، وقعد على سرير عليه غلالة ينظر إلى الناس وإلى
دجلة . ودعا بقيانته وندمائه . فبينما هو كذلك ، إذ نظر إلى حمّال قد
أقبل عند الزوال ، عليه درّاعة صوف بيضاء بالية بلا قيص تحتها ولا
سراويل عليه ؛ وقد شدّ على رجله خرقاً من الحرّ ولبس نعلين
متخرقين ، وعلى رأسه خرقة ، وعلى عنقه كرزنه^(١) وطبقه ، فأتى
دجلة وقعد في بعض السفن ، والأمير ينظر إليه مستشرف عليه
لا يصرف بصره عنه . فوضع طبقه وكرزنه ، وخلع نعليه ، وألقى
الخرق عن رجله ، ودنا من دجلة وغسل يديه ورجليه ؛ وانصرف
إلى موضعه فأخرج جراباً له ففتحه وأخرج منه كسراً يابسة مختلفة
الألوان وأخرج منه قصعة خشب فغسل قصعته وجعل فيها ماءً
وألقى تلك الكسر في الماء الذي في القصعة ، ثم أخرج صرة ففتحتها
وأخرج منها ملحاً فنثره على الخبز وقليل سعتري وتركها مقدار ما بل
الكسر . ثم تربّع على الرمل وسمى الله تبارك وتعالى وأكل كل رجل
يشتهي الطعام ، وهو مع ذلك يشكر الله تعالى ؛ والأمير عيناه اليه .
حتى فرغ وغسل القصعة فردّها إلى جرابه مع كسيرات بقيت ، وشدّ

(١) لعلها : كرز ، والكرز : ضرب من الجوالق ، وقيل : الخرج الذي يعمل
فيه الراعي زاده ومتاعه .

خرقة الملح . ودنا من الشط فاغترف بكفيه من الماء ، وقال :
يا سيدي ومولاي ! لك الحمد على هذه النعمة التي تفضلت بها
علي ، فلك الحمد على أياديك عندي ، فلك الحمد ولك الشكر .
ثم وضع رأسه على كرزته وتمدد على الرمل ساعة . ثم قام فتهيأ للصلاة
وقام يصلي للزوال . فقال الأمير للغلمان الواقف عنده : ليذهب بعضكم
إلى الرجل القائم المصلي فيأتيني به مع طبقه وكرزته ، ولا يرعبه ، وعليه
باللطف حتى يأتيني به . فمضى بعض الغلمان فاتاه فأقام عنده حتى سلم ،
ثم قال له : قم معي حتى تحمل لي متاعاً من قصر الأمير . فقال : اطلب
غيري فإنني متعوب البدن . قال : الموضع قريب والحمل خفيف . قال :
يا حبيبي ! قد عرفت ذلك وأنت تصيب غيري ، فاعفني فإنني أكره
دخول الدار . قال : لا بدّ منه ، فإن قمت وإلا أقمت . وغلظ له في
الكلام . فقام الرجل وألقى كرزته في عنقه وحمل الطبق ، وقرأ :
﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ [البقرة : ٢١٦]
﴿ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾
[النساء : ١٩] فادخله الغلام القصر ، ثم أصعده حتى أوقفه بين يدي
الأمير على هيئته ، فأمره بالقعود . فقال له الندماء : أيها الأمير ! من
هذا حتى تأمره بالقعود مع وسخه ونجاسته ؟ قال : اسكتوا ! ثم قال :
من أهلها أنت ؟ قال : نعم . قال : ما صنعتك ؟ قال : ما ترى ، الحمل .
قال : وكم عيالك ؟ قال : نحن عيال الله ، لي والدة عجوز مُقعّدة ،
وأخت عمياء زَمِينة . قال : فأهل وولد ؟ قال : مالي أهل ولا ولد .

قال : فكم يكون الكسب ؟ قال : على قدر ما أرزق ، إلا أنه لا ينصرم
يوم إلا ونحن في كفاية من فضل الله تعالى . قال : فتطبيق الحمل كل يوم ؟
قال : اذا صليت الفجر خرجت فتعرضت للرزق الى وقت الزوال ،
ثم أتفرغ لنفسي إلى فراغي من صلاة العصر ، وأجم نفسي من العصر
إلى الليل . قال : أفليس تكون بالليل جماماً ؟ قال : إن أجمت نفسي
بالليل تركني فقيراً يوم القيامة . ففطن لها علي ، فقال : إني رأيتك
تاكل وحدك ، كيف لا تأكل مع والدتك وأختك ؟ قال : إنها يصومان
فاجعل عشائي مع فطرهما . قال : أخرج الكسر . ففتح جرابه فأخرج
منه كسراً يابسة ، أسود وأحمر وأبيض . فنظر إليها الأمير ساعة يتأملها
متفكراً ، ثم قال : يا شاكر ! إيتني بخمسة آلاف درهم صحاح فادفعها
إليه ليصلح بها حاله . قال : أيها الأمير ! أنا غني عنها ، لا حاجة لي
فيها . فجهد به على أن يأخذها ، فابى .

قال الأمير : فلي إليك حاجة . قال : ما حاجة مثلك إلى مثلي ؟ قال :
هي حاجة مهمة . فأخذ بيده فأدخله بعض غرفه وخلا معه ، وقال :
يا هذا ! قد عرفت حالي وقصتي وموضعي وما أنا فيه من هذا الملك
ونعيم الدنيا ولذاتها ، فادع الله تبارك وتعالى أن يهديني في الدنيا
ويرغبني في الآخرة . فقال له الحمالي : يا حبيبي ! مالي عند الله من المنزلة
ما أدعوه ، إلا أن بعض الحكماء يقول : من خاف شيئاً أدلج ؛ افرض
على نفسك كل يوم وساعة شيئاً معلوماً من خصال الخير ؛ فإنك إذ فعلت
ذلك جاءتك العزيمة بالعون من الله تعالى على ذلك ؛ ولا تؤخر عمل

يومك لغد ؛ ولا تكلف نفسك ما لا طاقة لها به ؛ وأكثر ذِكر الموت ،
فإن ذكره يكثر القليل ويقلل الكثير ؛ وعليك بتقوى الله تعالى
وطاعته واجتناب معاصيه . ثم رفع يديه وطأ رأسه ودمعت عيناه ،
وقال : يا من رفع السماء بقوة ، ودحا الأرض بمشيئته ، وخلق الخلائق
بإرادته ، واستوى على العرش بقدرته . يا مالِك الملك ، وجبَّار
الجبَّارة ، وإله العالمين ، ومالك يوم الدين ! أسالك برحمتك وجودك
وقدرتك أن تخرج حبّ الدنيا من قلب عبدك عبد الله عليّ ، وتوقفه
لطاقته من الأعمال التي تقرّبه إلى مرضاتك وتجنّبه معاصيك وتخيّم لنا
وله برضوانك وعفوك ، يا أرحم الراحمين ! قال : فدمعت عيناه عليّ وبكى
فاكثر . ثم قال للحمال : لو قبلتَ منا شيئاً ! قال : لا أريده ، وحاجتي
أن تعجلّ سراحي . فأمره بالخروج ، فخرج الحمال ؛ وانصرف
الأمير إلى موضعه وهو متفكّر قد ذهب نشاطه . ثم التفت إلى ندمائه ،
فقال : يا قوم ! لو شهدتم طعام أمير المؤمنين ورأيتم ما يرفع ويوضع
من صنوف الأطعمة . ثم جعل يصف ذلك الطعام ، ثم قال : لو رأيتم
الطعام الذي يُخبز قد تنوّق في بياضه وجودته وطحنه ، ثم يُنخل
بالشعر ثم يُنخل بالكرايس ثم يُنخل بالحرير حتى يبقى نحوه فقط
توقّد ناره بالقصب ، فإذا سكن وهججه بُخّر التنّور بالعود القهاري
وخبز بصنوف الطعام ؛ - ثم وصف ما يتخذ له من صنوف
الألوان من الحارّ والبارد والرطب واليابس والحلو وغير ذلك - وهذا
الحمال طعامه ما قد رأيتم ومائدته طبق من سعف النخل . ثم طأطا

رأسه وجعل ينكت بأصبعه على الحصير ساعة . ثم قال : يا غلام !
إئت منيباً خازن الكتب فمره يخرج لي سيرة عمر بن الخطاب رضي
الله عنه . فأتاه به ، فجعل ينظر فيه ، فقال : اسمعوا ما كان طعام أمير
المؤمنين عمر بن الخطاب : عراق لحم الإبل مطبوخ بماء وملح ، وأقراص من
شعير غير منخول . فقيل له : يا أمير المؤمنين ! لو أكلت غير هذا الطعام
فقد وسع الله على المسلمين ! فقال : هاه ! إن الله تبارك وتعالى عيّر
قوماً بأكلهم بقوله : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا ﴾
[الأحقاف : ٢٠] ^(١) . فجعل يصف لهم سيرة عمر بن الخطاب رضي
الله عنه وتدمع عيناه . فلما فرغ قال : يا غلام ! قل لمنيب يخرج لي
سيرة عمر بن عبد العزيز . فأخرج إليه ، فجعل ينظر فيه ويصف
لندمائه . ثم قال : أبعد الله بطناً يعقب صاحبه ندماً يوم الحسرة في
عرصة القيامة ؛ هذا عبد الله بن عمر ، زين أبناء الصحابة ، اشتهى
عنباً فلم يذقه ؛ هذا سعيد بن المسيّب زين التابعين يقول : ليت أن الله
جعل رزقي في مصّ حصة ، فقد استحييت من كثرة الاختلاف إلى
الحش ؛ هذا الربيع بن خيثم اشتهى خبيصاً فلم يذقه ؛ هذا مالك بن دينار ،
هذا فلان ، هذا فلان . فجعل يذكر وتدمع عيناه ، ثم قال : ترى القوم
لم يشتهوا طيب الطعام؟! ولكنهم زهدوا عن الفاني للباقي ، وباعوا
القليل بالكثير ، وصبروا في دنياهم فنالوا الذي طلبوا ؛ خرجوا من الدنيا

(١) وتمة الآية: (واستمعتم بها فالיום ننجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون
في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسعون) .

خصاصاً جياً حفاة عراة ، فلم تأكل الأرض منهم شحماً ولا لحماً ، بليت
 الجلود على العظام والعروق . ثم أخرج ساءاً ، أكانه تضييب فضة مستديرة
 شحماً ولحماً ، فقال : إن هذا الساعد مع هذا البدن ربي بالأطعمة
 والأشربة التي وصفت لكم من الطعام والشراب ليلى في التراب كما يلى
 ساعد الحمال . ثم أرسل عينيه فبكى فاكثر البكاء ونحن قيام على
 رأسه . ثم قال : يا غلام ! ارفع هذه الآلة قبّحها الله فأموتها للقلوب
 وأضرها وأذتها . فرفعت وصرف الندماء والخدم والغلمان وبقي
 وحده متفكراً لا يأذن لأحد عليه ؛ حتى إذا مضى بعض الليل ،
 ناداني : يا شاكر ! قلت : لبيك أيها الأمير ! قال : دونك الخزائن
 فاحفظها مع جميع ما في الدار ، فإني منطلق إلى سيدي ، وأنا أظن
 أنه يعني بسيدته أباه . فخرج عليّ وعليه إزار قد أخذه على رأسه ، ونعل
 طاق قد وضعها في رجله ، وقال : لا يتبعني منكم أحد بشمع . فخرج
 ومعه غلام صغير ، وتخلّف عنه الخدم والغلمان . فلما أصبحنا افتقدنا
 الغلام إلى ارتفاع النهار . فجاء الغلام فسألته عنه ، فقال : لم يدخل دار أمير
 المؤمنين ولكنه أخذ نحو الدّجلة ، وقال لي : قف موضعك هذا ،
 لا تبرح . فلا أدري أين ذهب ، إلا أنه دنا من ملاح فناوله دنانير ، وقال :
 لي حاجة مهمّة بـ « واسط » فتعجّل لي ، وهو لا يعرفه ، فأدخله الزورق
 ومضى به إلى « واسط » . ثم لم يقم بـ « واسط » حتى خرج إلى « البصرة »
 وتنكّر ولبس الخشن على ذلك الجلد النقي ؛ واشترى طبقاً كهيئة مارأى
 من زيّ الحمال ، وجعل الطبق على عاتقه ، يعمل على مقدار قوته ؛

يحمل على رأسه بالقطع والكسر ، لا يردّ ما أعطي ؛ بالنهار صائم يحمل على رأسه ، وبالليل قائم يصلي ، يمشي حافياً حتى تقطعت رجلاه ، بييت في المساجد يتخللها كي لا يفتن به . فلم يزل كذلك يعمل ويعبد ربّه سنين . وأمير المؤمنين لما وقف على أمره كتب في جميع الآفاق إلى العمّال في كلّ بلدة أن يطلب وتوضع عليه العيون ؛ فلم يوقف على أمره . قال : فرض في بعض المساجد وتغيّرت حاله . فلما اشتدت به العلة دخل بعض الخانات بالبصرة فاكترى غرفة وألقى نفسه على بارية . فلما أيس من نفسه دعا صاحب الخان فناوله خاتمه ورقعة مختومة فقال : يا هذا ! إذا أنا قضيتُ نحيي فأخرج إلى صاحبكم - يعني الوالي - فارِهِ خاتمي وعرفه موضعي وناوله هذه الرقعة . فمات رحمه الله ، فلما قضى سجنه وخرج نحو باب الأمير ، فنادى : النصيحة ، فأدخل ، فإراه الخاتم . فلما نظر إليه الوالي عرفه ، وقال : ويحك ، أين صاحب الخاتم ؟ قال : في الغرفة في الخان ميت . وناوله الرقعة مختومة مكتوباً عليها : لا يفكها إلا المأمون أمير المؤمنين . فركب الأمير حتى أتى الخان ، وحوله إلى قصره وطلّى عليه الكافور والمسك والعنبر ، ولفه في قباطي مصر وحمله في الماء إلى المأمون . وكتب إليه يعرفه قصته وأنه وجد في غرفة على بارية في بعض الخانات ، ما تحته مهاد ، ولا عنده باكية ، مسجى مغمض العينين مستنير الوجه طيب الرائحة . قال : وبعث إليه خاتمه ورقعته . فلما وصل كتابه إلى أمير المؤمنين ، وأدخل [عليّ] عليه قام فكشف عن وجهه وانكب عليه يقبله ويبكي .

ووقعت الصيحة والضجيج في الدار . ثم فكَّ الرقعة فإذا فيها مكتوب بخطه : يا أمير المؤمنين ! اقرأ سورة الفجر إلى رابع عشرة آية فاعتبر بها ، واعلم أن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، ثم أمر المأمون فغسل وكفن وأخرج ليُدفن ؛ والمأمون يمشي حتى صلى عليه . فلما وُضع في حفرته أمر الخدم ، فقال : اخرجوا من القبر . ثم أطلع في القبر ، فقال : يا بُنيَّ ! رحمك الله وأعطاك أمنيَّتكَ ورجاءك ؛ إني لأرجو أن يكون الله تعالى قد أسعدك ونفني بك ؛ فنعيم الولد كنت ؛ جمع الله بينك وبين ابن عمي المصطفى ﷺ ، ورزقني الصبر عليك . ثم قال : سوؤوا عليه . فدخل الخدم فاطبقوا عليه ألواحَه . ثم قال : أهيلوا عليه التراب . وهو واقف يصيه الغبار ، والخدم قيام معهم المناديل يردون عنه الغبار . فقال : إليكم عني ! يبلى عليّ في التراب وتردون عني الغبار؟! ثم قال : اللهم ! ثبته بالقول الثابت ، وأشهدك أني راضٍ عنه يا أرحم الراحمين ! والرقعة في يده لا يضعها . فدعا محمد بن سعد الترمذي فأمره أن يقرأ سورة (الفجر) . فجعل يقرأ والمأمون يبكي حتى بلغ (إن ربك لبالمرصاد) [الفجر : ١٤] ، فأمسك .

فتصدق عنه بألف ألف درهم ، وأمر بعرض السجون وأطلق عنهم ، وكتب إلى العمال بإنصاف الرعيّة وردّ المظالم ، وتزع عن أمور كثيرة . وبقي بعده لا يذكره إلا بكى ، وهو مكروب لا يرتاح للذة ولا لشهوة . وينتاب مجلسه الفقهاء يصبرونه ويعظونه . فما زالت هذه حاله حتى مات رحمه الله .

٧١- [نوبة موسى بن محمد بن سليمان الهاشمي]

قال عبد الحميد بن محمد: وسمعت محمد بن السماك يقول: إن موسى ابن سليمان الهاشمي كان من أنعم بني أبيه عيشاً وأرخاه بالآ ، يعطي نفسه شهوتها من صنوف اللذات في الماكل والشرب والملبس والطيب والجواري والغلمان . ليست له فكرة ولا همة إلا فيما هو من عيشه ولذته . وكان شاباً جميلاً ، وجهه كاستدارة القمر في صفاء مع بياض وملاحة مشرباً حمرة ، شديد سواد الشعر ، جعداً ، ألقى الأنف ،^(١) أكحل العينين ، أدعج^(٢) مثل عين الطيبة ، يسحر بعينه الناظر إليه ، طويل الأشفار^(٣) ، مقرون الحاجبين كأنما خطاً بالقلم ، صغير الفم^(٤) ، رقيق الشفتين ، أبلج الثنايا^(٥) ، مفلج الأسنان^(٦) ، فصيح اللسان ، حلو الكلام ، خافض الصوت . وكانت نعمة الله عليه سابغة ، يستغل من ضياعه وعقاره ومما أقطعه من الضياع ويجري

(١) ألقى الأنف : السائل الأنف المرتفع وسطه مع احديديه وارتفاع أعلاه .

(٢) أي شديد سواد حدقة العين مع سمها .

(٣) أي طويل شعر الأجنان .

(٤) والعرب تمدح سعة الفم ، وتذم صغر الفم لدلالة السعة على الفصاحة ، والصغر على ضدها ، والمولودون من الشعراء يمدحون صغره ، وهو خطأ منهم ، أو لمحق لا يلتفت اليه لقبحه . وقد ذكر في أو صاف رسول الله صلى عليه وسلم ، أنه كان واسع الفم ، أو ضليع الفم ، بمعنى واسع .

(٥) أي مشرقها ومضيئها وبراقها .

(٦) أي مفرقها ، وهو ألقى للفم وأطيب وأبلغ في الفصاحة ، لأن اللسان يتسع فيها .

عليه من الرزق كلَّ حول نحواً من ثلاثة آلاف ألف وثلثائة ألف ،
يصرف هذا كله فيما هو فيه من النعيم . وقد أعجبتَه نفسه وشبابه ودنياه
المواتية ^(١) له في جميع ما يشتهي .

وكان له مستشرف عالٍ يقعد فيه العشيَّات يشرف على الناس ،
له أبواب مشرعة إلى الجادة ، وأبواب مشرعة إلى بساطينه ، قد ضرب
فيه قبة عاج مخروطة من أنياب الفيل مضببة بالفضة قد طلي بالذهب ،
وغشيت القبة بالدبياج الأخضر ، وحشاه بالخز المندوف ، وعلق من
القبة سلسلة ذهب منظومة بالجواهر واللؤلؤ ، تضيء القبة من
الياقوت الأحمر ، والزبرجد الأخضر ، والعقيق الأصفر ، كل حبة
كالجوزة ، وعلق على الأبواب المشرعة الستور المضربة الموشاة المنسوجة
بالذهب ، ووضع حول القبة ثلاثين شمعة ، في ثلاثين طستاً من فضة ،
وزن كل طست ألف درهم ، على كل خمس طسوت غلام قائم بيده مقطعة
من ذهب من مائة مثقال ، عليهم من أنواع الثياب والمناطق المرصعة
بالجواهر ، وعلق على كل باب خارج من الشبكات قناديل بسلاسل
الفضة ، وجعل دهنها الزئبق الخالص . وهو على سرير عليه غلالة قصب
معلم منسوج ، وعلى رأسه عمامة مكللة باللايئ ، ومعه في القبة ندمائه
وإخوانه . والحمامر منصوبة لا ترفع على البخور ، وقد وقف على رأسه

(١) في المطبوعة : المواتية بالهمز .

الخدم بأيديهم المراوح والمذاب ، والقينات بجذائه في مجلس خارج من القبة يراهن . فإذا نظر عن يمينه رأى نديماً قد اصطفاه وأنس بمادته ، وإن نظر عن يساره رأى أخاً وصفيّاً قد وادّه واجتباه ، وإن رفع طرفه نظر إلى خدم قيام قد اختارهم ، وإن رمى بطرفه إلى حواشيه رأى مطريه وقيانه كلّمهم يفدّونه ، أسماهم مصفية إليه ، وأعينهم قبله لا يشتغلون بغيره . فإن تكلم سكتوا ، وإن قام قاموا . إذا اشتبه سماع القيان نظر نحو الستارة ، وإن أراد سكوتهم أو ما بيده إلى الستارة فأمسكوا ، قد عرفوا ذلك منه .

هذا دأبه إلى أن يذهب الليل ويذهب عقله ، فيخرج الندماء ويخلو مع الوصفاء . فإذا أصبح اشتغل بالنظر إلى اللعابين بين يديه بالشطرنج والنرد . لا يذكر بين يديه موت ولا سقم ولا مرض ، ولا شيء فيه ذكر الغم إلا ذكر الفرح والسرور والنوادر التي يضحك منها . ويطرف كل يوم بأنواع الطيب والشّمات ما يكون في أوانه ، حتى مضت له سبع وعشرون سنة .

فبينما هو ذات يوم في قبّته ، وقد مضى بعض الليل ، إذ سمع نغمة من حلق ندي شجيّ خلاف ما يسمع من مطريه ؛ فأخذت بمجامع بقلبه ولها عمّا كان فيه . فإوما إليهم أن أمسكوا ، وأخرج رأسه من بعض تلك الشبّاكات المشرعة إلى الجادة يتسمع الذي وقع بقلبه ؛ فإذا النغمة ربّما سمعها ، وربّما خفيت . فصاح بغلمانه: اطلبوا صاحب هذا الصوت!

وكان قد عمل فيه الشراب . فخرج الغلمان يطوفون ؛ فإذا هم بشاب
 نحيل الجسم ، دقيق العنق ، مصفر اللوت ، ذابل الشفتين ، شعث
 الرأس ، قد لصق بطنه بظهره ، عليه طمران^(١) ما يتوارى بغيرهما ،
 حافي القدمين ، قائم في بعض المساجد يناجي ربه تعالى . فأخرجوه من
 المسجد وانطلقوا به لا يكلمونه ، حتى أوقفوه بين يديه . فنظر إليه
 فقال : من هذا ؟ قالوا : صاحب النعمة التي سمعت . قال : أين أصبتموه ؟
 قالوا : في المسجد قائماً يصلي ويقرأ . فقال : أيها الشاب ! ما كنت
 تقرأ ؟ قال : كلام الله . قال : فاسمعي بتلك النعمة . فقال : أعوذ بالله
 من الشيطان الرجيم * **إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ** * إلى قوله :
*** يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ *** [المطففين : ٢٢-٢٨] ؛ أيها المغرور !
 إنها خلاف مجلسك ومستشفرك وفرشك ؛ إنها أرائك مفروشة بفرش
 مرفوعة * **بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ** * [الرحمن : ٥٤] ، * **عَلَى**
رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حَسَانٍ * [الرحمن : ٧٦] يشرف
 ولي الله منها على عينين تجريان في جنتين * **فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ**
زَوْجَانٍ * [الرحمن : ٥٢] * **لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ** * [الواقعة : ٢٣]
*** فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ** * [الحاقة : ٢١] * **فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ** * إلى قوله :
*** وَزَرَّابِي مَبْثُوثَةٌ** * [الغاشية : ١٠-١٦] * **فِي ظِلَالٍ**
وَعِيُونٍ * [المرسلات : ٤١] * **أَكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى**

(١) طمران ، ثنية طمر ، وهو الثوب الخلق ، أو الكساء البالي من غير
 الصوف ، جمعه أطار ،

الذين اتَّقُوا وَعَقَّبِي الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿ [الرعد: ٢٥] . ﴿ لا يفتَر
 عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ [الزخرف : ٧٤] ، ﴿ فِي ضَلَالٍ
 وَسُعْرٍ . يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ
 سَقَرَ ﴾ [القمر : ٤٧، ٤٨] ﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ
 يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴾ الى قوله : ﴿ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴾ [المعارج : ١١ -
 ١٨] في جهد جهيد وعذاب شديد ومقت من رب العالمين ﴿ وَمَا هُمْ
 مِنْهَا بِمُخْرِجِينَ ﴾ [الحجر : ٤٨] .

فقام الهاشمي من مجلسه وعانق الشاب وبكى ؛ وصاح بندمائه :
 انصرفوا عني . وخرج الى صحن داره ، وقعد على حصير مع الشاب
 ينوح ويبكي على شبابه ويندب نفسه ، والشاب يعظه ، الى أن أصبح وقد
 عاهد الله أن لا يعود إلى معصية أبداً . فلما أصبح أظهر توبته ولزم
 المسجد والعبادة . وأمر بالذهب والفضة والجواهر والملابس
 فبيعت كلها وتصدق بها ، وقطع الإجراء عن نفسه ورد الضياع
 المقطعة ، وباع ضياعه وعبيده وجواريه ، وأعتق من اختار
 العتق وتصدق به كله . ولبس الصوف الحشن وأكل الشعير . وكان
 يجي الليل ، ويصوم النهار ، حتى كان ينتابه الصالحون والأخيار ”
 ويقولون له : ارفق بنفسك فإن المولى كريم ، يشكر اليسير ، ويثيب
 على الكثير . فيقول : يا قوم ! أنا أعرف بنفسي ، إن جرمي عظيم ،
 عصيت مولاي بالليل والنهار . ويبكي ويكثر البكاء . ثم خرج حاجاً

(١) أي يأتون اليه مرة بعد أخرى .

على قدميه جافيا ما عليه إلا خيشة ، وما معه إلا ركوة وجراب ،
 حتى قدم مكة وقضى حجه وأقام بها . وكان يدخل الحجر^(٢)
 بالليل ينوح على نفسه ويقول : سيدي ! لم أراقبك في خلواتي ؛ سيدي !
 ذهبت شهواتي وبقيت تبعاتي ؛ فالويل لي يوم ألقاك ، والويل كل
 الويل من صحيفتي إذا نشرت مملوءة من فضائحي وخطاياي ؛ بل حل
 بي الويل من مقتك إياي وتوبيخك لي في إحسانك إلي ومقابلة نعمتك
 بالمعاصي ؛ وأنت مطلع على أفعالي ؛ سيدي ! إلى من أهرب إلا
 إليك ، وإلى من التجيء إلا إليك ؟ سيدي ! إني لا أستاهل أن
 أسالك الجنة ، بل أسالك بمجودك وكرمك وتفضلك أن تغفر لي وترحمني ،
 فإنك أهل التقوى وأهل المغفرة .

قال محمد بن السّمك : فبينما أنا ذات ليلة في الطواف إذ سمعت نغمته
 ونوحه وبكائه ، فحرت كني وأقلقني . فقطعت الطواف ودخلت الحجر ،
 وأنا لا أثبته ، فقلت له : حبيبي ! من أنت ؟ فأني أراك صغير السن ،
 قريح القلب ، مكروباً مغموماً ، حزين النّوح ، كثير الدموع ؛ فما
 القصة ؟ فأني حامل الخطيئة مع شيبتي ، صاحب ذنوب . فنظر إلي
 فعرفني ؛ فقال : ألسن الواعظ لي وأنا منهمك في ضلّاتي ، سكران في
 حيرتي ، لا أقبل عليك بوجهي ؟ أنا موسى بن محمد بن سليمان بن علي
 الذي رأيتني بالبصرة . قال : فأصابني من قوله دهشة ؛ فدنوت منه

(١) الجراب : المزود أو الوعاء ، جمه : جُرَب ، وجرب ، وأجربة .

(٢) أي حجر اسماعيل عليه السلام وهو الحطيم ، وهو من الكعبة .

فعاانقتة وقبّلت بين عينيه، وقلت : بأبي أنت أبو القاسم ! ما القصة ؟
فاخبرني قال : استرأمرني فلا أحب .. رحمك الله - أن أعرف وأعلم ؛
إنّ المولى النعم المتفضل المحسن أنبهي من غفلتي وبصرني بعيب نفسي ،
فتركت جميع ما كنت فيه ممّا رأيت ، وأقبلتُ إلى ربي ؛ فهل تراه
يقبلني ؟ فإنني خائف أن يكون قد صرف وجهه عني ، قال : فأبكاني
كلامه ، وقلت : حبيبي ! أبشر فقد بلغني أنه ما من شيء أحب إلى الله
تبارك وتعالى من شابٍ تائب . فلما أن سمعها أراد أن يضبط نفسه من
البكاء ، وخاف أن يجتمعوا عليه إذا سمعوا بكاءه . فقام وهو يقول :
أيها الطيب ! اتبعني . فتبعته حتى خرج من باب الخناطين وهو
يمشي ويلتفت إليّ ، وقد أمسك على بطنه ، حتى انتهى إلى باب . ثم دخل
وأدخلني معه وأصعدني إلى غرفة وقعد ، وقال : ما زلت متشوقاً إلى
لقائك لتداوي قرحي بمرهم كلامك . فقلت له : أبا القاسم ! قد أسعدك
بلطفه إله العالمين فأنبهك من رقدة الغافلين ؛ فاشكره على توفيقه إياك
وكن من الشاكرين ، وبما أنعم عليك فكن من الحامدين ، فإن الله تعالى
معوضك برحمته أفضل مما تركت له من مخافته . أبا القاسم ! اجعل الموت
نصب عينيك ، واعلم أن بين يديك عقبة عليها المسلك غداً لا يقطعها
إلا الوريعون عن محارم الله تعالى ، وقناطر لا يجوزها إلا المخفون من
المظالم ، يتردى منها في نار ﴿ أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا
يُغاثوا بماءٍ كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت

مرتفقاً ﴿ [الكهف : ٢٩] . فكن على عدة ، وأعدّ الجواب فإنك
قادم لاحالة . وعلى من القدوم ؟ على أحكم الحاكمين ، والعدل الذي
لا يجور ، وديان يوم الدين ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى
الله بقلب سليم . وهو منصت يسمع ؛ ثم أطرق شبه المفكر ، فتوهمت
أنه لا يعلم ما أقول ، فقممت من عنده وخرجت . فلما أصبحت
تصرّفت في حوائجي . فلما دخل وقت الظهر وأنا في الطواف وإذا
الناس يتعادون نحو باب الصفا . قلت : ما الخبر ؟ قالوا : جنازة
غريب . فخرجت وصليت عليه . وضرب على قلبي ، فصرت من
فوري إلى تلك الدار ، فسألت عنه : فقالوا : آجرك الله ! ألم تشهد
جنازته ؟ قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ! سبحان الفعال لما يريد !
قالوا : ألسنت صاحبه البارحة ؟ قلت : نعم . قالوا : إنك لما خرجت
لم يزل يقول : فؤادي ! فؤادي ! ذنبي ! ذنبي ! ، إلى أن مضى عامة
الليل وهو يبكي ، ثم سكن ؛ فلما أصبح أنيهناة للصلاة فإذا هو قد فارق
الدنيا ، لم يشهد خروج روحه أحد ولم يغمض . قلت لهم : عرفتموه ؟
قالوا : لا ، كان غريباً من الحاجّ نزل عندنا ، ما رأينا ولا سمعنا بمثله ؛
ليله قائم يصلي وينوح على نفسه كأن ذنوب العباد هو المطالب بها ،
لا يوقف على كسبه ومطعمه ، ولا يقبل برّ أحد . قلت : كم له منذ نزل
عندكم ؟ قالوا : حجّتين . قلت : معرفة الله خير من معرفتكم إياه .

٧٢ - [نوبة جعفر البرمكي^(١)]

قال عبد الحميد : كنت في مجلس جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك
أعرض عليه متاع مصر ، وهو في قبة من عاج مُركَّب قد غشاها
بملحم ، إذ دخل عليه محمد بن السماك . فقال : أسمعني بعض كلامك
- يرحمك الله - فقال : يا أبا الفضل ! لا أحدثك عن الماضين ولا عن
الملوك السابقة ولا الأكارسة ، ولكن أخبرك بما شهدت وعانيت
منذ أعوام من ابن عمِّ لأمير المؤمنين موسى بن محمد بن سليمان بن علي بن
عبد الله بن العباس ، وحدثه في هذا الحديث . فرأيت جعفرأ جعل
يبكي ويكثر البكاء ، ويقول : هذا كله من ترفيق الله تعالى إليَّ وسعادته
له . اللهم فكما أسعدته بطاعتك ووفقتَه لرضاك وعصمته حتى
نال ذلك كله بإرادتك ، وفقنا للعمل الصالح برحمتك ، واختم لنا
بعفوك ومغفرتك يا أرحم الراحمين ! ثم إنَّه في مجلسه ذلك تصدَّق
بمائة ألف على أهل الحاجة والمسكنة . فما لبث بعد ذلك إلا القليل حتى
غضب عليه هارون أمير المؤمنين وأمر بقتله^(٢) وأن يُجعل أربعاً

(١) هو جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي أبو الفضل (١٥٠ - ٥١٨٧) وزير
الرشيد العباسي ، وأحد مشهوري البرامكة ومقدميهم ، ولد ونشأ في بغداد واستوزر
هارون الرشيد ملقياً إليه أزمة الملك ، وكان يدعو : أخي ، فالتفادت له الدولة ، يحكم بما
يشاء فلا ترد أحكامه ، إلى أن نقم الرشيد على البرامكة نقمته المشهورة ، فقتله في مقدمتهم ،
وكان كاتباً بليغاً ، والبرامكة يرجعون في أنسابهم إلى الفرس .

(٢) في المطبوعة : بقبله ، وهو تصحيف .

وَيُصَلِّبُ . ففُعل به ذلك . فكان يُرجى لجعفر ذلك الدعاء لعل الله تعالى استجاب له ؛ لأنه مُثَّل به . وكان كثير الصنائع المحموده ، معطياً للمال ، قاضياً للحوائج ، حسن العشرة ، عارفاً بحقّ الإخوان رحمه الله .

٧٣- [نوبة جارية من بنات الكبار على يد أبي شعيب البرائي]

أخبرنا أبو الفتح محمد ، أنبا أبو الفضل المقرئ ، أنبا أبو نعيم ، أخبرني جعفر بن محمد بن نصير في كتابه قال : سمعت الجنيد بن محمد ^(١) يقول :

كان أبو شعيب البرائي أول من سكن برائي ^(٢) في كوخ يتعبّد فيه . فرّت بكوخه جارية من بنات الكبار كانت ربيّت في قصور الملوك .

(١) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز أبو القاسم ، صوفي متسنن ، مولده ومدشاه ووفاته ببغداد ، أصل أبيه من نهاوند ، وكان يعرف بالقواريري ، نسبة لعمل القوارير ، عرف الجنيد بالخرزاز ، لأنه كان يعمل الخز ، وعده العلماء شيخ مذهب التصوف لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة ، ولكونه مصوناً من العقائد الذميمة . من كلامه : طريقنا مضبوط بالكتاب والسنة . ومن لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به ، توفي رحمه الله سنة (٥٢٩٧) .

(٢) برائي ، بالثاء المثناة والقصر : محلة كانت في طرق بغداد في قبلة الكوخ وجنوب باب محوّل ، وكان لها جامع مفرد ، وقد خرب عن آخره ، وكذلك المحلة لم يبق لها أثر . وينسب إلى برائي هذه : أبو شعيب البرائي العابد هذا الذي ثابت الجارية بسببه ، كان أول من سكن برائي في كوخ يتعبّد فيه ، وأبو عبد الله بن أبي شعيب البرائي الزاهد وله خبر مع زوجته يشبه خبر أبيه ، ومحمد بن خالد بن يزيد بن غزوان أبو عبد الله البرائي من أهل الدين والفضل ، وكان صديقاً لبشر الحائي ، وغيرهم .

فَنظَرْتُ إِلَى أَبِي شَعِيبٍ فَاسْتَحْسَنْتُ حَالَهُ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ ، فَصَارَتْ
كَالْأَسِيرِ لَهُ ، فَعَزَمْتُ عَلَى التَّجَرُّدِ مِنَ الدُّنْيَا وَالْإِتِّصَالِ بِأَبِي شَعِيبٍ ،
فِي جَاءَتْ إِلَيْهِ ، وَقَالَتْ : أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ لَكَ خَادِمَةً . فَقَالَ لَهَا : إِنْ
أَرَدْتَ ذَلِكَ فَغَيِّرِي مِنْ هَيْئَتِكَ وَتَجَرَّدِي عَمَّا أَنْتِ فِيهِ حَتَّى تَصِلِحِي
لَمَّا أَرَدْتَ . فَتَجَرَّدْتُ عَنْ كُلِّ مَا تَمْلِكُهُ وَلَبَسْتُ ثِيَابَ النِّسَاءِ وَحَضَرْتَهُ ،
فَتَرَوَّجَهَا . فَلَمَّا دَخَلْتُ الْكُوخَ رَأَيْتُ قِطْعَةَ خِصَافٍ ^(١) فِي مَجْلِسِ أَبِي
شَعِيبٍ تَقِيهِ النَّسَدِيُّ ^(٢) . فَقَالَتْ : مَا أَنَا بِمَقِيمَةٍ فِيهَا حَتَّى تُتَخَرَّجَ مَا تَحْتِكَ ،
لَأَنْيَ سَمِعْتُكَ تَقُولُ : إِنْ الْأَرْضُ تَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ ! تَجْعَلُ الْيَوْمَ بَيْنِي
وَبَيْنَكَ حِجَابًا وَأَنْتِ غَدَاً فِي بَطْنِي؟ فَمَا كُنْتُ لِأَجْعَلَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا حِجَابًا .
فَأَخَذَ أَبُو شَعِيبٍ الْخِصَافَ فَرَمَى بِهَا ^(٣) . فَكُنْتُ مَعَهُ سِنِينَ كَثِيرَةً
تَتَعَبَّدُ أَحْسَنَ عِبَادَةٍ ، وَتَوَفَّيَا عَلَى ذَلِكَ مُتَعَاوِنَيْنِ .

(١) الْخِصَافُ ، وَاحِدُهُ : خِصْفَةٌ ، وَهِيَ الْجِلْدَةُ تَعْمَلُ مِنَ الْخَوْصِ لِلتَّمَرِ ، وَالشُّوْبِ
الْغَلِيظِ جَدًّا .

(٢) أَيِ الْبَلَلِ وَالرُّطُوبَةِ .

(٣) هَذَا مِنَ الْغُلُوِّ فِي الزُّهْدِ الَّذِي لَا مَكَانَ لَهُ فِي الْإِسْلَامِ .

٧٤- [توبة الواثق بالله^(١) وابنه المهزبي بالله^(٢)]

أخبرنا الشيخ الإمام العالم أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي قال: أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد الفزاز، وأبو السعود أحمد ابن علي بن المجلي قالوا: أنا أحمد بن علي بن ثابت، أنا محمد بن أحمد بن رزق، أنا أحمد بن سندي الحداد قال: قرىء على أحمد بن المنيع وأنا أسمع قيل له: أخبركم صالح بن علي بن يعقوب الهاشمي قال:

حضرت المهدي بالله أمير المؤمنين وجلس للنظر في أمور المظلومين في دار العامة. فنظرت إلى قصص الناس تقرأ عليه من أولها إلى آخرها، فيأمر بالتوقيع عليها، وينشأ الكتاب عليها وتحرق، وتختم وترفع إلى صاحبها بين يديه. فسرتني ذلك؛ واستحسننت ما رأيت. فجعلت أنظر إليه؛ ففطن ونظر إلي، فغضضت عنه، حتى كان ذلك مني ومنه مراراً ثلاثاً: إذا نظر غضضت، وإذا شغل

(١) هو هارون (الواثق بالله) بن محمد (المعتصم بالله) بن هارون الرشيد العباسي، أبو جعفر (٢٠٠ - ٢٣٢) من خلفاء الدولة العباسية بالعراق، ولد ببغداد، وولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة (٢٢٧ هـ) فامتحن الناس في خلق القرآن، وسجن جماعة، والظاهر أنه تاب عن ذلك في آخر عمره، ومات في سامراء، وكان كثير الاحسان لأهل الحرمين، حتى قيل: إنه لم يوجد بالحرمين في أيامه سائل.

(٢) هو محمد بن هارون الواثق بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد، أبو عبد الله المهدي بالله العباسي من خلفاء الدولة العباسية (٢٢٢ - ٢٥٦ هـ) ولد في القاطول بسامراء، ويوبع له بعد خلع المعتز سنة (٢٥٥ هـ). وكان حميد السيرة، فيه شجاعة، يأخذ بإخذ عمر بن عبدالعزيز في الصلاح، مدة خلافته أحد عشر شهراً وأيام.

نظرت . فقال لي : يا صالح ! قلت : لبيك يا أمير المؤمنين ! وقت قائماً . فقال : في نفسك منّا شيء تريد - أو قال - تحب أن تقوله ؟ قلت : نعم يا سيدي ! فقال لي : عد إلى موضعك . فعُدتُ ؛ حتى إذا قام ، قال للحاجب : لا يبرح صالح . فانصرف الناس ؛ ثم أذن لي مدخلتُ فدعوتُ له ، فقال لي : اجلس . فجلستُ ، فقال : يا صالح تقول لي ما دار في نفسك أو أقول أنا ما دار في نفسي أنه دار في نفسك؟ قلت : يا أمير المؤمنين ! ما تعزم عليه وتأمّر به ، قال : أقول أنا : إنه " دار في نفسي أنك استحسنيت ما رأيت منّا ، فقلت : أي خليفة خليفةتنا إن لم يكن يقول : القرآن مخلوق ؟ فورد على قلبي أمر عظيم ؛ ثم قلتُ : يا نفس ! هل تموتين قبل أجلك ؟ وهل تموتين إلا مرة ؟ وهل يجوز الكذب في جدّ أو هزل ؟ فقلتُ : يا أمير المؤمنين ! ما دار في نفسي إلا ما قلت . ثم أطرق ملياً وقال : ويحك ! اسمع مني ما أقول ، فوالله لتسمعن الحق ، فسُرّي عنّي فقلت : يا سيدي ! ومن أولى بقول الحق منك وأنت خليفة رب العالمين وابن عمّ سيّد المرسلين ؟ فقال : ما زلت أقول : إن القرآن مخلوق صدرأ من أيام الوثائق ، حتى أقدم

(١) في المطبوعة : أنه بفتح الهمزة .

أحمد بن أبي داود^(١) علينا شيخاً من أهل الشام من أهل «اذنة»^(٢)، فدخل الشيخ على الواثق مقيداً، وهو جميل الوجه تام القامة حسن الشيبة. فرأيت الواثق قد استحيى منه ورق له. فما زال يدينه ويقربه حتى قرب منه. فسلم الشيخ فأحسن، ودعا فابلق. فقال له الواثق: اجلس، فجلس، فقال له: يا شيخ! ناظر ابن أبي دواد على ما يناظرك عليه. فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين! ابن أبي دواد يصبى ويضعف عن المناظرة. فغضب الواثق وعاد مكان الرقة غضباً عليه. قال الواثق: أبو عبد الله بن أبي دواد يصبى ويضعف عن مناظرتك أنت؟ فقال الشيخ: هوّن عليك يا أمير المؤمنين ما بك، فائذن في مناظرته. فقال الواثق: ما دعوتك إلا للمناظرة. فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين! إن رأيت أن تحفظ علي وعليه ما نقول. قال: أفعل.

قال الشيخ: يا أحمد! أخبرني عن مقاتلك هذه، هي مقالة واجبة داخلة في عقد الدين فلا يكون الدين كاملاً حتى يقال فيه بما قلت؟ قال: نعم. قال الشيخ: يا أحمد! أخبرني عن رسول الله ﷺ حين بعثه الله إلى عباده، هل ستر شيئاً مما أمره الله به في أمر دينهم؟ قال: لا. فقال الشيخ: فدعا رسول الله ﷺ الأمة إلى مقاتلك هذه؟ فسكت.

(١) هو أحمد بن أبي دواد بن جرير بن مالك الإباضي أبو عبد الله (١٦٠-٨٢٤٠) أحد القضاة المشهورين من المعتزلة، وحامل لواء محنة القرآن، كان عارفاً بالأخبار والأنساب، شديد الدهاء، محباً للخير. توفي مفلوجاً في بغداد.

(٢) أذنة بوزن حسنة أو خشنة: بلد من الثغور الشامية قرب المصيصة، مشهور، خرج منه جماعة من أهل العلم.

ابن أبي دواد . فقال الشيخ: تكلم ! فسكت . فالتفت إلى الواثق ، فقال :
يا أمير المؤمنين ! واحدة . فقال الواثق : واحدة .

فقال الشيخ : يا أحمد ! أخبرني عن الله عز وجل حين أنزل
القرآن على رسول الله ﷺ فقال : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ
وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ ،
[المائدة : ٣] هل كان الله تعالى الصادق في إكمال دينه أو أنت الصادق
في نقصانه حتى يُقال فيه بمقاتلك هذه ؟ فسكت ابن أبي دواد . فقال
الشيخ : أجب يا أحمد ! فلم يُجب ؛ فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين !
اثنتان . فقال الواثق . اثنتان ، فقال الشيخ : يا أحمد ! أخبرني عن مقاتلك
هذه ، هل علمها رسول الله ﷺ أم جهلها ؟ فقال ابن أبي دواد : علمها .
قال : فدعا الناس إليها ؟ فسكت ؛ فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين !
ثلاث . فقال الواثق : ثلاث . فقال الشيخ : يا أحمد ! فاتَّسع لرسول
الله ﷺ أن علمها وأمسك عنها كما زعمت ولم يطالب أمته بها ؟ قال :
نعم . قال الشيخ : واتَّسع لأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان
ابن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم ؟ قال ابن أبي دواد :
نعم . فأعرض الشيخ عنه وأقبل على الواثق ، فقال : يا أمير المؤمنين !
قد قدمت القول : إن أحمد يصبى ويضعف عن المناظرة ؛ يا أمير
المؤمنين ! إن لم يتسع لنا من الإمساك عن هذه المقالة بما زعم هذا أنه
اتَّسع لرسول الله ﷺ ولأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، فلا وسع الله

على من لم يتَّسع له ما اتَّسع لهم. فقال الواثق : نعم ، إن لم يتَّسع لنا من
الإمساك عن هذه المقالة ما اتَّسع لرسول الله ﷺ ولأبي بكر وعمر
وعثمان وعليّ فلا وسَّع الله علينا ؛ اقطعوا قيد الشيخ ! فلما قطع
القيد ضرب الشيخ بيده إلى القيد حتى يأخذه ، فجازبه الحدّاد
عليه . فقال الواثق : دع الشيخ يأخذه ! فأخذه فوضعه في كَمِّه . فقال
له الواثق : يا شيخ ! لم جاذبت الحدّاد عليه ؟ قال : لأني نوديت أن
أتقدم إلى من أوصي إليه إذا أنا متّ أن يجعله بيني وبين كفني حتى
أخاصم به هذا الظالم عند الله يوم القيامة ، وأقول : يا ربّ ! سلّ
عبدك هذا لم قيّدني وروّع أهلي وولدي وإخواني بلا حقّ أو جبّ
ذلك عليّ . وبكى الشيخ وبكى الواثق وبكىنا . ثم سأله الواثق أن
يجعله في حلّ وسعة بما ناله . فقال الشيخ : والله يا أمير المؤمنين ،
لقد جعلتك في حلّ وسعة من أوّل يوم إكراماً لرسول الله ﷺ ، إذ
كنت رجلاً من أهله . فقال الواثق : لي إليك حاجة . فقال الشيخ :
إن كانت ممكنة فعلت . فقال له الواثق : تُقيمُ قبلنا فننتفع بك
وتنتفع بنا . فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين ! إن ردّك إياي إلى الموضع
الذي أخرجني عنه هذا الظالم أنفع لك من مقامي عليك ؛ وأخبرك بما
في ذلك : أصير إلى أهلي وولدي فأكف دعاءهم عليك ، فقد خلّفهم على
ذلك . فقال له الواثق : فتقبل منا صلةً تستعين بها على دهرك ؟ فقال :

يا أمير المؤمنين! لا تحلُّ لي، أنا عنها غنيٌ وذو مرةٍ سويٌ^(١). فقال:
سلُّ حاجةً. فقال: أو تقضيها يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم. قال: تأذن
أن يُخلى لي السبيل الساعة إلى الثغر. قال: قد أذنت لك.
فسلمَّ وخرج.

قال المهتدي بالله: فرجعتُ عن هذه المقالة، وأظنُّ أن الواثق رجع
عنها^(٢) منذ ذلك الوقت^(٣).



(١) المِرَّة: القوة والشدة، والسوي: الصحيح الأعضاء.

(٢) ساق هذه القصة بهذا المعنى ابن الجوزي وابن كثير في سبب ترك الواثق للمحنة بسبب الشيخ المذكور. ثم قال ابن كثير: قال المهتدي: قد دخل أبي المنزل فاستلقى على ظهره وجعل يكرر قول الشيخ على نفسه ويقول: أما وشعك ما وسعمهم؟! ثم أطلق الشيخ وأعطاه أربعمائة دينار، وسقط من عينيه ابن أبي دواد، ولم يمتحن بعده أحداً.

(٣) كتب هنا في الأصل «ب»: آخر الجزء الرابع من غير أصل مؤلفه وخده لاغير.

ذكر سبب توبته جماعة من الامة رحمته عليهم

٧٥ - [توبه صيب أبي محمد]

أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي ، أنبا أبو الفضل أحمد بن أحمد الحداد ، أنبا أبو نعيم الحافظ ^(١) ، قال :

كان سبب إقبال حبيب أبي محمد على الآجلة ^(٢) وانتقاله عن العاجلة ^(٣) حضوره مجلس الحسن ^(٤) . فوقعت موعظته في قلبه ، فخرج عما كان يتصرف فيه ثقة بالله ومكتفياً بضمانه ؛ فاشترى نفسه من الله ، فتصدق بأربعين ألف درهم في أربع دفعات : تصدق بعشرة آلاف

(١) هو أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصهباني أبو نعيم (٣٣٦ - ٤٣٠ هـ) حافظ مؤرخ ، من الثقات في الحفظ والرواية ، ولد ومات بأصبهان ، من تصانيفه « حلية الأولياء » المشهورة ، و « دلائل النبوة » ، و « طبقات المحدثين والرواة » وغيرها .

(٢) أي الآخرة .

(٣) أي الدنيا .

(٤) هو الحسن بن يسار البصري أبو سعيد (٢١٠ - ١١٠ هـ) تابعي كبير ، كان إمام أهل البصرة ، وحبر الأمة في زمنه ، وهو أحد العلماء والفقهاء الفصحاء الشجعان النساك ، وكان عظيم الهيبة ، كان يدخل على الولاة فيأمرهم وينههم ، لا يخاف في الحق لومة لائم ، وله مع الحاجج بن يوسف الثقفى الظالم مواقف ، وله أخبار كثيرة وكلمات سائرة رحمه الله .

دبرهم في أول النهار ، فقال : يارب ! قد اشتريت نفسي منك بهذا ؛
ثم أتبعها بعشرة آلاف أخرى ، فقال : هذه شكراً لما وفقتني له ؛ ثم
أخرج عشرة آلاف أخرى فقال : يارب ! إن لم تقبل مني الأولى
والثانية فاقبل مني هذه ؛ ثم تصدق بعشرة آلاف أخرى ، فقال : يارب !
إن قبلت مني الثالثة فهذه شكراً لها .

٧٦- [توبة زاذان الكندي^(١)]

وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه^(٢) أنه مر ذات يوم
في موضع من نواحي الكوفة^(٣) فاذا فتیان^(٤) فساق قد اجتمعوا يشربون ،
وفيهم مغنٍ يقال له : زاذان يضرب ويغني ، وكان له صوت حسن .

(١) هو زاذان أبو عبد الله . ويقال : أبو عمر الكندي مولا م الكوفي الضير
البنار ، تابعي ، رأى بعض الصحابة وروى عنهم ، قال ابن عدي : روى عن ابن مسعود
وقاب على يديه ، وكناه الأكترون أبا عمر ، وكذا وقع في كثير من الأسانيد ، قال
الخطيب : كان ثقة ، وقال المعجلي : كوفي تابعي ثقة ، قال الحافظ ابن حجر في «تقريب
التهذيب» صدوق يرسل ، توفي رحمه الله سنة (٨٨٢ هـ) .

(٢) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمن الصحابي الجليل
المشهور ، من أكابرهم فضلاً وعقلاً وقرباً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن أكثرهم
رواية عنه صلى الله عليه وسلم ، ومن السابقين إلى الاسلام ، وأول من جهر بقراءة القرآن
في مكة ، وكان وعاء ملى علماً ، ولي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بيت مال الكوفة
ثم قدم المدينة في خلافة عثمان رضي الله عنه ، توفي رضي الله عنه سنة (٨٣٢ هـ) عن نحو
ستين عاماً .

(٣) الكوفة : المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق ، سميت الكوفة لاستدارتها
أو لاجتماع الناس بها ، تخرج منها علماء وحفاظ كثيرون .

فلما سمع ذلك عبد الله^(١) قال : ما أحسن هذا الصوت لو كان بقراءة كتاب الله ! وجعل الرداء على رأسه ومضى ، فسمع زاذان قوله فقال : من كان هذا ؟ قالوا : عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله ﷺ قال : وأي شيء قال ؟ قالوا : إنه قال : ما أحسن هذا الصوت لو كان بقراءة كتاب الله تعالى . فقام وضرب بالعود على الأرض فكسره ثم أسرع فأدركه وجعل المتديل في عنق نفسه وجعل يبكي بين يدي عبد الله بن مسعود . فاعتنقه عبد الله بن مسعود ، وجعل يبكي كل واحد منهما . ثم قال عبد الله : كيف لأحب من قد أحبه الله - عز وجل - ! فتاب إلى الله - عز وجل - من ذنوبه ؛ ولازم عبد الله بن مسعود حتى تعلم القرآن ، وأخذ حظاً من العلم حتى صار إماماً في العلم ، وروى عن عبد الله بن مسعود وسلمان^(٢) وغيرهما .

٧٧ - [نوبة مالك بن دينار^(٣)]

وروي عن مالك بن دينار أنه سئل عن سبب توبته ، فقال : كنت شرطياً وكنت منهمكاً على شرب الخمر . ثم إنني اشتريت جارية نفيسة ؛

(١) أي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) هو سلمان الفارسي الصحابي المشهور ، من مقدميهم ، عاش عمراً طويلاً قرأ كتب الغرب والروم واليهود وقصد بلاد العرب وأسلم ، وكان عالماً بالشرائع وغيرها ، وهو الذي دل المسلمين على حفر الخندق في غزوة الأحزاب ، توفي رضي الله عنه سنة (٥٣٦ هـ) .

(٣) هو مالك بن دينار البصري أبو يحيى ، من رواة الحديث كان ورعاً ، يأكل من كسب يده ، ويكتب المصاحف بالأجرة ، توفي رحمه الله بالبصرة سنة (١٣١ هـ) .

ووقعت مني أحسن موقع ، فولدت لي بنتاً . فشغفتُ بها ؛ فلما دبت على الأرض ازدادت في قلبي حباً ، وألِفْتُني وألِفْتُها . قال : فكنت إذا وضعتُ المسكر بين يديَّ جاءت إليَّ وجاذبتني عليه وهرقته من ثوبي ، فلما تم لها سنتان ماتت ؛ فأكمدني حزنها . فلما كانت ليلةُ النصف من شعبان ، وكانت ليلةُ الجمعة ، بتُّ ثملاً^(١) من الخمر ؛ ولم أصلُ فيها عشاء الآخرة . فرأيت فيما يرى النائمُ كأن القيامة قد قامت ، ونفخ في الصور ، وبعثت القبور ، وحشر الخلائق ، وأنا معهم . فسمعت حساً من ورأئي ، فالتفت ، فإذا أنا بتنينٍ^(٢) أعظم ما يكون أسود أزرق قد فتح فاه مسرعاً نحوي . فررت بين يديه هارباً فزعاً مرعوباً . فررت في طريقي بشيخ تقي الثوب طيب الرائحة ؛ فسلمت عليه فردَّ السلام فقلت : أيها الشيخ ! أجزني من هذا التنين أبارك الله ، فبكى الشيخ وقال لي : أنا ضعيف وهذا أقوى مني وما أقدر عليه ؛ ولكن مر وأسرع فلعل الله أن يتيح لك ما ينجيك منه . فوليت هارباً على وجهي ، فصعدت على شرف من شرف القيامة ، فأشرفت على طبقات النيران ، فنظرت إلى هولها ، وكدت أهوي فيها من فزع التنين ؛ فصاح بي صائح : ارجع فلست من أهلها ! فاطماندت^(٣) إلى قوله ورجعت ، ورجع التنين في طلي . فاتيت الشيخ فقلت : يا شيخ ! سألتك أن

(١) الثمَلُ : الذي قد أخذ منه الشراب والسُّكر .

(٢) التنين : ضرب من الحيات من أعظمها كأكبر ما يكون منها .

(٣) في المطبوعة : فاطمانيت ، وهو نصحيح .

تجبرني من هذا التنين فلم تفعل . فبكى الشيخ ، وقال : أنا ضعيف ولكن سر إلى هذا الجبل ، فإن فيه ودائع المسلمين ، فإن كان لك فيه وديعة فستنصرك . قال : فنظرت إلى جبل مستدير من فضة ، وفيه كوى مخرمة وستور معلقة ، على كل خوذة وكوة مصراعان من الذهب الأحمر ، مفصلة باليواقيت مكوكة بالدر ، على كل مصراع ستر من الحرير فلما نظرت إلى الجبل وليت إليه هارباً والتنين من ورائي ؛ حتى إذا قربت منه صاح بعض الملائكة : ارفعوا الستور وافتحوا المصاريع وأشرفوا ! فلعل لهذا البائس فيكم وديعة تجبره من عدوه . فإذا الستور قد رفعت والمصاريع قد فتحت ، فأشرف علي من تلك المخرمات أطفال بوجوه كالآقمار . وقرب التنين مني ، فتحيرت في أمري . فصاح بعض الأطفال : ويحكم ! أشرفوا كلم فقد قرب منه عدوه . فأشرفوا فوجاً بعد فوج ، وإذا أنا بابنتي التي ماتت قد أشرفت علي معهم . فلما رأنتي بكت وقالت : أبي والله ! ثم وثبت في كفة من نور كريمة السهم حتى مثلت بين يدي . فمدت يدها الشمال إلى يدي اليمنى فتعلقت بها ، ومدت يدها اليمنى إلى التنين فولى هارباً .

ثم أجلسني وقعدت في حجري وضربت بيدها اليمنى إلى لحيتي ، وقالت : يا أبت ! ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ! [الحديد : ١٦] فبكيت وقلت : يا بنية ! وأتم تعرفون القرآن ؟ فقالت : يا أبت ! نحن أعرف به منكم . قلت : فأخبريني عن

التنين الذي أراد أن يهلكني . قالت : ذلك عملك السوء قوّيته فأراد أن يغرّك في نار جهنم . قلت : فأخبريني عن الشيخ الذي مررت به في طريقي . قالت : يا أبت ! ذلك عملك الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء . قلت : يا بنية ! وما تصنعون في هذا الجبل؟ قالت : نحن أطفال المسلمين قد أسكننا فيه إلى أن تقوم الساعة نتظنركم تقدمون علينا فنشفع لكم^(١) .

قال مالك : فانتبهت فزعاً وأصبحت فأرقت المسكر وكسرت الآنية وتبت إلى الله عزّ وجلّ . وهذا كان سبب توبتي .

(١) روى مسلم في « صحيحه » رقم (٢٦٣٥) أن رجلاً قال لأبي هريرة رضي الله عنه : إنه قد مات لي ابنان ، فأنت محدثي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا؟ قال : قال نعم « صغارم دعاميس الجنة (أي صغار أهلها ، وأصل الدعوموس : دويبة تكون في الماء لا تفارقه ، أي أن هذا الصغير في الجنة لا يفارقها) يتلقى أحدم أباه - أو قال : أبويه - فيأخذ بثوبه - أو قال : بيده - كما أخذ أنا بصنفة ثوبك هذا (أي بطرفه) فلا يتناهى - أو قال : فلا ينتهي - (أي لا يتحركه) حتى يدخله الله وأباه الجنة » .

وروى مسلم أيضاً رقم (٢٦٣٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم بابت لها فقالت : يا رسول الله إنه يشتكني ، وإنني أخاف عليه قد دفنت ثلاثة ، قال : « لقد احتظرت بحظار (أي امتنعت بمانع) شديد من النار » . وروى البخاري ومسلم في « صحيحهما » عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لامرأة : « ما منكن من امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة إلا كانوا لها حجاً من النار » فقالت امرأة : واثنين واثنين واثنين؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « واثنين واثنين واثنين » .

وفي رواية لمسلم : « ثلاثة لم يبلغوا الحنث » أي لم يبلغوا سن التكليف الذي يكتب فيه الحنث ، وهو الأثم .

٧٨- [توبة داود الطائي]

أخبرنا عبد الله بن عبد الرحمن السلمي ، أنبا أبو القاسم الحسيني ،
أنبا رشا بن نظيف القرني ، أنبا الحسن بن إسماعيل ، أنبا أحمد بن
مروان ، ثنا محمد بن حاتم البغدادي ، قال : سمعت الحماني يقول :
كان بدء توبة داود الطائي أنه دخل المقبرة فسمع امرأة عند قبر
وهي تقول :

مُقيمٌ إلى أن يبعثَ اللهُ خَلقه
لِقَاؤِكَ لا يُرجى وَأَنْتَ قَريبٌ

تَزيدُ بَلياً في كلِّ يَومٍ وِليَّةً
وتُسلَى كَأَبلي وَأَنْتَ حَبيبٌ

وقال أبو نعيم: قدم داود من السواد ولا يفقه ؛ فلم يزل يتعلم ويتعبد

= وروي البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا حلة القسم » قال الخطابي: معناه : لا يدخل النار ليعاقب بها ولكنه يدخلها مجتازاً ، ولا يكون ذلك الجواز إلا قدر ما يحل به الرجل بينه .

(١) هو داود بن نصير الطائي أبو سليمان من العباد والزهاد كان في أيام المهدي العباسي ، أصله من خراسان ومولده بالكوفة ، رحل إلى بغداد فأخذ عن أبي حنيفة وغيره ، وعاد إلى الكوفة فاعتزل الناس ، ولزم العبادة إلى أن مات فيها ، وله أخبار مع أمراء عصره وعلمائه ، توفي رحمه الله سنة (١٦٥ هـ)

حتى ساد أهل الكوفة . وقال يوسف بن أسباط ^(١) : ورث داود
عشرين ديناراً فأكلها في عشرين سنة . قال أبو نعيم : كان داود
يشرب الفتيت ولا يأكل الخبز . وقال : بين مضغ الخبز وشرب الفتيت
قراءة خمسين آية . ودخل إليه يوماً رجل ، فقال : إن في سقف بيتك
جذعاً قد انكسر . فقال : يا ابن أخي ! إني في هذا البيت منذ عشرين
سنة ، ما نظرت إلى السقف . وكانوا يكرهون فضول النظر كما
يكرهون فضول الكلام .

٧٩ - [نوبة الفضيل بن عياض] ^(٢)

أبنا الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ^(٣) أنا عبد الرحمن بن
أبي غالب ، أنا أحمد بن علي قال : أخبرني الحسن بن علي بن محمد
الواعظ ، ثنا محمد بن العباس ، قال : أنبأ علي بن الحسين بن حرب ، ثنا
إبراهيم بن الليث النخشي ، ثنا علي بن خشرم قال : أخبرني رجل من
جيران الفضيل بن عياض ، قال :

كان الفضيل يقطع الطريق وحده . فخرج ذات ليلة ليقطع

(١) في المطبوعة : إسباط بكر الهمة .

(٢) هو الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي البربوعي أبو عبي (١٠٥ - ١٨٧ هـ)
شيخ الحرم المكي من أكابر العبادة الصلحاء ، توفي في مكة المكرمة .

(٣) ابن الجوزي رحمه الله .

الطريق، فاذا هو بقافلة قد انتهت اليه ليلاً، فقال بعضهم لبعض: اعدلوا بنا الى هذه القرية فان اماننا رجلاً^(١) يقطع الطريق يقال له: الفضيل . قال : فسمع الفضيل ، فأرعد ، فقال : يا قوم ! أنا الفضيل ، جوزوا ، والله لأجتهدن أن لا أعصي الله أبداً ! فرجع عما كان عليه .

وروي من طريق أخرى أنه أضافهم تلك الليلة ؛ وقال : أنتم آمنون من الفضيل . وخرج يرتاد لهم علفاً ؛ ثم رجع فسمع قارئاً يقرأ : ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشعَ قلوبهم لذكرِ الله ﴾ [الحديد: ٦] قال : بلى والله قد آن . فكان هذا مبتدأ توبته .

وقال إبراهيم بن الأشعث : سمعت فضيلاً ليلة وهو يقرأ سورة محمد ﷺ ويبكي ويردد هذه الآية ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد : ٣١] وجعل يقول : ونبلو أخباركم ! ويردد ويقول : وتبلو أخبارنا ! إن بلوت أخبارنا فضحتنا وهتكت أستارنا ! إن بلوت أخبارنا أهلكتنا وعذبتنا ! وسمعته يقول : تزينت للناس وتصنعت لهم وتهيات لهم ، ولم تزل ترائي حتى عرفوك فقالوا : رجل صالح ! فقضوا لك الحوائج ، ووسعوا لك في المجلس ، وعظموك ، خيبة لك ؛ ما أسوأ حالك إن كان هذا شأنك !

وسمعه يقول : إن قدرت أن لا تعرف فافعل ؛ وما عليك أن لا تعرف ، وما عليك إن لم يثن عليك ، وما عليك أن تكون مذموماً عند الناس إذا كنت عند الله محموداً .

(١) في « أ » رجل

٧٨ - [نوبز علي بن الفضيل بن عباس]

أخبرنا الحافظ أبو موسى محمد بن أبي بكر الأصبهاني في كتابه ،
 أنا عبد الرزاق بن محمد بن الشرايبي ، أنا سعيد بن محمد بن محمد بن
 سعيد الولي ، أنا علي بن أحمد بن علي الواقدي ، أنا أبو اسحاق
 أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، أنا أبو الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد
 ابن يحيى قال : سمعت أبي يقول : سمعت محمد بن اسحاق السراج يقول :
 سمعت محمد بن خلف يقول : حدثني يعقوب بن يوسف ، قال :

كان الفضيل بن عياض إذا علم أن ابنه علياً خلفه - يعني في الصلاة -
 مرّ ولم يقف ولم يخوّف ؛ وإذا علم أنه ليس خلفه تنوّق في القرآن
 وحزّن وخوّف . فظنّ يوماً أنه ليس خلفه ، فأتى على ذكر هذه
 الآية : ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴾ .
 [المؤمنون : ١٠٦] . قال : فخرّ عليّ مغشياً عليه . فلما علم أذنه
 خلفه وأنه قد سقط ، تجوّز في القراءة . فذهبوا إلى أمه فقالوا : أدركه .
 فجاءت فرشت عليه ماء ، فأفاق . فقالت لفضيل : أنت قاتل هذا
 الغلام علي فمكث ما شاء الله . فظنّ أنه ليس خلفه ، فقرأ : ﴿ وبدا
 لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾ . [الزمر : ٤٧] فخرّ ميتاً
 وتجوّز أبوه في القراءة . وأتيت أمّه فقيل لها : أدركه . فجاءت
 فرشت عليه ماء ، فإذا هو ميت رحمه الله .

٧٩ - [نوبة بشر بن الحارث الحافي]^(١)

أخبرنا محمد بن عبد الباقي ، أنا أحمد بن أحمد قال : سمعت عبد الله ابن محمد بن جعفر يقول : سمعت عبد الله بن محمد يقول : سمعت محمد ابن الدينوري يقول : سمعت بشر بن الحارث وسئِلَ : ما كان بدء أمرك ، لأن اسمك بين الناس كأنه اسم نبي ؟ قال : هذا من فضل الله ، وما أقول لكم ؟ كنت رجلاً عيَّاراً^(٢) صاحبَ عصبية ، فجزت يوماً ، فإذا أنا بقراطس^(٣) في الطريق ، فرفعته فإذا فيه : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ . فسحَّته وجعلته في جيبي . وكان عندي درهمان ما كنت أملك غيرهما . فذهبت إلى العطَّارين فاشتريت بهما

(١) هو بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال المروزي أبو نصر الحافي الزاهد المشهور (١٥٠ - ٢٢٨ هـ) نزيل بغداد ، ثقة قدوة ، له أخبار في الزهد والورع ، سكن بغداد وتوفي بها .

انظر ترجمته في « حلية الأولياء » ٣٣٦/٨ « وفيات الأعيان » ١١٢/١ « صفة الصفوة » ١٨٣/٢ « شذرات الذهب » ٦٠/٢ « تاريخ بغداد » ٦٧/٧ - ٨٠ « البداية والنهاية » ٢٩٧/١٠ .

(٢) يقال : رجل عيَّار : إذا كان كثير التطواف والحركة ذكياً . والعرب تمدح بالعيَّار وتذمها . يقال : غلام عيَّار نشيط في المعاصي ، وغلام عيَّار نشيط في طاعة الله تعالى .

(٣) القراطس : الصحيفة الثابتة التي يكتب فيها ، ومنه قوله تعالى في سورة [الأنعام : ٧] . (ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس) أي في صحيفة ، وكذلك قوله تعالى في سورة [الأنعام : ٩١] (تجعلونه قرطاس) أي صحفاً .

غَالِيَةً^(١) . ومسحته في القرطاس . فنمت تلك الليلة ؛ فرأيت في المنام كان قائلاً يقول : يا بشر بن الحارث ارفعت اسمنا عن الطريق وطيبته ، لأطيبين اسمك في الدنيا والآخرة ! ثم كان ما كان .

وُحكي أن بشراً كان في زمن لهوه في داره ، وعندَه رفاقؤه يشربون ويطيبون . فاجتاز بهم رجل من الصالحين ، فدق الباب . فخرجت إليه جارية ، فقال : صاحب هذه الدار حرٌّ أو عبد ؟ فقالت : بل حرٌّ ! فقال : صدقتِ ، لو كان عبداً لاستعمل أدب العبودية وترك اللهو والطرب . فسمع بشر محاورتها فسارع إلى الباب حافياً حاسراً وقد ولى الرجل . فقال للجارية : ويحك ! من كلمك على الباب ؟ فاخبرته بما جرى . فقال : أي ناحية أخذ الرجل ؟ فقالت : كذا ، فتبعه بشر حتى لحقه ؛ فقال له : يا سيدي ! أنت الذي وقفت بالباب وخاطبت الجارية ؟ قال : نعم . قال : أعد علي الكلام . فأعاده عليه . فرغ بشر خديه على الأرض وقال : بل عبدٌ ! عبدٌ ! ثم هام على وجهه حافياً حاسراً حتى عُرف بالحيفاء . فقيل له : لم لا تلبس نعلاً ؟ قال : لأنني ما صالحني مولاي إلا وأنا حافٍ . فلا أزول عن هذه الحالة حتى الممات .



(١) الغالية : نوع من الطيب مركب من مسك وعود ودمن وهي غير معروفة . يقال : أول من سماها بذلك سليمان بن عبد الملك ، ويقال : تغلّبت وتغلّفت وتغلّبت ، كله من الغالية ، والتغلّف بها : التلطف .

أبانا الشيخ أبو الفرج^(١) قال: أنا محمد بن عبد الله بن حبيب، أنا علي ابن عبد الله بن أبي صادق، ثنا محمد بن عبد الله بن باكويه، قال: حدثني مفرج بن الحسين الصعيدي قال: حدثني فاطمة بنت أحمد أخت أبي علي الروذباري^(٢)، قالت:

كان ببغداد عشرة فتیان معهم عشرة أحداث. فوجهوا واحداً من الأحداث في حاجة لهم؛ فابطأ، فحردوا عليه. فجاء وهو يضحك، ويده بطيخة. فقالوا له: تبطىء وتجيء وأنت تضحك؟! فقال: جئتكم بأعجوبة؛ وضع بشر يده على هذه البطيخة فاشتريتها بعشرين درهماً. فأخذ كل واحد منهم يقبلها ويضعها على عينه. فقال واحد منهم: بأي شيء بلغ بشر هذه المرتبة؟ فقالوا: بالتقوى؛ فقال: هو يشهدكم أنه تائب إلى الله تعالى، فقال القوم كلهم مثله. ويقال: إنهم خرجوا إلى طرسوس^(٣) فاستشهدوا كلهم - رحمة الله عليهم.

★ ★ ★

(١) هو ابن الجوزي

(٢) أبو علي الروذباري، هو محمد بن أحمد بن القاسم بن منصور بن شهر يار بن مهر ذاذاز بن 'فرفر' عُدَدَ بن كسرى أبو علي الروذباري من أهل بغداد، سكن مصر ومات بها، صحب أبا القاسم الجنيد، وأبا الحسن النوري، وأبا حمزة، وحسناً الموحى ومن في طبقتهم من مشايخ بغداد، وصحب بالشام ابن الجلاء، وكان عالماً متصوفاً، حافظاً للحديث، من كلامه: لا رضى لمن لا يصبر، ولا كمال لمن لا يشكر، وباللّٰه وصل العارفون إلى محبته وشكروه على نعمته. توفي رحمه الله سنة (٣٢٢ هـ).

(٣) طرسوس بوزن قربوس: مدينة بشغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم وقد خرج منها جماعة من أهل الفضل.

أنا الإمام الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي^(١) قال: أنا أبو الحسين بن الطيوري، أنا أبو القاسم عبد العزيز بن أحمد بن الفضل، أنا أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسن بن جهضم، ثنا علي بن هارون، ثنا محمد بن مخلد قال: حدثني أبو الفتح بن مخرق، قال:

تعلق رجل بامرأة من بنات الشام فتعرض لها بيده سكين، لا يدنو منه أحد إلا عقره. وكان الرجل شديد البدن. فبينما الناس كذلك، والمرأة تصيح من يده، اذ مرّ بشر بن الحارث؛ فدنا منه وحك كتفه بكتف الرجل. فوقع الرجل إلى الأرض، ومضى بشر. فدنا من الرجل وهو يرشح عرقاً كثيراً؛ ومضت المرأة بجالها. فسأله: ما حالك؟ فقال: ما أدري، ولكنني حاكّني شيخ وقال: إن الله ناظر إليك وإلى ما تعمل! فضعفت لقوله قدّمي وهبته هيبة شديدة، لا أدري من ذاك الرجل. فقالوا له: ذاك بشر بن الحارث. فقال: واسوءتاه! كيف ينظر إليّ بعد اليوم؟ ووحمّ الرجل من يومه، ومات اليوم السابع.

(١) هو أحمد بن محمد بن سيلفة (بكسر السين وفتح اللام) الأصهباني، صدر الدين أبو طاهر السلفي (٤٧٨ - ٥٧٦ هـ) حافظ مكثّر، من أهل أصهبان، رحل في طلب الحديث، وكتب تعاليق وأمالي كثيرة، وبنى له الأمير العادل (وزير الظاهر العبيدي) مدرسة في الإسكندرية سنة (٥٤٦ هـ) فأقام بها إلى أن توفي فيسأله معجم مشيخة أصهبان، ومعجم شيوخ بغداد، وغيرهما

٨٠ - [نوبة ناجر من تجار بغداد من الوفيعة في الناس]

أبانا محمد ، قال : أنا أحمد ، قال : أخبرني محمد بن خفيف فيما كتب إليّ قال : حدثني عبد الله بن الفضل ، حدثني أبو عبد الله القاضي قال : حدثني أبي ، قال :

كان عندنا ببغداد رجل من التجار صديق لي ؛ وكان كثيراً ما أسمعهم يقع في الصوفيّة . قال ، فرأيت بعد ذلك يصحبهم ، وأنفق عليهم جميع ما ملك . قال : فقلت له : أليس كنت تبغضهم ؟ قال : فقال لي : ليس الامر على ما توهمت . قلت له : كيف ؟ قال : صليت الجمعة يوماً من الأيام ، وخرجت فرأيت بشراً الحافي يخرج من المسجد مسرعاً . قال : فقلت في نفسي : انظر الى هذا الرجل الموصوف بالزهد ، ليس يستقر في المسجد ! قال : فتركت حاجتي ، فقلت : انظر أين يذهب . قال : فتبعته فرأيتته تقدّم إلى الحباز واشترى بدرهم خبز الماء . قال : قلت : انظر إلى هذا الرجل يشتري خبز الماء اقل : فتقدّم إلى الشواء فاعطاه درهماً وأخذ شواءً ؛ فزادني عليه غيظاً . قال : وتقدّم إلى الحلويّ واشترى فالودجاً^(١) بدرهم . فقلت في نفسي : والله لأنغيصنّ عليه

(١) كلمة فارسية معربة ، نطاق على نوع من الحلواء . قال في « التاج » : والفالودج : حلواء معروف ، وهو الذي يؤكل يسوتى من لب الخنطة ، فارسي معرب . قال شيخنا : الحلواء لابد أن تختم بالهاء على أصل اللسان الفارسي ، وإذا عربت أبدلت الهاء جيماً ، فقالوا : فالودج . قلت : والذي في « الصحاح » : الفالودج والفالودق معربان . قال يعقوب : ولا يقال : =

حين يجلس وياكل ! قال : فخرج إلى الصحراء ، وأنا أقول : يريد
الخصرة والماء . قال : فما زال يمشي إلى العصر وأنا خلفه . قال : فدخل
قرية ، وفي القرية مسجد وفيه مريض . قال : فجلس عند رأسه وجعل
يلقمه . قال : فقامتُ لأنظرَ القرية . قال : فبقيت ساعة ، ثم رجعت
فقلت للعليل : أين بشر ؟ قال : ذهب إلى بغداد . قال : فقلت : ولم
بيني وبين بغداد ؟ فقال : أربعون فرسخاً^(١) . فقلت : إنا لله وإنا إليه
راجعون ! أيش^(٢) عملت بنفسي وليس معي ما أكثرني ولا أقدر على
المشي ! قال : اجلس حتى يرجع . فجلست إلى الجمعة القابلة . قال :
فجاء بشر في ذلك الوقت ومعه شيء يأكلُ المريض . فلما فرغ ، قال
له العليل : يا أبا نصر^(٣) ! هذا رجل صحبك من بغداد ربقي عندي
منذ الجمعة ، فردّه . قال : فنظر إليّ كالمغضب ، وقال : لم صحبتني ؟
قال : فقلت : أخطأت . قال لي : قم امش . قال : فشيت إلى قرب
المغرب . قال : فلما قربنا ، قال لي : أين محلّتك من بغداد ؟ قلت : في
موضع كذا . قال : اذهب ولا تعد . قال : فتبت إلى الله - عز وجل -
وصحبتهم ، وأنا على ذلك .

= الفالوذج . وفي « اللسان » : الفولاذ والغالوذ : مصاص الحديد المنقى من خبثه ، ويطلق
أيضاً على نوع من الحلواء يؤكل ، وأصل الكلمة بولاد ، وأما الفالوذق ، فاسم الحلواء
فقط ، وهو معرب بالوذة .

(١) الفرسخ : ثلاثة أميال .

(٢) بمعنى أي شيء .

(٣) هي كنية بشر الحافي .

٨١ [توبة ابي هب رب]^(١)

أخبرنا محمد ، قال : ثنا حمد ، أنا أحمد ، ثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد ، ثنا الحسن بن محمد ، ثنا أبو زرعة ، ثنا إبراهيم بن العلاء بن الضحاك ، ثنا الوليد بن مسلم^(٢) . عن ابن جابر^(٣) :

أنّ أبا عبد ربّ كان من أكثر أهل دمشق مالاً ، فخرج إلى أذربيجان^(٤) في تجارة ، فأمسى إلى جانب مرج ونهر فنزل به . قال أبو عبد ربّ : فسمعت صوتاً يكثر حمد الله في ناحية من المرج ، فاتبعته . فوافيت رجلاً في حفير من الأرض ملفوفاً في حصير . فسلمت عليه ، وقلت :

(١) هو أبو عبد ربّ الدمشقي الزاهد ، ويقال : أبو عبد ربه ، أو عبد ربّ العزة قيل : اسمه عبد الجبار ، وقيل : عبد الرحمن . وقيل : قسطنطين ، وقيل : فلسطين ، وهو غلط . توفي سنة (٥١١٢ هـ) رحمه الله .

(٢) هو الوليد بن مسلم القرشي مولى بني أمية . وقيل : مولى بني العباس أبو العباس الدمشقي ، ثقة لكنه كثير التدليس والتسوية ، أي يدلس تدليس التسوية . وتدليس للتسوية أن يسقط من السند غير شيخه لكونه ضعيفاً أو صغيراً ، ويأتي بلفظ محتمل أنه عن الثقة الثاني تحسناً للحديث وهو شر أقسام التدليس ، توفي رحمه الله آخر سنة أربع أو أول سنة خمس وتسعين ومائة .

(٣) ابن جابر : هو عبد الرحمن بن يزيد بن جابر الأردني أبو عتبة الشامي الداراني ثقة ، توفي رحمه الله سنة مائة وبضع وخمسين .

(٤) أذربيجان بفتح الهمزة وسكون الال وفتح الراء وكسر الباء وياه ساكنة وجيم ، وقد فتح قوم الال وسكنوا الراء ، ومدّ آخرون الهمزة مع ذلك . وحد أذربيجان من برذعة مشرقاً إلى أذربيجان مغرباً ، ويتصل حدما من جهة الشمال ببلاد الديلم ، ومن مشهور مدائنها تبريز .

من أنت يا عبد الله؟ قال : رجل من المسلمين . قال : قلت : ما حالك هذه؟ قال : حال نعمة يجب عليّ حمد الله فيها . قال : قلت : كيف وإنما أنت في حصر؟ قال : ومالي لا أحمد الله أن خلقتني فأحسن خلقي وجعل مولدي ومنشئي في الإسلام ، وأبسني العافية في أركاني ، وستر عليّ ما أكره ذكره أو نشره ؟! فمن أعظم نعمة ممن أمسى في مثل ما أنا فيه؟ قال : قلت : رحمك الله ! إن رأيت أن تقوم معي إلى المنزل فإننا نزول على النهر . قال : وله؟ قلت : لتصيب من الطعام ولنعطيك ما بغنيك عن لبس الحصر . قال : ما بي حاجة .

قال الوليد : فحسبت أنه قال : إن لي في أكل العشب كفاية عما قال أبو عبد ربّ ، قال : فأردته على أن يتبعني ؛ فأبى ، قال : مالي به من حاجة .

قال أبو عبد ربّ : فانصرفت وقد تقاصرت إليّ نفسي ومقتهاً أني لم أخلف بدمشق رجلاً في الغنى يكثرني وأنا ألتمس الزيادة فيه . وقلت : اللهم ! إني أتوب إليك من سوء ما أنا فيه . قال : فبتّ ولم يعلم إخواني بما قد أجمعت به . فلما كان من السحر رحلوا كنعو من رحيلهم فيما مضى ؛ وقدّموا إليّ دابتي فركبتها وصرفتها إلى دمشق . وقلت : ما أنا بصادق التوبة إن أنا مضيت في متجري هذا، فسألني القوم فأخبرتهم ؛ وعاتبوني على المضي فأبيت .

قال ابن جابر : فلما قدم تصدق بصامت ماله ^(١) وتجهز به في سبيل الله . قال ابن جابر : فحدثني بعض إخواني قال : ما كست ^(٢) صاحب عبادة في عبادة ، أعطيته ستة وهو يقول : سبعة . فلما أكثر قال : ممن أنت ؟ قلت : من أهل دمشق . قال : ما تشبه شيخاً وقد عليّ أمس ، يقال له : أبو عبد ربّ اشترى مني سبعمائة كساء بسبعة سبعة ؛ ما سألني أن أضع له درهماً ، فسألني أن أجعلها له ، فبعثت أعواني ؛ فما زال يفرقها بين فقراء الجيش ، فما دخل إلى منزله منها بكساء .

قال ابن جابر : وباع عقدة وتصدق بها ، وباع داره بمال عظيم وفرقه ؛ وكان مع ذلك موته . فما وجدوا منها إلا قدر ثمن الكفن . وكان يقول : والله لو أن نهر كم هذا - يعني بردى - سال ذهباً وفضة ، من شاء خرج إليه فأخذ منه ، ما خرجت إليه ؛ ولو قيل : من مس هذا العمود مات ، لسرني أن أقوم إليه شوقاً إلى الله وإلى رسوله .

(١) الصامت : الذهب والفضة ، يقال : فلان ماله صامت ولا ناطق ، الصامت الذهب والفضة ، والناطق : الحيوان : الأبل ، والغنم ، أي : ليس له شيء . والمعنى هنا : تصدق بذهب ماله وفضته .

(٢) الماكسة في البيع : انتقاص الثمن واستحطاطه . ومكس في البيع يكس بكسر الكاف ، مكساً ، ومكس الشيء : نقص . ومكس الرجل : نقص في بيع ونحوه ، ومكس البيعان : نشاحا . وما كس الرجل مأكسة ومكاساً : شاكسه .

٨٢ - [نوبة القضي] (١)

أنا الإمام أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي قال : أنا أبو علي أحمد ابن محمد بن أحمد البرداني ، أنا الحسن بن أحمد بن عبد الله المقرئ ، أنا هلال بن محمد الحفّار ، ثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الصباح البزاز قال : لم يرو القعني عن شعبة (٢) غير هذا الحديث الواحد وله شرح : حدثني بعض القضاة عن بعض ولد القعني بالبصرة ، قال :

كان أبي يشرب النبيذ ويصحب الأحداث . فدعاهم يوماً ، وقد قعد على الباب ينتظرهم . فمرَّ شُعبة على حمارة والناس خلفه يهرعون . فقال : من هذا ؟ قيل : شعبة . قال : وأي شعبة؟ قالوا : محدث .

فقام إليه وعليه إزار أحمر ، فقال له : حدثني . فقال له : ما أنت من أصحاب الحديث فأحدثك . فأشهر سكينه وقال : تحدثني أو

(١) هو عبد الله بن مسلمة بن قعنب الحارثي من رجال الحديث انتقلت من أهل المدينة ، سكن البصرة وتوفي فيها أو بطريق مكة سنة (٨٢١) . رحمه الله . روى عنه البخاري ومسلم .

(٢) هو شعبة بن الحجاج بن الورد العنكي الأزدي مولام الواسطي البصري أبو بسطام (٨٢ - ١٦٠ هـ) من أئمة رجال الحديث حفظاً ورواية وتثبتاً ، ولد ونشأ بواسط وسكن البصرة إل أن توفي . قال الإمام أحمد : هو أمة وحده في هذا الشأن ، وقال الشافعي : لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق ، وكان عالماً بالأدب والشعر ، له «الفرائب» في الحديث .

أجرحك ؟ فقال له : حدثنا منصور عن ربعي عن أبي مسعود ^(١) قال :
قال رسول الله ﷺ : « إذا لم تستحي فاصنع ما شئت » ^(٢) فرمى

(١) في المطبوعة : عن ابن مسعود ، وهو مخريف . صوابه : عن أبي مسعود . وهو عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة بن عطية بن جدارة بن عوف بن الحارث ابن الخزرج الأنصاري أبو مسعود البدري الصحابي الجليل ، مشهور بكنيته ، اتفقوا على أنه شهد العقبة ، واختلفوا في شهوده بدرأ ، فقال الأكثر : نزها فنسب إليها ، وجزم البخاري بأنه شهدها ، توفي رضي الله عنه بعد سنة أربعين هجرية ، قيل بالكوفة ، وقيل بالمدينة .

(٢) هذا الحديث رواه البخاري في « صحيحه » في ذكر بني اسرائيل من أواخر حديث الأنبياء ، وكتاب الأدب : باب « إذا لم تستحي فاصنع ما شئت » ورواه أبو داود في « سننه » رقم (٤٧٩٧) وابن ماجه رقم (٤١٨٣) كاهم من حديث أبي مسعود البدري رضي الله عنه ، ورواه أحمد في « المسند » ٢٧٣/٥ من حديث أبي مسعود و ٣٨٣/٥ من حديث حذيفة رضي الله عنه .

وقوله صلى الله عليه وسلم في أول الحديث : « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى » يشير الى أن هذا مأثور عن الانبياء المتقدمين ، وإن الناس تداولوه بينهم قرناً بعد قرن ، وهذا يدل على أن النبوة المتقدمة جاءت بهذا الكلام ، وأنه اشتهر بين الناس حتى وصل إلى أول هذه الامة .

وقوله : « إذا لم تستحي فاصنع ما شئت » . في معناه قولان . احدهما : أنه ليس بمعنى الأمر أن يصنع ما شاء ، ولكنه على معنى الذم والنهي عنه ، وأهل هذه المقالة لهم طريقتان . أحدهما : أنه أمر بمعنى التهديد والوعيد ، والمعنى . إذا لم يكن حياء فاعمل ما شئت ، فإله يجازيك عليه ، كقوله تعالى . (اعملوا ما شئتم إنه بما تعلمون بصير) [فصلت : ٤٠] وقوله : (فاعبدوا ما شئتم من دونه) [الزمر : ١٥]

والطريق الثاني : أنه أمر ومعناه الخبر ، والمعنى : أن من لم يستحي صنع ما شاء ، فإن المانع من فعل القبائح هو الحياء ، فن لم يكن له حياء انهمك في كل فحشاء ومنكر .

والقول الثاني : أنه أمر بفعل ما يشاء على ظاهر أمره ، وأن المعنى ، إذا كان الذي =

سكينه ورجع إلى منزله . فقام إلى جميع ما كان عنده من الشراب
فهرّاقه^(١) ، وقال لأمه : الساعة أصحابي يجيئون ، فادّخليهم وقدّمي
الطعام إليهم؛ فإذا أكلوا فخبّبريهم بما صنعت بالشراب حتى ينصرفوا .
ومضى من وقته إلى المدينة ، فلزم مالك بن أنس^(٢) ، فأثر عنه . ثم
رجع إلى البصرة وقد مات شعبة ، فما سمع منه غير هذا الحديث .

يريد فعله مما لا يستحي من فعله لا من الله ولا من الناس فاصنع منه حينئذ ماشئت، فمى=
الحديث إشارة إلى تعظيم أمر الحياء ، وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الحياء من الإيمان
كما في « الصحيحين » عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ على
رجل وهو يعاتب أخاه في الحياء ، فقال: « دعه فان الحياء من الإيمان » وفي « الصحيحين »
أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الحياء شعبة من
الإيمان » وفي « الصحيحين » عن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال : « الحياء لا يأتي إلا بخير » وفي رواية لمسلم « الحياء خير كله » أو قال :
« الحياء كله خير » . لانه يكف عن ارتكاب القبائح ودناهة الأخلاق ويحث على استعمال
مكارم الأخلاق ومعاليها ، وهو من الحاصل التي يجيها الله تعالى ويجب المتصفين بها .

(١) مثل أراقه وزنا ومعنى ، أي صبّه . يقال : هراق الماء يُهريقه بفتح الهاء
هیراقه بكسرها، وأهرقه يُهريقه إهراقا، وأهراقه يهريقه أهراقاً ، فهو مُهريق ، وذلك
مُهْرَاقٌ ومُهْرَاقٌ . وأصله : أراقه يريقه إراقه .

(٢) هو مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري أبو عبد الله (٩٣ - ١٧٩ هـ)
إمام دار الهجرة وأحد الائمة الأربعة عند أهل السنة واليه تنسب المالكية ، كان صلباً في
دينه ، بعيداً عن الملوك والامراء ، من مؤلفاته « الموطأ » و « رسالة في الوعظ » و
« كتاب في المسائل » و « رسالة في الرد على القدرية » وغيرها ، أخباره كثيرة ، مولده
وفاته في المدينة ، رحمه الله تعالى .

٨٣ - [نوبة عكبر الكردي]

قرأتُ في « الملتقط »^(١) عن بشر بن الحارث الحافي أنه قال :
اعترضت عكبر الكردي ، فقلت له : أيش كان أصل رجوعك إلى الله
تعالى ؟ فقال : كنت في بعض الدحال^(٢) أقطع الطريق ، وكان فيها ثلاث نخلات
نخلة منهن لا تحمل . وإذا بعصفور يأخذ من حمل النخلة التي تحمل
رطوبة فيدعها في التي لا تحمل . فلم أزل أعدّ عليه عشر مرار ، فخطر
بقلي : قم وانظر ! فهضت ، فإذا في رأس النخلة حية عمياء - يعني ،
وهو يضع الرطبات في فيها .

فبكيت ، وقلت : سيدي ! هذه حية قد أمر نبيك بقتلها ؛ أعميتها
وأمت لها عصفوراً يقوم لها بالكفاية ؛ وأنا عبدك ، أقر بأنك واحد ،
أقتني لقطع الطريق وإخافة السبيل ؟! فوقع في قلبي : يا عكبر ! بابي
مفتوح . فكسرتُ سيفي ، ووصعتُ التراب على رأسي ، وصحنت :
الإقالة ! الإقالة ! فإذا بهاتف يقول : قد أقلناك ! قد أقلناك ! فانتبه
رفقائي ، فقالوا : مالك ؟ قد أزعجتنا ! فقلت : كنت مهجوراً ، وقد
صُلحت . فقالوا : ونحن أيضاً كنا مهجورين ، وقد صلحنا . فرمينا

(١) هو لأبي الفضل محمد بن أبي جعفر الأستاذ المنذري السروي المتوفى سنة (٥٣٢٩هـ)

(٢) الدحال جمع دحل ، وهو نقب ، ضيق فيه ، متسع أسفل حتى يمشى فيه وربما
أنبت السدر ، ويجمع على أدحل ، وأدحال ، ودحُول ، ودحلان .

ثيابنا وأحرمنا كلنا . فمازلنا كذلك ثلاثة أيام نصيح ونبكي ونحن
سكارى حيارى . فوردنا اليوم الثالث على قرية؛ وإذا بامرأة عمياء جالسة
على باب القرية . فقالت : فيكم عكبر الكردي ؟ فقال أحدنا : نعم ، لك
حاجة ؟ قالت : نعم ؛ لي ثلاث ليال أرى النبي ﷺ في النوم ، وهو
يقول : أعط عكبر الكردي ما خلفه ولدك . فأخرجت لنا ستين
اشقة . فاتترنا ببعضها ودخلنا البادية إلى أن أتينا البيت .

٨٤ - [نوبة صدقة بن سليمان الجعفري]

وذكر ابن أبي الدنيا^(١) قال : حدثني محمد بن الحسين ، ثنا خالد
ابن عمرو القرشي ، ثنا صدقة بن سليمان الجعفري ، قال :
كانت بي شرّة سمجة^(٢) ؛ فمات أبي ؛ فأبت^(٣) وندمت^(٤) على

(١) هو عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن أبي الدنيا القرشي الأموي مولود
البغدادي أبو بكر (٢٠٨ - ٢٨١ هـ) حافظ للحديث ، مكث من التصانيف ، أدب
الخليفة المعتضد العباسي في حدائمه ، ثم أدب ابنه المكتفي ، له تصانيف كثيرة . منها «الفرج
بعد الشدة» و «مكارم الأخلاق» و «ذم الملامي» و «الشكر» و «قرى الضيف»
و «العقل وفضله» و «ذم الدنيا» و «ذم المسكر» و «الرقه والبكاء» و «قضاء
الحوادث» وغيرها ، وكان من الوعاظ العارفين بأساليب الكلام وما يلائم طباع الناس ،
مولده ووفاته ببغداد .

(٢) في المطبوعة : كان لي شرّة ، وشرّة الشباب بكسر الشين : نشاطه . وسمجة ، أي
قبيحة ، يقال : سمج ككرم ، سماجة فهو سمج وسميج وسميج ، ويجمع على سماج .

(٣) أي رجعت

ما فرطت^(١) ، ثم زللت زلة^(٢) فرأيت أبي في المنام ، فقال : أي بني ! ما كان أشد فرحني بك وأعمالك تُعرض علي فَنشبهها بأعمال الصالحين ! قال خالد : وكان بعد ذلك قد خشع ونسك . وكنت أسمعُه يقول في دعائه في السحر - وكان لنا جار أبالكوفة - : اللهم أسألك إنابة^(٣) لارجعة فيها ولا حور^(٤) يا مصلح الصالحين وهاذي المضلين وراحم المذنبين

٨٥ - [توبة زبي النون المصري]^(٥)

أنبأنا الشيخ أبو الفرج ، أنا محمد بن عبد الله بن حبيب ، أنا علي ابن عبد الله بن أبي صادق ، ثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن باكويه ، قال : سمعت الحسن بن علويه ، قال : سمعت يوسف بن الحسين يقول : لما استأنستُ بزبي النون المصري قلت : أيها الشيخ ! ما كان بدء شأنك ؟ قال : كنت شاباً صاحب لهو ولعب . ثم تبتُ وتركت ذلك ، وخرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام ومعني بضبعة^(٦) فركبت في

(١) أي قصرت .

(٢) أي أخطأت خطيئة ، وإزالة : الخطيئة والسقطة .

(٣) أي توبة .

(٤) أي ولا نقص .

(٥) هو ثوبان بن إبراهيم الإخيمي المصري أبو الفياض ، أو أبو الفيض المعروف بزبي النون المصري ، أحد الزهاد والعباد المشهورين من أهل مصر ، نوبى الأصل من الموالي ، كانت له فصاحة وحكمة وشعر ، وهو أول من تكلم بمصر في الأحوال ومقامات الولاية ، فأُتكر عليه عبد الله بن الحكم ، واتهمه المتوكل العباسي بالزندقة ، فاستحضره إليه وسمع كلامه ثم أطلقه فصار إلى مصر ، وتوفي ببجيزة مصر سنة (٢٤٥ هـ) .

(٦) تصغير بضاعة .

المركب مع تجار من مصر ، وركب معنا شاب صبيح^(١) كان وجهه يشرق . فلما توسطنا فقد صاحب المركب كيساً فيه مال . فأمر بحبس المركب ، ففتش من فيه وأتعبهم . فلما وصلوا إلى الشاب ليفتشوه ، وثب وثبةً من المركب حتى جلس على أمواج البحر ، وقام له الموج على مثال سرير ، ونحن ننظر إليه من المركب . وقال : يا مولاي ! إن هؤلاء اتهموني ؛ وإني أقسم يا حبيب قلبي ، أن تأمر كل دابة في هذا المكان أن تخرج رأسها وفي أفواهاها جوهر .

قال ذو النون : فاتمّ كلامه حتى رأينا دواب البحر أمام المركب قد أخرجت رؤوسها ، وفي فم كل واحدة منها جوهرة تتلألأ وتلمع . ثم وثب الشاب من الموج إلى البحر وجعل يتبختر على متن الماء^(٢) ويقول : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٥] ! حتى غاب عن بصري : فهذا الذي حملني على السياحة . وذكرت قول النبي ﷺ : « لا يزال في هذه الأمة ثلاثون ، قلوبهم على قلب إبراهيم خليل الرحمن ؛ كلما مات واحد أبدل الله مكانه واحداً »^(٣) .

(١) أي جيل .

(٢) على ظهر الماء ، أي سطحه ووجهه .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ٣٢٢/٥ من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه بلفظ « الأبدال في هذه الأمة ثلاثون مثل إبراهيم خليل الرحمن عز وجل ، كلما مات رجل أبدل الله تبارك وتعالى مكانه رجلاً » قال عبد الله بن الإمام أحمد : قال أي : إنه منكر ، لأن في سنده الحسن بن ذكوان .

قال فيه عبد الله بن أحمد نقلًا عن أبيه : أحاديثه أباطيل ، وقال الحافظ ابن حجر في « التقريب » : صدوق يخطيء وكان يدلس . =

٨٧ - [توبة سكران]

قال ابن باكويه : وحدثنا بكران بن أحمد قال : سمعت يوسف ابن الحسين ^(١) يقول : كنت مع ذي النون المصري على شاطئ غدير فنظرت إلى عقرب أعظم ما يكون على شطّ الغدير واقفة . فإذا بضفدع قد خرجت من الغدير ، فركبتّها العقرب فجعلت الضفدع تسبح حتى عبرت . فقال ذو النون : إن لهذه العقرب لساناً ، فامض بنا ، فجعلنا تقفو أثرها ؛ فإذا رجل نائم سكران ، وإذا حية قد جاءت فصعدت من ناحية سرته إلى صدره وهي تطلب أذنه ، فاستحكمت العقرب من الحية فضربتّها : فانقلبت وانفسخت . ورجعت العقرب إلى الغدير ، فجاءت الضفدع فركبتها فعبرت ، فحرك ذو النون الرجل

== وقال الحافظ السخاوي في « المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على اللسان » : حديث الأبدال له طرق عن أنس رضي الله عنه بالفاظ مختلفة كلها ضعيفة . ١٠١ . ولكنها بمجموعها تدل على أن لهذا الحديث أصلاً ، ويكون حسناً بمجموع طرقه ورواياته ولكن دون تحديد بمكان ولا عدد معين ، وما يدل على ذلك أن الامام الشافعي كان يقول في بعضهم : كنا نعدّه من الأبدال ، وأن البخاري قال في غيره : كانوا لا يشكون أنه من الأبدال ، وكذا وصف غيرهما من النقاد والحفاظ والأئمة غير واحد بأنهم من الأبدال . وقد ألفت الحافظ السخاوي في الأبدال جزءاً سماه « نظم الأبدال في الكلام على الأبدال » وكذا الحافظ السيوطي رسالة سماها : « الخبر الدال على الأبدال » وانظر « المقاصد الحسنة » للسخاوي ، و « كشف الحفاء » للعجلوني .

(١) هو يوسف بن الحسين بن علي أبو يعقوب الرازي . زاهد صوفي من العلماء والأدباء ، كثير السياحة ، وفيهم من يصفه بالزندقة ، وهو من أقران ذي النون المصري توفي سنة (٣٠٤) هـ .

النائم ، ففتح عينيه ؛ فقال : يا فتى ! انظر مما نجّاك الله : هذه العقرب
جاءت فقتلت هذه الحية التي أردتلك . ثم أنشأ ذو النون يقول :

يا غافلاً والجليلُ يجرُّهُ من كلِّ سوءٍ يدبُّ في الظلمِ
كيف تنام العيونُ عن ملك تأتيه منه فوائدُ النعمِ

فنهض الشاب وقال : إلهي ! هذا فعلك بن عصاك ، فكيف رفقك
بمن يطيعك ؟ ثم ولى ؛ فقلت : إلى أين ؟ قال : إلى البادية ؛ والله
لا عدتُ إلى المدنُ أبداً !

٨٨ - [نوبة المرتضى] ^(١)

أنا بنو أبو علي ضياء بن أبي القاسم ، أنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد
الباقي ، أنا هناد بن ابراهيم ، قال : سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول :
سمعت جدي يقول :

كان المرتضى دهقان ^(٢) نيسابورَ يذكر بدء أمره أنه كان جالسا
على باب داره . قال : فإذا أنا بشاب عليه مرقة وعلى رأسه خرقة . فأشار
إلي متعرضاً إشارة لطيفة . فقلت في نفسي : شاب جلدٌ صحيح

(١) هو أبو محمد عبد الله بن محمد المرتضى النيسابوري من علة الخيرة ، صحب أبا
حفص الحداد ، وأبا عثمان الحداد ، ولقي الجنيد وصحبه ، وأقام ببغداد حتى صار أحد
شايخ العراق وأئمتهم ، وكان يقيم في مسجد الشونيزية ، مات ببغداد سنة (٣٢٨ هـ) .

(٢) الدهقان والدهقان : التاجر ، فارسي معرب ،

الجسم ؛ ولم أردَ عليه جوابه . فصاح الشاب صيحة هالتني وقال :
أعوذ بالله مما خطر في سرك ! قال المرتعش : فغشي عليّ ؛ فخرجت
جارية لنا ورأتني ، واجتمع حولي خلق . فما أفقت إلا بعد حين .
فلما أفقت لم أرَ الشاب ، فتحسرت على ما كان مني . فرأيت أمير
المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في المنام ، وهو يقول : إن الله
- عز وجل - لا يجيب سؤالَ مانع سائله . قال المرتعش : فانتبهت
وفرقت ما نالت يدي ؛ وخرجت فسمعت وفاة والدي وأخي بعد خمس
عشرة سنة ؛ وما رجعت إلى نيسابور بعد ذلك . وصار الشاب
يتبعني أحياناً ، فما فارقتي ولا تفارقنا إلى اللقاء .

٨٩ - [نوبة عبد الرحمن القسي]^(١)

أخبرنا أبو بكر أحمد بن المقرَّب بن الحسين الكرخي ، أنا
طراد بن محمد الزيني ، أنا أبو الحسين بن بشران ، أنا أبو علي بن
صفوان ، أنا عبد الله بن محمد ، حدثني أبو زيد النميري^(٢) قال : حدثني
خلاد بن يزيد^(٣) قال : سمعت شيوخنا من أهل مكة - منهم سليمان -
يذكرون :

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الله - ويقال : عبد الله بن عبد الرحمن - بن أبي عمار
الجشمي المكي العابد التابعي الذي كان هوي سلامة المغنية ثم أناب ولقب بالقسي لعبادته .

(٢) هو عمر بن شبة بن عبيدة بن زيد بن راطة النميري أبو زيد بن أبي معاذ
البحري النحوي الأخباري تزيل بغداد ، صدوق .

(٣) هو خلاد بن يزيد الباهلي المعروف بالأرقط ، صدوق جليل .

أن القسَّ كان عند أهل مكة من أحسنهم عبادةً ، وأظهرهم تبتلا ،
 وأنه مرَّ يوماً بسلامةٍ جارية كانت لرجل من قريش ^(١) ، فسمع
 غناءها . فوقف يستمع ؛ فرآه مولاها فقال : هل لك أن تدخل فتسمع ؟
 فتأبى عليه ، فلم يزل به حتى تسمع وقال : أقعدني في موضع لا أراها
 ولا تراني . قال : أفعل . فدخل ، فتغنَّت ، فأعجبته . فقال مولاها :
 هل لك أن أحوِّلها إليك ؟ فتأبى ، ثم تسمع . فلم يزل يسمع غناءها
 حتى شغِفَ بها وشغِفَتْ به ؛ وعلم ذلك أهل مكة . فقالت له يوماً :
 أنا والله أحبُّك . قال : وأنا والله أحبُّك . قالت : وأحب أن
 أضع في علي فك . قال : وأنا والله . قالت : أحبُّ أن أُلصق صدري
 بصدرك ، وبطني ببطنك . قال : وأنا والله . قالت : فما يمنعك ؟ فوالله
 إنَّ الموضع لخال . قال : إني سمعتُ الله تعالى يقول : ﴿ الأَخْلَاءُ
 يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٦٧] ؛
 وأنا أكره أن تكون خلة ما بيني وبينك تؤول بنا إلى عداوة يوم القيامة .
 قالت : يا هذا ! أتحسب أن ربي وربك لا يقبلنا إذا تبنا إليه ؟ قال : بلى !
 ولكن لا آمن أن أفاجأ . ثم نهض وعيناه تذر فان ، فلم يرجع بعد ، وعاد
 إلى ما كان عليه من النسك .

(١) سلامة مغنية شاعرة من مولدات المدينة ، نشأت بها وأخذت الغناء عن معبد
 وطبقته ، فمهرت في الغناء وحذقت الضرب على الأوتار ، وقالت الشعر الكثير ، وشغف
 بها عبد الرحمن بن أبي عمار الجشمي من قراء مكة الملقب بالقس لكثرة عبادته ، فنسبت
 إليه وغلِبَ عليها لقبه ، وسمع بها يزيد بن عبد الملك فاشتراها فانتقلت إل دمشق وبقيت
 عنده إلى أن توفي ولها شعر في رثائه ، توفيت نحو سنة ١٣٠ هـ .

٩٠ - [نوبة أبي الحارث الأولاسي]^(١)

وروى أبو سعيد^(٢) قال : حكى بعضُ الزهاد قال : قال لي أبو الحارث الأولاسي : تدري كيف كان بدءُ أمرِ توبتي ؟ فقلت : لا . فقال : كنت شاباً صبيحاً وضيئاً . فبينما أنا في غفلي رأيت عليلاً مطروحاً على قارعة الطريق . فدنوت منه ، فقلت : هل تشتهي شيئاً ؟ قال : نعم ، رمانٌ . فجتتهُ برمانٍ . فلما وضعته بين يديه رفع بصره إليّ وقال : تاب اللهُ عليك . فما أمسيتُ حتى تغير قلبي عن كل ما كنت فيه من اللهو ؛ ولزمني خوف الموت ، فخرجتُ عن جميع ما أملك وخرجتُ أريد الحج ، فكنتُ أسير بالليل وأختفي بالنهار مخافة الفتنة . فبينما أنا أسير بالليل إذا بقوم على الطريق يشربون ، فلما رأوني ذهلوا ، وأجلسوني وعرضوا عليّ الطعام والشراب . فقلت : أحتاج إلى البول فأرسلوا معي غلاماً ليدلني على الخلاء . فلما تباعدتُ عنهم قلت للغلام : انصرف ، فإنني أستحي منك . فانصرف ؛ ووقعتُ في غابة ، فإذا أنا بسبعٍ ؛ فقلت : اللهم إنك تعلم ما تركتُ ومن ماذا خرجتُ ، فاصرف عني شر هذا السبع . فولى السبع ، ورجعتُ إلى الطريق فوصلت إلى مكة . ولقيتُ بها من انتفعت بهم ، منهم إبراهيم بن سعد العلوي .

(١) الأولاسي نسبة إلى حصن على ساحل بحر الشام ، من نواحي طرطوس ، فيه حصن يسمى حصن الزهاد

(٢) في المطبوعة : أبو سعد

٩١- [تروية أبي الفضل محمد بن ناصر السلمي عن اعتقاد المبرهنه] (١)

قرأتُ على الشيخ أبي عبد الله مظفر بن أبي نصر البواب وابنه أبي محمد عبد الله بن مظفر ببغداد ، قلت لهما : حدثكما الإمام الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر السلمي ، قال : كنتُ أسمع الفقهاء من أصحاب الشافعيّ في «النظاميّة» (٢) يقولون - يعني - : القرآن معنى قائم بالذات ، والحروف والأصوات عبارات ودلالات على الكلام القديم القائم بالذات . فحصل في قلبي شيء من ذلك حتى صرتُ أقول بقولهم موافقةً . وكنتُ إذا صليتُ أدعو الله تعالى أن يوفقني لأحب المذاهب والاعتقادات إليه . فبقيتُ على ذلك مدة طويلة أقول : اللهم وفقني لأحب المذاهب إليك وأقربها عندك ، فلما كان في أوّل ليلة من رجب سنة أربع وتسعين وأربعمائة رأيتُ في المنام كأنني قد جئتُ إلى مسجد الشيخ أبي منصور محمد بن أحمد المقرئ الحياط (٣) في مسجد ابن جرادة (٤) والناس على باب المسجد

(١) هو أبو الفضل محمد بن ناصر بن علي السلمي (٤٦٧ - ٥٥٠ هـ) ويقال له ابن ناصر ، محدث العراق في عصره ، نسبة ال مدينة السلام (بغداد) ومولده ووفاته فيها ، له «الأمالي» في الحديث .

(٢) مدرسة مشهورة في بغداد

(٣) هو أبو منصور محمد بن أحمد بن عبد الرزاق الشيرازي الأصل ، البغدادي ، الصغار الحياط الحنبلي (٤٠١ - ٤٩٧ هـ) مقرئ ، من آثاره «المهذب» في القراءات (٤) ابن جرادة : كان من متمولي بغداد ، وإليه نسبت خرابة ابن جرادة ببغداد

مجتمعون ، وهم يقولون : إن النبي ﷺ عند الشيخ أبي منصور .
 فدخلت المسجد وقصدتُ إلى الزاوية التي كان يجلس فيها الشيخ أبو
 منصور ، فرأيتُ الشيخَ أبا منصور قد خرج من زاويته وجلس بين
 يدي شخص ، فما رأيتُ شخصاً أحسنَ منه على نعتِ النبي ﷺ الذي
 وُصف لنا ؛ وعليه ثياب ما رأيتُ أشدَّ بياضاً منها ، وعلى رأسه عمامة
 بيضاء ، والشيخ أبو منصور مُقبِلٌ عليه بوجهه . فدخلت فسلمت ،
 فردَّ عليَّ السلام ولم أتحقق من الرادِّ عليَّ لدهشتي بروية النبي ﷺ ،
 وجلستُ بين أيديهما . فالتفتَ إليَّ رسول الله ﷺ من غير أن أسأله
 عن شيء أو أستفتحه بكلام أصلاً ، وقال لي : عليك بمذهب هذا
 الشيخ ، عليك بمذهب هذا الشيخ ، عليك بمذهب هذا الشيخ ، ثلاثاً .

قال الحافظ أبو الفضل ؛ وأنا أقسم بالله ثلاثاً ، وأشهد بالله ثلاثاً ،
 لقد قال لي رسول الله ﷺ ثلاثاً ، ويشير في كل مرة بيده اليمنى إلى
 الشيخ أبي منصور . قال : فانتبهتُ وأعضائي ترعد ، فناديتُ والذقي
 رابعة بنت الشيخ أبي حكيم الخبيري ^(١) وحكيت لها ما رأيتُ .

(١) هو جده لأمه نسبة إلى « الخبيرة » بفتح فسكون من قرى شيراز بفارس ،
 وهو عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله بن حكيم الخبيري الشافعي أبو حكيم أديب لغوي
 فقيه فريقي حاسب ، تفقه على أبي إسحاق الشيرازي وسمع الحديث من أبي عمير الجوهري
 وجماعة ، توفي (سنة ٤٧٦ هـ)

قالت : يا بني ! هذا منام وحي ^(١) ، فاعتمد عليه . فلما أصبحت بكرتُ إلى الصلاة خلف الشيخ أبي منصور . فلما صلينا الصبح قصتُ عليه المنام ، فدمعت عيناه وخشع قلبه . وقال لي : يا بني ! مذهب الشافعي حسن ؛ فتكون على مذهب الشافعي ^(٢) في الفروع ، وعلى مذهب أحمد ^(٣) وأصحاب الحديث في الأصول . فقلت له : أي سيدي ! ما أريد أن أكون لوني ! وأنا أشهدُ الله وملائكته وأنبياءه ، وأشهدك عليَّ أني منذ اليوم لا أعتقد ولا أدين الله ولا أعتد إلا على

(١) رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم في المنام حق ، لأن الشيطان لا يتمثل به ، كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة ، ولا وحي بعد وفاة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، بل إن المنام إذا رأى النبي صلى الله عليه وسلم بامرء بشيء في منامه ، يجب عليه أن يعرضه على الشرع الظاهر ، فإن وافقه فهو حق ، وإن خالفه فلا يلتفت إليه ، لأنه يكون من خلل في سمع الرائي ، وكذلك رؤيته صلى الله عليه وسلم في المنام يجب أن تكون مطابقة لأوصافه الكريمة ، وقد كان محمد بن سيرين إذا قص عليه أحد أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه ، قال : صف لي الذي رأيته ، فإن وصف له صفة لا يعرفها ، قال : لم تره ، وقد ورد أن رجلاً قال لابن عباس رضي الله عنهما : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، قال : صفه لي ، قال : ذكرتُ الحسن بن علي فشبهته به ، قال : قد رأيته ، لأن الحسن رضي الله عنه كان يشبهه صلى الله عليه وسلم . وانظر « فتح الباري » ١٢ / ٣٣٨ - ٣٤٤ كتاب التعبير - باب من رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فإنه قد وفي الموضوع حقه .

(٢) هو الامام محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي أبو عبد الله الشافعي المكي تولى مصر (١٥٠ - ٢٠٤ هـ) أحد الأئمة الأربعة المشهورين ، وإليه ينسب المذهب الشافعي .

(٣) هو الامام أحمد بن محمد بن حنبل بن مزل بن أسد الشيباني المروزي أبو عبد الله تولى بغداد (١٦٤ - ٢٤١ هـ) أحد الأئمة الأربعة المشهورين وإليه ينسب المذهب الحنبلي .

مذهب أحمد في الأصول والفروع. فقبل الشيخ أبو منصور رأسي ،
وقال : وفقك الله ، فقبلت يده .

وقال لي الشيخ أبو منصور : أنا كنتُ في ابتداء أمري ^(١) شافعيًا ،
و كنتُ أتفقه على القاضي الإمام أبي الطيب طاهر بن عبد الله الطبري ^(٢)
وأسمع الخلاف عليه . فحضرتُ يوماً عند الشيخ أبي الحسن علي بن
عمر القزويني ^(٣) الزاهد الصالح لأقرأ عليه القرآن ، فابتدأتُ أقرأ
عليه القرآن ، فقطع عليّ القراءة مرة أو مرتين . ثم قال : قالوا وقلنا ،
و قلنا وقالوا ! فلا نحن نرجع إليهم ولا هم يرجعون إلى قولنا ؛ ورجعنا
إلى عادتنا ؛ فأيّ فائدة في هذا ؟ ثم كرر عليّ هذا الكلام . فقلت في
نفسي : والله ما عنى الشيخ بهذا أحداً غيري . فتركت الاشتغال
بالخلاف ، وقرأت « مختصر أبي القاسم الخريقي » ^(٤) على رجل كان
يقريء القرآن .

(١) في المطبوعة : في ابتدائي .

(٢) هو طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر الطبري البغدادي أبو الطيب
(٣٤٨ - ٤٥٠ هـ) فقيه أصولي جدلي ، ولد في آمل طبرستان ، وسمع الحديث
بمروان ونيسابور وبغداد ، وتولى القضاء ، وتوفي في بغداد سنة (٥٠٠ هـ) من تصانيفه
« شرح مختصر المزني » في فروع الفقه الشافعي ، « والمجرد » و « شرح فروع ابن الحداد » وغيرها .
(٣) هو علي بن عمر بن محمد بن الحسن الحرابي البغدادي الشافعي المعروف بابن القزويني
أبو الحسن ، محدث فقيه ، من آثاره مجالس في الحديث وغيره ، توفي رحمه الله سنة (٤٤٢ هـ)
(٤) في فروع الفقه الحنبلي لمؤلفه عمر بن الحسين بن عبد الله أبي القاسم الخريقي
نسبة إلى بيع الخريقي ، فقيه حنبلي من أهل بغداد ، درس على أولاد أحمد بن حنبل ،
ثم رحل عن بغداد لما ظهر فيها سب الصحابة ، توفي رحمه الله بدمشق سنة (٥٣٤ هـ) له =

قال الحافظ : ورأيتُ بعد ذلك ما زادني يقيناً ، وعلمتُ أن ذلك تثبيت من الله لي وتعليم لأعرفَ حقَّ نعمة الله عليّ وأشكره ، إذ أتقذني من اعتقاد البدعة إلى اعتقاد السنَّة ، واللهُ المسؤُولُ الخاتمةُ بالموت على الإسلام والسنَّة .

٩٢ - [توبة أبي الحسن الهرقاني عن مذهب المتكلمين]

قال الحافظ أبو الفضل : وحدثني الشيخ الصالح أبو الحسن علي بن المختار بن علي الهرقاني ، قال : كان لي رفيق يُعرفُ بمحمد بن خنيس ، يقرأ على أبي عبد الله القيرواني المتكلم شيئاً من الكلام من كتاب ابن الباقلاني ^(١) . فوافقته في ذلك . فرأيتُ ليلة في منامي كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على سطح رباط الشيخ أبي سعد الصوفي وهو جالس وحوله حلقة دائرة . فقلت لبعضهم : ما هذا الجمع ؟ فقال لي : هذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه اما تسلم عليه ؟ فجننت ففضضتُ الحلقة ووقفت تلقاء وجهه ، وقلت : السلام عليك يا مولاي أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ! فقال لي : وعليك السلام ورحمة الله

= تصانيف احترقت وبقي منها « المختصر في الفقه » يعرف بـ « مختصر الخرقى » وقد شرحه المصنف الموفق شرحاً وافياً ، وسماه « المغني » وهو من المراجع الكبيرة في الفقه الإسلامي عامة ، وفي فقه الحنابلة خاصة .

(١) وهو « التمهيد » والباقلاني هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني البصري المتكلم على مذهب الأشعري ، سكن بغداد ، وله التصانيف المشهورة ، سمع الحديث من أبي بكر القطيعي وغيره ، مات ببغداد سنة (٥٤٠٣)

وبركاته ، ورأيته وهو جالس موازٍ لرؤوس القيام ، فبدأني وقال :
 تريد أن تعتقد ؟ قلت : نعم يا مولاي ! فقال : عليك باعتقاد أحد .
 فقلت : السمع والطاعة . فلما جاءني رفيقي الذي كنت أسمع معه
 الكلام ، وسعه أصحاب له . قالوا : تعال حتى نخفي إلى أبي عبد الله^(١)
 نقرأ عليه . قلت : اليرم لي شغل . ثم إنني اجتمعت بالشيخ أبي منصور^(٢)
 في مسبند ، فقصصت عليه هذه الرؤيا ؛ فسرَّ بها وقال : ادنُ مني .
 فدنوتُ منه ، فقبل بين عيني وقال : أنت مراد . ودعا بأصحابه وقال :
 اقصص عليهم الرؤيا ، فقصصت عليهم الرؤيا ، فقالوا : يجب عليه الشكر ،
 فقال الشيخ : أنا أفديه ، والشكر عليّ ، وأخرج ذهباً فاشترى به
 خبزاً وتمرّاً ، وفرّق على كل خاتم القرآن رغيفين ورطل تمر ، ومن كان
 يحفظ البعض أعطاه رغيفاً ونصف رطل تمر . قال : وقطعت المضيّ
 إلى القيرواني ، ثم اعتقدت من يومئذٍ اعتقاد أحمد بن حنبل وأصحاب
 الحديث ، وأنا أدین الله تعالى به إلى يوم القيامة .

* * *

(١) هو الامام أحمد بن حنبل

(٢) أي المقرئ الحافظ .

أخبار جماعة من التوابين

٩٢ - [نوبة منازل بن لامق]

أنبأنا الشيخ أبو الحسين أحمد بن حمزة السلمي في جماعة قالوا :
أنا أبو علي الحسن بن أحمد المقرئ الأصبهاني ، أنا أبو نعيم الحافظ ^(١)
قال : ثنا محمد بن حميد ، قال : ثنا عبد الله بن سعيد الرقي ، قال : ثنا
يزيد بن محمد بن سنان عن أبيه عن جدّه قال : حدثني الحسن بن علي
رضي الله عنها ^(٢) قال :

بينما أنا أطوف مع أبي ^(٣) حول البيت في ليلة ظلماء ، وقد رقدت

(١) صاحب « حلية الأولياء » المشهور

(٢) هو الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنها ، الهاشمي القرشي أبو محمد
خامس الخلفاء الراشدين . ولد في المدينة المنورة في السنة الثالثة بعد الهجرة ، وأمه فاطمة
الزهراء رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أكبر أولادها وأولهم .
كان عاقلاً حليماً محباً للخير ، فصيحاً ، من أحسن الناس منطقالاً وبدية ، تنازل عن الخلافة
لمعاوية حقناً للدماء رضي الله عنه ، وسمي ذلك العام عام الجماعة ، وانتقل الى المدينة
حيث أقام بها حتى توفي رضي الله عنه سنة (٥٠ هـ)

(٣) علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

العيون ، وهدأت الأصوات ، إذ سمع أبي هاتفاً يهتف بصوت حزين شجي ، وهو يقول :

يَا مَنْ يُجِيبُ دُعَا الْمُضْطَّرِّ فِي الظُّلْمِ
يَا كَاشِفَ الضَّرِّ وَالْبَلَايِ مَعَ السَّقَمِ^(١)
قَد نَامَ وَفَدَكَ حَوْلَ الْبَيْتِ وَانْتَهَوَا
وَأَنْتَ عَيْنُكَ يَا قَيُّومُ لَمْ تَنَمْ
هَبْ لِي بِجُودِكَ فَضْلَ الْعَفْوِ عَن جُرْمِي^(٢)
يَا مَنْ إِلَيْهِ أُنْشِرَ الْخَلْقُ فِي الْحَرَمِ
إِنْ كَانَ عَفْرَكَ لَا يَدْرِكُهُ^(٣) ذَوْسَرَفُ
فَنِ يَجُودُ عَلَى الْعَاصِينَ بِالْكَرَمِ

قال : فقال أبي : يا بني ! أما تسمع صوت النادب لذنبه المستقيل لربه؟
الحقهُ فلعَلَّ أن تاتيني به . فخرجتُ أَسْعَى حَوْلَ الْبَيْتِ أَطْلِبُهُ ، فلم
أجده حتى انتهيت إلى المقام ، وإذا هو قائم يصلي ، فقلت : أجب ابن
عم رسول الله ﷺ ، فأوجز في صلاته واتبعتني ، فأتيتُ أبي ، فقلتُ :
هذا الرجل يا أبت ! فقال له أبي : ممن الرجل ؟ قال : من العرب .
قال : وما اسمك ؟ قال : منازل بن لاحق . قال : وما شأنك وما

(١) في « ب » والمطبوعه : مع الألم .

(٢) حركت الراء بالضم لضرورة الشعر .

(٣) نسين الكاف هنا لضرورة الشعر .

قصدك؟ قال : وما قصة من أسلمته ذنوبه ^(١) وأوبقته عيوبه ^(٢) فهو مرتطم في بحر الخطايا ^(٣) . فقال له أبي : عليّ ذلك ، فاشرح لي خبرك .

قال : كنت شاباً على اللهو والطرب لا أفيق عنه ، وكان لي والد يعظني كثيراً ويقول : يا بني ! احذر هفوات الشباب وعثراته ، فإن الله سطوات ونقمت ما هي من الظالمين ببيعد . وكان إذا ألح عليّ بالموعظة ألححت عليه بالضرب ، فلما كان يوم من الأيام ألح عليّ بالموعظة ، فأوجعته ضرباً ، فحلف بالله مجتهداً لياتين بيت الله الحرام فيتعلق بأستار الكعبة ويدعو عليّ ، فخرج حتى انتهى إلى البيت ، فتعلق بأستار الكعبة ، وأنشأ يقول :

يا من إليه أتى الحجاجُ قد قطعوا
عرض المهامه ^(٤) من قربٍ ومن بعد ^(٥)
إني أتيتك يا من لا يخيبُ من
يدعوه مبتهلاً بالواحد الصمد

(١) أي خذّ لته .

(٢) أي أهلكنه .

(٣) يقال : ارتطم في الطين : إذا وقع فيه فتخبط ، أي ارتبك . ويقال : وقع في رطمة ، أي : في أمر يتخبط فيه ، وارتطم عليه الأمر : عيبيّ وسدت عليه مذاهبه ، لم يقدر على الخروج منه إلا بمشقة .

(٤) المهامه جمع مهممة ، وهي المفازة البعيدة ، والبلد القفر .

(٥) حركت العين بالضم لضرورة الشعر .

هذا منازل لا يرتدُّ عن عقبي
فخذ بحقي يا رحمان من ولدي
وشل منه بحولٍ منك جانبه^(١)
يا من تقدَّس لم يولد ولم يلد

قال : فوالله ما استتمَّ كلامه حتى نزل بي ما ترى ، ثم كشف عن شقه الأيمن فإذا هو يابس . قال : فأبَت ورجعت ؛ ولم أزل أترّضاه وأخضع له وأسأله العفو عني ، إلى أن أجابني أن يدعولي في المكان الذي دعا عليّ . قال : فحملته على ناقه عشراء^(٢) وخرجت أقفو أثره ، حتى إذا صرنا بوادي الأراك^(٣) طار طائر من شجرة ، فنفرت الناقة ، فرمت به بين أحجار ، فرضخت رأسه^(٤) فمات ، فدفتنه هناك وأقبلت

(١) الدعاء على ولده بشل جانبه لا يجوز ، وقد نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء على أنفسنا وأموالنا وأولادنا ، وذلك فيما رواه مسلم في « صحيحه » ٤ / ٢٣٠٤ كتاب الزهد والرقائق - باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تدعوا على أنفسكم ، ولا تدعوا على أولادكم ، ولا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم » بل على الوالد أن يدعو لولده بالخير والهداية والتوفيق ، وكذلك لنفسه وماله .

(٢) يقال : عَشَّرت الناقة تعشيراً وأعشرت : إذا صارت عُشَّراء ، أي أتى عليها عشرة أشهر من نتاجها .

(٣) وادي الأراك : قرب مكة ، والأراك في الأصل : شجر معروف ، وهو أيضاً شجر مجتمع يستظل به .

(٤) الرضخ : كسر الرأس ، ويستعمل الرضخ في كسر النوى والرأس للحيات وغيرها . والرضخ : الدق والكسر ، ورضخ النوى والحصى والعظم وغيرها من اليايس ، يرضخه رضخاً : كسره .

أيساً ، وأعظم ما بي ما ألقاه من التعيير أني لأعرف إلا بالماخوذ بعقوق والديه . فقال له أي : أبشر فقد أتاك الغوث ، فصلى ركعتين ، ثم أمره فكشف عن شيقه بيده ، ودعا له مرات يرددهن ؛ فعاد صحيحاً كما كان ، وقال له أي : لولا أنه قد كان سبقت إليك من أيك في الدعاء لك بحيث دعا عليك لما دعوت لك . قال الحسن ^(١) : وكان أي يقول لنا : احذروا دعاء الوالدين فإن في دعائها ^(٢) التسماء ^(٣) والانجبار ^(٤) ، والاستئصال والبوار ^(٥) .

٩٤ - [نوبة امرأة من دوزخ الجنرل عن عمل السم]

قرأت على أبي المعالي عبد الله بن عبد الرحمن السلمي ، أخبركم هبة الله بن أحمد بن محمد الأكفاني ، قال : أنبأنا أبو الفتح عبد الجبار بن عبد الله ابن إبراهيم بن برزة ، قال : أنبأنا أبو الحسن علي بن محمد بن عمر الفقيه ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن أبي حاتم ، ^(٦) قال : ثنا الربيع ابن سليمان ^(٧) ثنا عبد الله بن وهب ، ثنا ابن أبي الزناد ^(٨) حدثني هشام

(١) أي الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنها

(٢) أي بالخير .

(٣) أي الزيادة والبركة

(٤) وذلك ببرهما وطاعتها والاحسان إليهما .

(٥) أي الهلاك ، وذلك بمقوقها وإيذاتها وعدم الاحسان إليها .

(٦) صاحب كتاب « الجرح والتعديل » الكبير المشهور .

(٧) صاحب الإمام الشافعي وراوي كنه .

(٨) هو عبد الرحمن بن أبي الزناد (عبد الله بن ذكوان) المدني توفي سنة ١٧٤ هـ

سدوق تغير حفظه لما قدم بغداد وكان فقيهاً .

ابن عروة عن أبيه عن عائشة زوج النبي ﷺ ، أنها قالت :

قدمت امرأة من « دومة الجندل »^(١) تبتغي رسول الله ﷺ بعد موته ، حادثة ذلك ، تسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السحر ولم تعمل به . قالت عائشة لعروة : يا ابن أخي ! فرأيتها تبكي حتى إني لأرحمها ؛ تقول : إني أخاف أن أكون قد هلكت ، كان لي زوج ، فغاب عني ، فدخلت علي عجزوز فشكوت ذلك إليها ، فقالت : إن فعلت ما أمرك به تجعليه يأتيك . فلما أتانا الليل جاءني بكلمين أسودين ، فركبت أحدهما وركبت الآخر ، ولم يكن كشيء حتى وقفنا بـ « بابل »^(٢) . فإذا برجلين معلقين بأرجلها ، فقالا : ما جاء بك ؟ فقلت : أتعلم السحر . فقالا : إنما نحن فتنة ، فلا تكفري وارجعي ، فأبيت وقلت : لا . قالا : فاذهي إلى ذلك التنور فبولي فيه ، فذهبت ففزعت فلم أفعل ، فرجعت إليهما . فقالا : أفعلت ؟ فقلت : نعم ، فقالا : هل رأيت شيئاً ؟ قلت : لم أر شيئاً ، فقالا ، لم تفعلي ! ارجعي إلى بلدك ولا تكفري ، فأبيت ، فقالا : اذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه ، ثم إني ذهبت فاقشعر جلدي وخفت ؛ ثم رجعت إليهما ، فقلت : قد فعلت . فقالا : ما رأيت ؟ فقلت : لم أر شيئاً ، فقالا : كذبت ، لم تفعلي ؛

(١) دومة الجندل : بضم الدال وفتحها ، وقد أنكر ابن دريد الفتح وعله من أطلاط المحدثين . وهي على سبع مراحل من دمشق بينها وبين مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وسميت دومة الجندل لأن حصنها مبني بالجندل ، أي الحجارة .

(٢) بابل : اسم ناحية ، في الكوفة والحلّة في العراق ، ينسب إليها السحر والخمر .

فارجعي إلى بلدك ولا تكفري ، فإنك على رأس أمرك فذهبت فبليت فيه ؛ فرأيت فارساً متقنماً بجديد خرج مني فذهب في السماء وغاب عني حتى ما أراه . وجئتها فقلت : قد فعلت ، فقالا : ما رأيت .؟ قلت : رأيتُ فارساً متقنماً بجديد خرج مني فذهب في السماء حتى ما أراه . فقالا : صدقت ! ذلك إيمانك خرج منك ؛ اذهبي . فقلت للمرأة : والله ما أعلم شيئاً ، وما قالوا لي شيئاً . فتالت : بلى ! لن تريدي شيئاً إلا كان ؛ خذي هذا القمح فابذري . فبذرت ، فقلت : أطلعي ، فاطلعت ، فقلت : الحقني ، فلحقت . ثم قلت : افركي ففركت ، فقلت : ايبسي ، فيبست . ثم قلت : اطحني ، فطحنت . ثم قلت : اخبزي فخبزت . فلما رأيت أني لا أريد شيئاً إلا كان ، سقِط في يدي^(١) وندمت ، والله يا أم المؤمنين ، ما فعلت شيئاً قط ولا أفعله أبداً ، فسالت أصحاب رسول الله ﷺ ، حادثة وفاة رسول الله ﷺ ، وهم متوافرون ، فما دروا ما يقولون لها ، وكلهم هاب وخاف أن يفتيها بما لا يعلمه ؛ إلا أنه قد قال لها ابن عباس ، أو بعض من كان عنده : لو كان أبواك حين أو أحدهما ! قال ابن أبي الزناد^(٢) : وكان هشام^(٣) يقول : لمنهم

(١) سَقِط في يدي بمعنى : ندمت على ما فعلت ، ومنه قوله تعالى في سورة [الأعراف : ١٤٩] عن قوم موسى : (ولما سَقِط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرْحَمْنَا رَبُّنَا وَبَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) . أي ! ولما ندموا على ما فعلوا من عبادة العجل ... الخ . وهذا اعتراف منهم بذنوبهم والتوجه إلى الله عز وجل .

(٢) هو عبد الرحمن بن أبي الزناد (عبد الله ذكوان) المدني

(٣) هو هشام بن عروة بن الزبير .

كانوا أهل ورع وخشية من الله ، وبعدها من التكلف والجرأة على الله
ثم يقول هشام : ولو جاءتنا مثلها لوجدت نو كى أهل حق^(١) وتكلف
بغير علم .

٩٥ - [نوبة شاب عن الله واللعب]

أخبرنا الإمام أبو الحسن البطائحي قال : أنبأنا أبو طالب اليوسفي ،
أنا الحسن بن علي التميمي ، قال : أنبأنا أبو بكر بن مالك ، قال : ثنا
عبد الله بن أحمد ، حدثني هارون بن عبد الله ، ثنا ثابت البناني^(٢) ، قال :
كان صلة بن أشيم^(٣) يخرج إلى الجبان^(٤) فيتعبد فيها . فكان يمر على
شباب يلهون ويلعبون . قال : فيقول لهم : أخبروني عن قوم أرادوا
سفرًا فجازوا^(٥) النهار عن الطريق وناموا الليل ، متى يقطعون سفرهم ؟
قال : فكان كذلك يمر بهم ويعظهم قال : فمر بهم ذات يوم ، فقال لهم
هذه المقالة . فقال شاب منهم : يا قوم ! إنه والله ما يعني بهذا غيرنا ،

(١) النوكى : الحمقى جمع أنوك ، وهو الأحمق . والنواكة : الحماقة ، قال سيبويه :
وقد أجري نوكى مجرى مملكى ، لأنه شيء أصيبوا به في عقولهم .

(٢) هو ثابت بن أسلم البناني أبو محمد المصري ، من تابعي البصرة ، صحب أنس بن
مالك الصحابي رضي الله عنه وغيره من الصحابة توفي رحمه الله سنة (١٢٧ هـ)

(٣) هو أبو الصهباء صلة بن أشيم العدوي التابعي رحمه الله .

(٤) الجبان والجبانة بالتحديد : الصحراء ، وتسمى بها المقابر لأنها تكون في
الصحراء ، تسمية للشئ بوضع .

(٥) في « ب » والمطبوعة : فحادوا ، وهو كذلك في « حلية الأولياء »

وفي « أ » : فجازوا .

نحن بالنهار نلغو وبالليل ننام . ثم اتبع صلة ، فلم يزل يختلف معه إلى الجبان ويتعبد معه حتى مات ، رحمها الله .

٩٦ - [نوبة شاب عن ابيهما في الدنيا]

أبانا الشيخ أبو الفرج^(١) قال : ثنا أبو بكر الصوفي ، قال : أبانا علي بن عبد الله ، قال : أبانا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن باكويه : قال : ثنا إبراهيم بن محمد الفقيه المالكي ، قال : ثنا يوسف بن أحمد الواعظ قال : ثنا العباس بن محمد المطهري ، قال : ثنا الحسن بن أبي مریم العسكري ، حدثني جعفر بن سليمان ، قال :

مررت أنا ومالك بن دينار بالبصرة . فبينما نحن ندور فيها مررنا بقصر يعمر . وإذا شابٌ جالس ما رأيت أحسن وجهاً منه ، وإذا هو يأمر ببناء القصر ، ويقول : افعلوا ، واصنعوا . فقال لي مالك : ما ترى إلى هذا الشاب وإلى حسن وجهه وجرسه على هذا البناء ؟ ما أحوجني إلى أن أسأل ربي أن يخلصه ، فلعله يجعله من شباب الجنة ! يا جعفر ! ادخل بنا إليه . قال جعفر : فدخلنا فسلمنا ، فرد السلام^(٢) ولم يعرف مالكا . فلما عرف فوه إياه قام إليه ، فقال : حاجة ؟ قال : كم نويت أن تنفق على هذا القصر ؟ قال : مائة ألف درهم . قال : ألا تعطيني هذا المال فأضعه في حقه ، وأضمن لك على الله تعالى قصراً خيراً من هذا

(١) ابن الجوزي الحافظ البغدادي الحنبلي رحمه الله .

(٢) في المطبوعة : فردا السلام بالثنائية ، وهو خطأ

القصر ، بولدانه وخدمه ، وقبابه وخيمه من ياقوتة حمراء ، مرصع
 بالجواهر ، ترابه الزعفران ، وملاطه المسك^(١) ؛ أفيح^(٢) من قصرك
 هذا ، لا يخرب ، لا تمسه يدان ولم يبنه بناءً ، قال له الجليل^(٣) : كن !
 فكان ؟ قال : أجلني الليلة وبكر علي غدوة^(٤) . قال جعفر : فبات
 مالك وهو يفكر في الشاب ، فلما كان في وقت السحر دعا وأكثر من
 الدعاء . فلما أصبحنا غدونا ، فإذا بالشاب جالس ، فلما عين مالكا^(٥)
 هش إليه^(٦) ، ثم قال : ما تقول في ما قلت بالأمس ؟ قال : تفعل ؟ قال :
 نعم . فأحضر البدر^(٧) ودعا بدواة وقرطاس ، ثم كتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما ضمن مالك بن دينار لفلان بن فلان :
 إني ضمننت لك على الله قصراً بدل قصرك بصفته كما وصفت والزيادة على
 الله ؛ واشتريت لك بهذا المال قصراً في الجنة أفيح من^(٨) ظل ظليل

(١) أي: وطنينه المسك . والملاط: الطين الذي يجعل بين سافي البناء ويمط به الحائط .
 (٢) أي أوسع . الفَيْح والفَيْح : السعة والانتشار ، والأفيح والفيح : كل
 موضع واسع . يقال : بحر أفيح : بين الفيح واسع ، وفيح أيضاً بالقتديد . وروضة
 فيحاء : واسعة ، ودار فيحاء : واسعة ، والفعل من كل ذلك : فاح فيحاً فيحاً ،
 وقياسه فيح فييح .

(٣) أي الله تعالى .

(٤) في المطبوعة : غداً .

(٥) أي ابن دينار .

(٦) يقال : هشيت بفلان بكسر الشين الأولى ، أهن هشاشة : إذا خفت إليه
 وارتجحت له وفرحت به . وهش الشيء يش : إذا سر به وفرح .

(٧) البدر ، والبدر ، واحدها : بدرة : وهي كئيب فيه ألف أو عشرة آلاف درم

(٨) وعلى هامش الأصل : « أ » نسخة : الظاهر : « في » .

بقرب العزيز الجليل . ثم طوى الكتاب ودفعه إلى الشاب و حملنا المال .
فأ أمسى مالك وقد بقي عنده^(١) مقدار قوت ليلة . فما أتى على الشاب
أربعون ليلة ، حتى صلى مالك ذات يوم الغداة ، فلما انفتل ، فإذا
بالكتاب في المحراب موضوع ، فأخذه مالك فنشره ، فإذا في ظهره
مكتوب بلا مداد :

هذه براءة من الله العزيز الحكيم لمالك بن دينار : إنا وفينا الشاب
القصر الذي ضمنت له وزيادة سبعين ضعفاً . قال : فبقي مالك متعجباً ،
وأخذ الكتاب ، فقمنا فذهبنا إلى منزل الشاب ، فأقبلنا ، فإذا الباب
مسود والبكاء في الدار ، فقلنا : ما فعل الشاب ؟ قالوا : مات بالأمس .
فأحضرنا الغاسل ، فقلنا : أنت غسلته ؟ قال : نعم . قال مالك :
فحدثنا كيف صنعت ؟ قال : قال لي قبل الموت : إذا أنا مت وكفنتني
اجعل هذا الكتاب بين كفني وبدني . فجعلت الكتاب بين كفنه وبدنه ،
ودفنته معه ، فأخرج مالك الكتاب ، فقال الغاسل : هذا الكتاب بعينه
والذي قبضه ، لقد جعلته بين كفنه وبدنه بيدي . قال : فكثرت البكاء ،
فقام شاب ، فقال : يا مالك ! خذ مني مائتي ألف درهم واضمن لي مثل
هذا ، قال : هيات ! كان ما كان ، وفات ما فات ، والله يحكم ما يريد !
فكلما ذكر مالك الشاب بكى ودعا له .

(١) في المطبوعة : عليه .

٩٧- [نوبة جندي صاحب قصر من الغناء والملاهي]

قال ابن باكوية : حدثنا عبد الواحد بن بكر ، ثنا محمد بن داود الدينوري قال : سمعت أبا إسحاق الهروي يقول :

كنت مع ابن الخيوطي بالبصرة ، فأخذ بيدي ، وقال : قم حتى نخرج إلى « الأبله »^(١) . فلما قربنا إلى « الأبله » ، ونحن نمشي على شاطئ « الأبله » في الليل والقمر طالع ، مررنا بقصر جندي فيه جارية تضرب بالعود ؛ وفي جانب القصر في ظل القمر فقير بخرقتين . فسمع الفقير الجارية وهي تقول :

كلُّ يومٍ تتلونُ غيرُ هذا بِكَ أَجَلُ

فصاح الفقير وقال : أعيديه ! فهذا حالي مع الله تعالى . قال : فنظر صاحب الجارية إلى الفقير ، فقال لها : اتركي العود وأقبلي عليه فإنه صوفي . فأخذت تقول ، والفقير يقول : هذا حالي مع الله ؛ والجارية تردد ، إلى أن صاح الفقير صيحة وخر مغشياً عليه ، فحرقناه ، فإذا هو ميت . فلما سمع صاحب القصر بموته نزل فأدخله إلى القصر ، واغتمنا وقلنا: هذا يكفنه من غير وجهه ، فصعد الجندي وكسر كل ما كان بين يديه ، فقلنا : ما بعد هذا إلا خير ، ومضينا إلى « الأبله »

(١) مدينة إلى جنب البصرة ، على شاطئ دجلة في زاوية الخليج الذي يدخل منه إلى البصرة ، وهي أقدم من البصرة ، لأن البصرة مصرت في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكانت « الأبله » حينئذ مدينة .

فبتنا وأعلمنا الناس . فلما أصبحنا رجعنا إلى القصر ، وإذا الناس مقبلون من كل وجه إلى الجنازة كأنما نودي في « البصرة » ، حتى خرج القضاة والعدول وغيرهم . وإذا الجندي يمشي خلف الجنازة حافياً حاسراً حتى دفن ، فلما هم الناس بالانصراف قال الجندي للقاضي والشهود : اشهدوا أن كل جارية لي حرة لوجه الله تعالى ، وكل ضياعي وعقاري حبيس في سبيل الله ، ولي في صندوق أربعة آلاف دينار ، وهي في سبيل الله . ثم نزع الثوب الذي كان عليه فرمى به وبقي في سراويله . فقال القاضي : عندي مئزران من وجههما ، تقبلهما ؟ فقال : شأنك ، فاخذها فاتزر بواحد ، واتشح بالآخر ، وهام على وجهه . فكان بكاء الناس عليه أكثر منه على الميت

٩٨ - [نوبة رجل من أعوان السلطان عن الفواعس]

وحكي عن مالك بن دينار ، قال : كان لي جار يتعاطى الفواحش ، فأتى إلي الجيران يشكون منه . فاحضرناه وقلنا له : إن الجيران يشكونك ، فسبيلك أن تخرج من المحلة . فقال : أنا في منزلي ، لا أخرج . قلنا : تبيع دارك ! قال : لا أبيع ملكي . قلنا : نشكوك إلى السلطان . قال : أنا من أعوانه . قلنا : ندعو الله عليك . قال : الله أرحم بي منكم . قال : فلما أمسينا قتُ وصليتُ ودعوتُ عليه ، فهتف بي هاتف : لا تدعُ عليه فإنه من أولياء الله تعالى ، فجئتُ إلى باب داره ودققتُ

الباب ، فخرج ، فظن أني جئت لأخرجه من المحلة ، فتكلم كالمعتد ، فقلت : ما جئت لهذا ، ولكن رأيت كذا وكذا ، فوقع عليه البكاء ، وقال : إني تبت بعد ما كان هذا ، ثم خرج من البلد فلم أره بعد ذلك .
 واتفق أني خرجت إلى الحج ، فرأيت في المسجد الحرام حلقة فتقدمت إليهم ، فرأيته مطروحاً عليلاً ، فلم أثبت أن قالوا مات الشاب رحمه الله .

٩٩- [نوبة فتى من الزردبان عن الثالث والنخث]

أخبرنا أبو طالب المبارك بن علي الصيرفي ، أنا أبو غالب شجاع ابن فارس الذهلي ، أنا أبو بكر الخياط ، قال : أنا أحمد بن محمد بن دوست ، قال : أنبأنا الحسين بن صفوان ، قال : أنبأنا أحمد بن محمد ، قال : أنبأنا أبو بكر بن أبي الدنيا قال : وحدثت عن محمد بن الحسين عن يحيى بن راشد ، ثنا رجاء بن ميسور الجاشعي ، قال :

كنا في مجلس صالح المري^(١) وهو يتكلم . فقال لفتى بين يديه اقرأ يا فتى ! فقرأ الفتى : ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ^(٢) إِذِ الْقُلُوبُ

(١) هو صالح بن بشر بن وادع أبو بشر البصري القاضي المعروف بالمري ، من عباد أهل البصرة وقرائهم وزهادهم ، غلب عليه الخير والصلاح حتى غفل عن الإلتفات في الحفظ ، روى عن الحسن البصري وابن سيرين وقتادة وغيرهم . مات رحمه الله سنة (٥١٧٢) .

(٢) في المطبوعة : الأزفة ، بهزة مفتوحة من غير مد ، وهو خطأ

لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴿
 [المؤمن : ١٨] . فقطع صالح عليه القراءة وقال : كيف يكون لظالم
 حميم أو شفيع ، والمطالب له رب العالمين ؟ إنك والله لو رأيت الظالمين
 وأهل المعاصي يساقون في السلاسل والأنكال إلى الجحيم ، حفاة عراة ،
 مسودة وجوههم ، مزرقة عيونهم ، ذائبة أجسادهم ، ينادون : يا ويلنا
 يا ثبورنا ! ماذا نزل بنا ؟ ماذا حل بنا ؟ أين يذهب بنا ؟ ماذا يراد منا ؟
 والملائكة تسوقهم بمقامع النيران ، فمرة يجرون على وجوههم ويسحبون
 عليها منكبين ، ومرة يقادون إليها مقرنين ^(١) ، من بين باك دماً بعد
 انقطاع الدموع ، ومن بين صارخ طائر القلب مبهوت ^(٢) - إنك والله
 لو رأيتهم على ذلك لرأيت منظرأ لا يقوم له بصرك ، ولا يثبت له قلبك ،
 ولا تستقر لفظاعة هوله على قرار قدمك ! ثم نحب ^(٣) وصاح : يا سوء
 منظره ! يا سوء منقلباه ! وبكى ، وبكى الناس . فقام فتى من
 الأزديكان ، به تأنيث ، فقال : أكل هذا في القيامة يا أبا بشر ؟ قال :
 نعم والله يا ابن أخي ، وما هو أكثر ! لقد بلغني أنهم يصرخون
 في النار حتى تنقطع أصواتهم ، فما يبقى منهم إلا كهيمته الأنين من
 المدنف ^(٤) . فصاح الفتى : إنا لله ! واغفلتاه عن نفسي أيام الحياة ، وأسفا

(١) أي أن أيديهم وأرجلهم قرنت على رقابهم .

(٢) أي متحير .

(٣) أي رفع صوته بالبكاء .

(٤) المدنف والمدنف : الذي براه المرض حتى أشرف على الموت .

على تفريطي في طاعتك يا سيدها ، وأسفا على تضييعي عمري في دار الدنيا ! ثم بكى ، واستقبل القبلة ، فقال : اللهم ! إني استقبلك في يومي هذا بتوبة لا يخالطها رياء لغيرك ؛ اللهم ! فاقبلني على ما كان في ، واعف عما تقدم من فعلي ، وأقلني عثرتي ، وارحمني ومن حضرتي ، وتفضل علينا بجودك وكرمك ؛ يا أرحم الراحمين ! لك ألقيت معاهد الآثام من عنقي ، وإليك أنبت بجميع جوارحي صادقا لذلك قلبي ، فالويل لي إن لم تقبلني ! ثم غلب فسقط مغشيا عليه ، فحمل من بين القوم صريعا ، فمكث صالح وإخوته يعودونه أياما ، ثم مات - والحمد لله - فحضره خلق كثير يبكون عليه ويدعون له ، فكان صالح كثيرا ما يذكره في مجلسه فيقول : بأبي " قتيل القرآن ، وبأبي قتيل المواظ والأحزان ! قال : فرآه رجل في منامه ، قال : ما صنعت ؟ قال : عمّنتي بركة مجلس صالح فدخلت في سعة رحمة الله التي وسعت كل شيء .

١٠٠ - [نوبة امرأة وهي تطرف مول الكعبة]

أخبرنا محمد بن عبد الباقي ، قال : أنبأنا علي بن محمد الخطيب الأنباري ، قال : أنبأنا أبو الحسين بن بشران ، قال : أنبأنا الحسين بن صفوان ، قال : أنبأنا ابن أبي الدنيا ، ثنا سعيد بن سليمان الواسطي ، عن محمد بن يزيد بن خنيس قال : قال وهيب بن الورد " (٢) :

(١) في المطبوعة : وبأبي .

(٢) هو وهيب بن الورد بن أبي الورد الخزومي أبو أمية ، من العباد الحكماء من أهل مكة ، ووفاته بها ، كان من أقران إبراهيم بن آدم ، له أخبار وكلمات مأثورة ، وكان اسمه عبد الوهاب ، قصفر فقبل : وهيب ، توفي رحمه الله سنة (١٠٥٣) .

بينما امرأة في الطواف ذات يوم وهي تقول : يارب ! ذهبت اللذات ، وبقيت التبعات ؛ يارب ! سبحانك ، وعزتك إنك أرحم الراحمين ؛ يارب ! ما لك عقوبة إلا النار ؛ فقالت صاحبة لها كانت معها : أختي ! دخلت بيت ربك اليوم ؟ فقالت : والله ما أرى هاتين القدمين أهلاً للطواف حول بيت ربي ، فكيف أراها أهلاً أطأ بها بيت ربي وقد علمت حيث مشتا وأين مشتا ؟

١٠١ - [نوبة رجل عما جنت براه]

أخبرنا أبو الفضل مسعود بن عبيد الله بن النادر ، قال : أنا أبو سعد أحمد بن محمد البغدادي ، قال : أنبأنا أبو العباس أحمد بن محمد الظهراني وعبد الوهاب بن مندة قالا : أنبأنا أبو محمد الحسن بن محمد ابن يوه^(١) قال : أنبأنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عمر البناني^(٢) ، قال : أنبأنا عبد الله بن محمد قال : كتب إلي أبو عبد الله الباهلي : قال : أنبأنا عبد الله بن محمد عن إبراهيم بن الحارث ، قال :

كان رجل كثير البكاء ؛ فقليل له في ذلك ، فقال : أبكاني تذكري ما جنيت على نفسي حين لم أستحي ممن شاهدني وهو يملك عقوبيتي ، فأخبرني إلى يوم العقوبة الدائمة وأجلني إلى يوم الحسرة الباقية ؛ والله لو خيرت : أيما أحب إليك ، تحاسب ثم يؤمر بك إلى الجنة ، أو يقال لك : كن تراباً ؟ - لا اخترت أن أكون تراباً .

(١) في نسخة : الحسن بن محمد من يوه .

(٢) في المطبوعة وفي « أ » نسخة : اللباني .

١٠٢ - [نوبة ملهي أهل المدينة عن الله على بر والدته]

ومن « الملتقط » : قال صالح بن عمر : وحدثني أبي ، قال : كان بالمدينة امرأة متعبدة ولها ولد يلهو ، وهو ملهي أهل المدينة . وكانت تعيظه وتقول : يا بني ! اذكر مصارع الغافلين قبلك ، وعواقب البطالين قبلك ، اذكر نزول الموت . فيقول إذا ألحت عليه :

كُفِّي عن التَّعْذَالِ واللَّوْمِ واستيقظي من سِنَةِ النَّوْمِ
إِنِّي وَإِنْ تَابَعْتُ فِي لَذَّتِي قلبي وعاصيتك في لومي
أَرْجُو مِنْ أَفْضَالِهِ تَوْبَةً تنقل من قومٍ إلى قومٍ

فلم يزل كذلك حتى قدم أبو عامر البناي واعظ أهل الحجاز ، ووافق قدومه رمضان ، فسأله إخوانه أن يجلس لهم في مسجد رسول الله ﷺ . فاجابهم ، وجلس ليلة الجمعة بعد انقضاء التراويح ، واجتمع الناس ، وجاء الفتى فجلس مع القوم ، فلم يزل أبو عامر يعظ وينذر ويبشر ، إلى أن ماتت القلوب فرقا ، واشتاقت النفوس إلى الجنة ، ف وقعت الموعدة في قلب الغلام فتغير لونه . ثم نهض إلى أمه ، فبكى عندها طويلاً ، ثم قال :

زَمَمْتُ^(١) لِلتَّوْبَةِ أَجَالِي وَرُحْتُ قَدْ طَاوَعْتُ عَذَابِي^(٢)
وَأَبْتُ وَالتَّوْبَةُ قَدْ فَتَحَتْ مِنْ كُلِّ عَضْوِي أَقْفَالِي

(١) أي شددت .

(٢) وفي نسخة : زمت للتوبة أذيتي فرحت قد طاوعت عذابي

لَا حَدَّ الْحَادِي بَقَلِّي إِلَى طَاعَةِ رَبِّي فَكَّ أَغْلَالِي
أَجَبْتُهُ لَبَّيْكَ مِنْ مَوْظٍ نَبَّهَ بِالتَّذْكَارِ أَغْفَالِي
يَا أُمَّ هَلْ يَقْبَلُنِي سَيْدِي عَلَى الَّذِي قَدْ كَانَ مِنْ حَالِي ؟
وَأَسْوَأُ تَأْ إِنْ رَدَّنِي خَائِبًا رَبِّي وَلَمْ يَرْضَ بِإِقْبَالِي !

ثم شمر في العبادة وجدًا ، وكان لا يفطر إلا بعد التراويح ، ولا
ينام إلا بعد طلوع الشمس . فقربت إليه أمه ليلة إفطاره ، فامتنع
وقال : أجد ألم الحمى ، فأظن أن الأجل قد أزف ^(١) . ثم فرغ إلى
محرابه ولسانه لا يفتر من الذِّكْر . فبقي أربعة أيام على تلك الحال .
ثم استقبل القبلة يوماً ، وقال : إلهي عصيتك قوياً ، وأطعتك ضعيفاً ،
وأسخطتكَ جلدًا ^(٢) وخدمتك نحيفاً ، فليت شعري هل قبلتني ؟ ثم
سقط مغشياً عليه ، فانشج وجهه ، فقامت إليه أمه ، فقالت : يا ثمرة
فؤادي ، وقرّة عيني ! ردّ جوابي . فأفاق فقال : يا أمّاه ! هذا اليوم
الذي كنت تحذريني ، وهذا الوقت الذي كنت تخوفيني ؛ فيا أسفي على
الأيام الخوالي ! يا أمّاه ! إني خائف على نفسي أن يطول في النار حبسي ؛
بالله عليك يا أمّاه ، قومي فضعي رجلك على خدي حتى أذوق طعم
الذل لعله يرحمني ، ففعلت وهو يقول : هذا جزاء من أساء ، ثم
مات رحمه الله .

(١) أي : قد دنا .

(٢) أي : قوياً .

قالت أمّه : فرأيتُهُ في المنام ليلة الجمعة وكانه القمر ، فقلت :
يا ولدي ! ما فعل الله بك؟ فقال : خيراً ، رفع درجتي . قلت : فما كنت
تقول قبل موتك ؟ قال : هتف بي هاتف : أجب الرحمن ! فاجبت
قلت : فما فعل أبو عامر ^(١) ؟ فقال : هيات ! أين نحن من أبي عامر ؟
حَلَّ أبو عامرٍ في قُبَّةٍ وَطَّدَهَا ^(٢) ذُو العرش للناس
بين جَوَار كالدُّمى خُرْد ^(٣) يَسْقِيْنَهُ بالكاس والطَّاس
يقلن بالترخيم ^(٤) خذها فقد هُنَيْتَهَا يا واعظَ النَّاسِ

١٠٣ - [توبة ربنار العباد عن المعاصي على بر والدته]

وروي أن رجلاً كان يُعرف بـ «دينار العيسار» ، كانت له والدة
تعظه ولا يتعظ ، فمرّ في بعض الأيام بمقبرة كثيرة العظام ، فأخذ منها
عظماً نخرأ فانفتت في يده ، ففكّر في نفسه ، وقال لنفسه : ويحك !
كأني بك غداً قد صار عظمك هكذا رُفَاتاً والجسم تراباً ، وأنا اليوم
أقدم على المعاصي ، فندم وعزم على التوبة ، ورفع رأسه إلى السماء وقال :
إلهي ! إليك ألقيتُ مقاليد أمري ، فأقبلني وارحمي . ثم مضى نحو أمه

(١) هو أبو عامر البُناني واعظ أهل الحجاز .

(٢) أي تَبَّيْتَهَا . يقال : وطد الشيء بطده ووطداً ووطدة فهو وطيد وموطود .
أقْبنته وثقله ، كوطده فتوَّطد .

(٣) الخرد : الأبرار التي لم تمس ، أو الحفرات الطويلات السكوت الحافضات
الصوت المستترات .

(٤) باللين والمطف والمجبة وسهولة المنطق

متغير اللون ، منكسر القلب ، فقال . يا أماه ! ما يصنع بالعبد الآبق إذا أخذه سيده ؟ فقالت : يَحْشَن ملبسه ومطعمه ويغسل يده وقدمه . فقال : أريد جبّة من صوف وأقراصاً من شعر ، وتفعلين بي كما يفعل بالآبق ، لعلّ مولاي يرى ذليّ فيرحمني . ففعلت ما طلب . فكان إذا جنّه الليل أخذ في البكاء والعيول ، ويقول لنفسه : ويحك يا دينار ! ألك قوّة على النار ؟ كيف تعرّضت لغضب الجبار ؟^(١) وكذلك إلى الصباح ، فقالت له أمّه في بعض الليالي : ارفق بنفسك ، فقال : دعيني أتعب قليلاً لعلّي أستريح طويلاً ؛ يا أمي ! إن لي موقفاً طويلاً بين يدي ربّ جليل ، ولا أدري أيُّ أمر بي إلى الظلّ الظليل ، أو إلى شرّ مقيل ؛ إنني أخاف عناءً لا راحة بعده ، وتويخاً لا عفو معه ، قالت : فاسترح قليلاً ، فقال : الراحة أطلب ؟ أتضمنين لي الخلاص ؟ قالت : فمن يضمنه لي ؟ قال : فدعيني وما أنا عليه ؛ كأنك يا أماه غدأ بالخلائق يساقون إلى الجنّة وأنا أساق إلى النار ! فمرت به في بعض الليالي في قراءته ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر : ٩٢ ، ٩٣] . ففكر فيها ، وبكى وجعل يضطرب كالحيّة حتى خر مغشياً عليه ، فجاءت أمه إليه ونادته ، فلم يجبها ، فقالت : قرّة عيني ! أين الملتقى ؟ فقال بصوت ضعيف : إن لم تجديني في عرصة القيامة فاسألي مالكا^(٢) عني . ثم شهق شهقة مات فيها . فجهزته

(١) في نسخة : فعصيت الجبار .

(٢) يريد مالكا خازن النار .

وغسلته ، وخرجت تنادي : أيها الناس ! هلموا إلى الصلاة على قتيل
النار ! فجاء الناس ؛ فلم يرَ أكثرُ جمعاً ولا أغزر دمعاً من
ذلك اليوم .

١٠٤ - [نوبة رجل عن حب مفضية شغلته عن الله]

وقال علي بن الحسين : كان لنا جار من المتعبدين قد برز في الاجتهاد ،
فصلى حتى تورمت قدماه وبكى حتى مرضت عيناه ، فاجتمع إليه أهله
وجيرانه فسألوه أن يتزوج ، فاشترى جارية وكانت تغني وهو لا يعلم ،
فبينما هو ذات يوم في محرابه يصلي ، رفعت الجارية صوتها بالغناء ، فطار
لبه ، فرام ^(١) ما كان عليه من العبادة فلم يطق ، فأقبلت الجارية عليه ،
فقالت : يا مولاي ! لقد أبليت شبابك ورفضت لذات الدنيا أيام
حياتك ؛ فلو تمتعت بي ! فمال إلى قولها واشتغل باللذات عما كان فيه
من التعبّد . فبلغ ذلك أخاه له كان يوافق على العبادة ؛ فكتب إليه :
بسم الله الرحمن الرحيم ، من الناصح الشفيق ، والطبيب الرفيق ، إلى
من سلب حلاوة الذكر ، والتلذذ بالقرآن ، والخشوع والأحزان ؛
بلغني أنك اشتريت جاريةً بيعت بها من الآخرة حظك ؛ فان كنت
بعث الجزيل بالقليل والقرآن بالقيان ، فإني محذرك هادم اللذات ومنغص
الشهوات وموتم الأولاد ؛ فكانه قد جاء على غرة فابكم منك اللسان ،
وهدم منك الأركان ، وقرب منك الأكفان ، واحتوشك الأهل

(١) أي قصد .

والجيران ؛ وأحذرك من الصيحة إذا جئت^(١) الأمم لهول ملك
جبار ؛ فاحذر يا أخي ما يحلّ بك من ملك غضبان . ثم طوى
الكتاب وأنفذه إليه . فوافاه الكتاب وهو في مجلس سروره ، فنصّ
بريقه وأذهله ذلك ، فنهض مبادراً من مجلس سروره وكسر انيته
وهجر جاريته ، وآلى أن لا يطعم الطعام ولا يتوسّد المنام .

قال الذي وعظه : فلما مات رأيتُهُ في المنام بعد ثلاث ، فقلت :
ما فعل الله بك ؟ قال : قدمنا على ربّ كريم أباحنا الجنة . وقال :

اللهُ عوضني ذُو العرش جارية
حوراء تسقيني^(٢) طوراً وتهنيني

تقول لي اشرب بما قد كنت تأملني
وقرّ عيناً مع الولدان والعين
يامن تحلّى عن الدنيا وأزعجه
عن الخطايا وعيد في الطّواسين^(٣)

(١) جئنا كدما ورمى بجنواً وجئنا بضم الجيم فيما : جلس على ركبته ، أو قام
على أطراف أصابعه .

(٢) حركت الياء بالفتح لغيرورة الشعر .

(٣) أي في سور القرآن التي فيها طمس ، وطسم ، كسورة (الشعراء) (والنحل)
(والنصر) .

١٠٥ - [نوبة شاب وامرأة على يد سري السقطي]

وعن سري السقطي^(١) ، قال : كنت يوماً أتكلم بجامع المدينة ، فوقف عليّ شابٌ ، حسن الشباب ، فاخر الثياب ، ومعه أصحابه ، فسمعتني أقول في وعظي : عجباً لضعيف يعصي قوياً ! فتغير لونه وانصرف . فلما كان من الغد جلستُ في مجلسي ، وإذا بالفتى قد أقبل ، فسلم ، وصلى ركعتين ، وقال : يا سري ! سمعتك بالأمس تقول : عجباً لضعيف يعصي قوياً ! فما معناه ؟ فقلتُ : لا أقوى من الله ، ولا أضعف من العبد وهو يعصيه ، فنهض ، فخرج ؛ ثم أقبل من الغد وعليه ثوبان أبيضان ، وليس معه أحد ، فقال : يا سري ! كيف الطريق إلى الله ؟ فقلتُ : إن أردت العبادَةَ فعليك بصيام النهار وقيام الليل ؛ وإن أردت الله فاترك كلَّ شيء سواه تصل إليه ، وليس إلا المساجد^(٢) والخراب والمقابر ، فقام وهو يقول : والله لاسلكتُ إلا أصعب الطرق ، وولى خارجاً . فلما كان بعد أيام أقبل إليّ غلمان كثير ، فقالوا : ما فعل أحمد بن يزيد الكاتب ؟ فقلتُ : لا أعرفه ؛ إلا أن رجلاً جاءني ، من صفته كذا وكذا ، فجرى لي معه كذا وكذا ، ولا أعلم حاله ، فقالوا : نقسم عليك بالله متى عرفت حاله فعرّفنا ، ودلّوني على داره . فبقيت

(١) هو سري بن المفلس السقطي أبو الحسن ، بغدادي المولد والوفاة ، وهو أول من تكلم في بغداد بلسان أحوال الصوفية ، وكان إمام البغداديين وشيخهم في وقته ، وهو خال الجنيد وأستاذه ، صاحب معروف الكرخي ، توفي رحمه الله سنة (٥٢٥٣) من كلامه : من عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز .
(٢) وعلى هامش « أ » الظاهر : وأنس بالمساجد .

سنة لا أعرف له خبراً ، فبينما أنا ذات ليلة بعد عشاء الآخرة جالسا في بيتي ، إذا بطارق يطرق الباب ، فأذنت له بالدخول ، فإذا بالفتى عليه قطعة من كساء في وسطه ، وأخرى على عاتقه ، ومعه زنبيل فيه نوى . فقبل بين عيني ، وقال لي : يا سري ! أعتقك الله من النار كما أعتقتني من رق الدنيا . فأومات إلى صاحبي أن امض إلى أهله فأخبرهم . فمضى وإذا بزوجه قد جاءت معها ولده وغلما نه . فدخلت وألقت ولده في حجره وعليه حليّ وحلل ، وقالت له : يا سيدي ! أرملتني وأنت حيّ ، وأيتمت ولدك وأنت حيّ . قال سري : فنظر إليّ وقال : يا سري ! ما هذا وفاء ، ثم أقبل عليها ، فقال : والله إنك لثمرة فؤادي وحبيبة قلبي ، وإن هذا ولدي لأعزّ الخلق عليّ ، غير أن هذا سري أخبرني أن من أراد الله قطع كل ما سواه . ثم نزع ما على الصبي ، فقال : ضعي هذا في الأكباد الجائعة والأجساد العارية ، وخرق قطعة من كسائه فلف فيها الصبي ^(١) . فقالت المرأة : لا أرى ولدي في هذه الحال ! وانتزعته منه ؛ فحين رآها قد اشتغلت به ، نهض وقال : ضيعة عليّ ليلتي ، بيني وبينكم الله ، وولىّ خارجاً ، وضجت الدار بالبكاء ؛ فقالت : إن عدت سمعت له خبراً فأعلمني ، فقلت : نعم . فلما كان بعد أيام أتت عجوز ، فقالت : يا سري ! بالشونيزية ^(٢) غلام يسألك الحضور ،

(١) هذا من الغلو في الزهد ، وهو مخالف لهدى رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم في معاملة أهل وولده ، ومعاملة أولاد بناته .

(٢) الشونيزية : مقبرة ببغداد بالجانب الغربي ، دفن فيها جماعة كثيرة من الصالحين وهناك خانقاه للصوفية .

فمضيت فإذا به مطروح في تربة ، تحت رأسه لبينة . فسلمت عليه ،
 ففتح عينيه وقال : يا سري أترى تغفر تلك الجنايات ؟ فقلت : نعم .
 قال : يُغفر لثلي ؟ قلت : نعم . قال : أنا غريق ! قلت : هو منجي
 الغرقى . فقال : عليّ مظالم ، فقلت : في الخبر أنه يوتى بالتائب
 يوم القيامة ، معه خصومه ، فيقال لهم : خلوا عنه فإن الله تعالى
 يعوضكم ، فقال : يا سري ! معي دراهم من لقط النوى ، إذا أنا مت
 فاشتر لي ما أحتاج إليه وكفني ، ولا تعلم أهلي لئلا يغيروا كفني
 بحرام . قال سري : فجلست عنده قليلاً ، ففتح عينيه ، فقال :
 ﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾ [الصفات : ٦١] ثم مات .
 فأخذت الدراهم ، وجئت فاشترت ما يحتاج إليه ، وسرت نحوه ؛
 فإذا الناس يهرعون ، فقلت : ما الخبر ؟ فقيل : مات ولي من أولياء الله
 نريد أن نصلي عليه . فجيئت فغسلته ودفناه . فلما كان بعد مدة نفذ
 أهله يستعلمون خبره ، فأخبرتهم بموته ، فأقبلت امرأته باكية فأخبرتها
 بحاله ، فسألتنني أن أريها قبره . فقلت : أخاف أن تغيروا أكفانه ،
 قالت : لا والله ! فأريتها القبر ، فبكت ، وأمرت بإحضار شاهدين ،
 فأحضرتها ، وأعتقت جواربها وأوقفت عقارها وتصدقت بمالها ،
 ولزمت قبره حتى ماتت .

١٠٦ - [نوبة امرأة بارعة الجمال أرادت ان تغتن الربيع بن فيثم]

أبانا محمد بن عبد الباقي قال : أبانا جعفر بن أحمد قال : أنا أحمد

ابن عليّ ، قال : أنا محمد بن عبد الله الدقاق قال : أنا الحسين بن صفوان ،
قال : أنا عبد الله بن محمد ، حدثني الحسين بن عبد الرحمن ، قال :
أنا أبو القاسم محرز الجلاب قال : حدثني سعدان ، قال :

أمر قوم امرأة ذات جمال بارع أن تتعرض للربيع بن خيثم^(١)
لعلها تفتنه ، وجعلوا لها ، إن فعلت ذلك ، ألف درهم ، فلبست أحسن
ما قدرت عليه من الثياب ، وتطيبت بأطيب ما قدرت عليه ، ثم
تعرضت له حين خرج من مسجده . فنظر إليها ، فراعه أمرها .
فأقبت عليه وهي سافرة ، فقال لها الربيع : كيف بك لو قد نزلت الحمى
بجسمك . فغيرت ما أرى من لونك و بهجتك ؟ أم كيف بك لو قد نزل
بك ملك الموت فقطع منك حبل الوتين^(٢) ؟ أم كيف بك لو سألك
منكر ونكير ؟ فصرخت صرخة فسقطت مغشياً عليها ، فوالله لقد
أفاقت ، وبلغت من عبادة ربها ما أنها كانت يوم ماتت كأنها جذع
محترق^(٣)

-
- (١) كذا في «أ» و«ب» والمطبوعة : الربيع بن خيثم ، بالخاء المعجمة المفتوحة
والياء الساكنة والهاء المفتوحة ، وهو كذلك في «الخلاصة» . وفي «تقريب التهذيب»
و«تهذيب التهذيب» للحافظ ابن حجر : «خَيْثِم» بضم الخاء المعجمة وفتح التاء
وسكون الياء . وهو الربيع بن خيثم بن عائد بن عبد الله بن موهب بن منقذ الثوري أبو يزيد
الكوفي ، من أصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، ومن أشدّهم ورعاً : ثقة عابد
مخضرم ، توفي رحمه الله سنة (٥٦١) وقيل : (٥٦٣)
(٢) الوتين : عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه ، جمعه وتن ، وأوتنة . ووقته
كوعده : أصاب وتينه .
(٣) كتب هنا في الأصل « ب » : آخر الجزء الخامس من أصل المؤلف .

حدثنا الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي^(١) أنا الحافظ أبو الفضل ابن ناصر ، أنا أبو طالب اليوسفي ، أنا أبو إسحاق البرمكي ، أنا أبو عبد الله بن بطة^(٢) قال: حدثني أبو بكر الآجري^(٣) قال: سمعت ابن أبي الطيب يقول : حدثنا جعفر الصائغ ، قال :

كان في جيران أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رجل ممن يمارس المعاصي والقاذورات ، فجاء يوماً إلى مجلس أحمد يسلم عليه ، فكان أحمد لم يردّ عليه ردّاً تاماً وانقبض منه . فقال له : يا أبا عبد الله ! لم تنقبض مني ؟ فإنني قد انتقلت عما كنت تعهدني برؤيا رأيتها . قال : وأي شيء رأيت ؟ قال : رأيت النبي ﷺ في النوم كأنه على علو من الأرض وناس كثير أسفل جلوس . قال : فيقوم رجل رجل منهم إليه ، فيقول: ادع لي ! فيدعوه له ، حتى لم يبق من القوم غيري . قال: فأردت

(١) ابن الجوزي الحنبلي البغدادي .

(٢) هو عبید الله بن محمد بن محمد بن حمدان أبو عبد الله العكبري المعروف بابن بطة (٣٠٤ - ٣٨٧ هـ) عالم بالحديث ، فقيه من كبار الحنابلة ، من أهل عكبرا مولداً ووفاة ، رحل الى مكة والثغور والبصرة وغيرها في طلب الحديث ثم ثم بيته أربعين سنة ، فصنف كتبه ، وهي تزيد على مئة كتاب ، منها « الابانة في أصول الديانة » « والسنن » و « التفرد والعزلة » وغيرها ، وهناك ابن بطة بضم الباء غير هذا .

(٣) هو محمد بن الحسين بن عبد الله أبو بكر الآجري ، فقيه شافعي محدث ، نسبة إلى « آجر » من قرى بغداد ولد فيها وحدث ببغداد ثم انتقل إلى مكة فتسكك وتوفي فيها ، له تصانيف كثيرة ، منها « أخبار عمر بن عبد العزيز » و « أخلاق حملة القرآن » و « أخلاق العلماء » و « الشريعة » وغيرها ، توفي رحمه الله سنة (٣٦٠ هـ)

ان أقوم فاستحييت من قبيح ما كنت عليه . قال لي : يا فلان ! لم لا تقوم إليّ فتسألني أَدْعُو لك ؟ قال : قلت : يا رسول الله ! يقطعني الحياء لقبيح ما أنا عليه ، فقال : إن كان يقطعك الحياء فقم فسألني أَدْعُو لك ، فإنك لا تسبّ أحداً من أصحابي . قال : فقامت فدعا لي فانتبهت وقد بغض الله إليّ ما كنت عليه . قال : فقال لنا أبو عبد الله : يا جعفر ! يا فلان ! حدّثوا بهذا واحفظوه فإنه ينفع .

١٠٨ - [نوبة أبي عمر بن علوان عن نظره الى امرأة]^(١)

أبانا الإمام العلامة أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي^(٢) أخبر عبد الرحمن بن محمد^(٣) القزاز ، أنا أحمد بن عليّ بن ثابت قال : حدثني محمد بن الحسن الساحلي^(٤) ، أنا عمّار بن عبد الله الصوفي قال : سمعت محمد ابن حمّاد الرحي يقول : سمعت أبا عمرو بن علوان يقول :

خرجت يوماً في حاجة فرأيت جنازة فتبعتها لأصلي عليها . ووقفت في جملة الناس حتّى تدفن . فوقعت عيني على امرأة مسفرة ،

(١) في المطبوعة : عمر بن علوان ، وهو خطأ .

(٢) هو زيد بن الحسن بن زيد بن سعيد الحميري من ذري رعين أبو اليمن تاج الدين الكندي (٥٢٠ - ٨٦١٣) أديب من الكتاب الشعراء العلماء ، ولد ونشأ ببغداد ، وسكن دمشق وقصده الناس يقرؤون طلبه وهو شيخ المؤرخ سبط ابن الجوزي ، توفي رحمه الله في دمشق ، له تصانيف كثيرة .

(٣) في نسخة : عبد الرحمن بن نصر .

(٤) في نسخة : المناحلي .

من غير تعمد ، فلمحت بالنظر^(١) واسترجعت واستغفرت الله تعالى وعدت إلى منزلي . فقالت لي عجوز : يا سيدي ! مالي أرى وجهك أسود ؟ فأخذت المرأة فنظرت ، فإذا وجهي أسود . فرجعت إلى سري أنظر من أين دُهِيت^(٢) ، فذكرت النظرة . فانفردت في موضع أستغفر الله تعالى وأسأله الإقالة أربعين يوماً . فخطر في قلبي أن زر شيخك الجنيد . فأنحدرت إلى بغداد . فلما جئت الحجرة التي هو فيها طرقت الباب ، فقال : ادخل ، يا أبا عمرو ! تَذْنِبُ بِالرَّحْبَةِ^(٣) ويستغفر لك ببغداد .

١٠٩ - [توبة فتى شاب وجماعة حميد امب كل منهما الاخر]

أخبرنا أبو الحسين عبد الحق بن عبد الخالق بن أحمد بن عبد القادر ابن يوسف ، أنا أبو الحسن علي بن محمد بن العلاف ، أنا أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن بشران الواعظ ، ثنا أبو العباس أحمد بن إبراهيم ابن علي الكندي ، أنا أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل السامري ، أنا أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد عن ابن أبي كامل ، عن اسحاق بن إبراهيم ، عن رجاء بن عمر النخعي ، قال :

(١) لمح بالنظر : احتلس به . وفي المطبوعة : ففجحت ، ولا معنى لها هنا . قال في «التاج» طيحت عينه كسمع : لصقت بالرأس . وقيل : لحمها : لزوق أجفانها لكثرة الدموع .

(٢) أي أصبت بداهية ، وهي الأمر العظيم .

(٣) حلة بالكوفة ، وموضع ببغداد .

كان بالكوفة فتى جميلُ الوجه، شديدُ التعبُّد والاجتهاد، وكان أحدَ الزهَّاد، فنزل في جوار قوم من النخع، فنظر إلى جاريةٍ منهم جميلة، فهويها وهام بها عقله، ونزل بها مثل الذي نزل به. فأرسل يخطبها من أبيها، فأخبره أبوها أنها مسماة لابن عمِّ لها. واشتدَّ عليها ما يقاسيان من ألم الهوى، فأرسلت إليه الجارية: قد بلغني شدة محبتك لي، وقد اشتد بلائي بك لذلك، مع وجدي بك. فإن شئت زرتك وإن شئت سهلت لك أن تأتيني إلى منزلي. فقال للرسول: لا واحدة من هاتين الخصلتين؛ (إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم) [الزمر: ١٣]، أخاف نارا لا يخبو^(١) سعيرها ولا يخمد لها^(٢) فلما انصرف الرسول إليها فأبلغها ما قال، قالت: وأراه مع هذا زاهدا يخاف الله تعالى؟! والله ما أحدٌ أحق بهذا من أحد؛ وإن العبيد فيه لمُشتركون^(٣). ثم انخلعت من الدنيا، وألقت علائقها خلف ظهرها، ولبست المسوح، وجعلت تعبد، وهي مع ذلك تدوب وتنحل حبَّ الفتى وأسفاً عليه، حتى ماتت شوقاً إليه. فكان الفتى يأتي قبرها. فرآها في منامه وكأنها في أحسن منظر، فقال: كيف أنتِ، وما لقيت بعدي؟ فقالت:

(١) أي لا يسكن ولا يطفأ.

(٢) لا يسكن لها.

(٣) في المطبوعة جملة (وإن العباد فيه لمُشتركون) وضعت بين قوسين كأنها آية، وليست بآية.

نعمَ المحبَّةُ يا حبيبي حُبُّكَ
حُبٌّ يَقُودُ إِلَى خَيْرٍ وَإِحْسَانٍ

فقال على ذلك : إلى ما صرتِ ؟ فقالت :

إلى نعيمٍ وعيشٍ لا زوال له
في جَنَّةِ الخلدِ ملكٌ ليس بالفاني

فقال لها : اذكريني هناك فإني لست أنساكِ . فقالت : ولا أنا والله
أنساكِ ، ولقد سألتك ربي ، مولاي ومولاك ، فأعاني على ذلك بالاجتهاد .
ثم ولتُ مديرة ، فقلت لها : متى أراكِ ؟ قالت : ستأتينا عن قريب ،
فلم يعيش الفتى بعد الرؤيا إلاَّ سبعة ليالٍ حتى مات ، رحمه الله .

١١٠ - [نوبتِ رجلٍ عن السرابِ والعودِ بسماعِ آياتٍ من القرآن]

أنبأنا الشيخ أبو الفرج ، أنا الحافظ أبو الفضل بن ناصر ، أنا محمد
ابن أبي نصر الحميدي ، قال : أنا محمد بن سلامة القضاعي ، قال : أنا
محمد بن أحمد الكاتب قال : أنا أبو مسلم ، قال : أنا محمد بن الحسين بن
دريد قال : أخبرنا الحسن بن خضر ، أخبرني رجل من أهل بغداد عن
أبي هاشم ^(١) المذكر ^(٢) ، قال :

(١) في « ب » والمطبوعة : عن أبي هشام .

(٢) يقال : المذكر ، لمن يمط الناس ويذكرهم .

أردت البصرة ، فجمت إلى سفينة أكثرها ، وفيها رجل ومعه
 جارية ، فقال الرجل : ليس هاهنا موضع . فسأله الجارية أن يحملني
 فحملني . فلما سرنا دعا الرجل بالغداء ^(١) فوضع ، فقال : أنزلوا ذلك
 المسكين ليتغدى ^(٢) فأنزلت على أبي مسكين . فلما تغدنا ^(٣) ، قال :
 يا جارية ! هاتي شرابك . فشرب وأمرها أن تسقيني ، فقمت : رحمك
 الله ! إن للضيف حقاً ، فتركني ؛ فلما دب فيه النبيذ ، قال : يا جارية !
 هاتي العود وهاتي ما عندك . فأخذت العود وغنت تقول

وَكَنَّا كغُصْنِي بَانَةٌ ^(٤) لَيْسَ وَاحِدٌ
 يَزُولُ عَلَى الخُلَانِ عَنِ رَأْيِ وَاحِدٍ
 تَبَدَّلَ بِي خِلاَ فِخَالَتُ غَيْرِهِ ^(٥)
 وَخَلَيْتُهُ ^(٦) لَمَّا أَرَادَ تَبَاعُدِي
 فَلَوْ أَنَّ كَفِّي لَمْ تَرُدَّنِي أَبْنَتْهَا ^(٧)
 وَلَمْ يَصْطَحِبْهَا بَعْدَ ذَلِكَ سَاعِدِي

(١) في المطبوعة : بالغذاء بالذال المعجمة .

(٢) في المطبوعة : ليتغذى .

(٣) في المطبوعة : فلما تغد بنا .

(٤) أي شجرة .

(٥) أي تبدل في صديقاً فصادفت غيره .

(٦) في نسخة : وباعدته .

(٧) أي لطمتها .

أَلَا قَبِيحَ الرَّحْمَنِ كُلُّ مَمَازِقٍ^(١)
يَكُونُ أَخَا فِي الْخَفَضِ^(٢) لَا فِي الشَّدَائِدِ

ثم التفت إلي فقال : أحسن مثل هذا ؟ فقلت : أحسن خيراً منه .
فقرأتُ : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ، وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ،
وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾ . [التكوير : ١ - ٣] فجعل الشيخ يبكي ؛
فلما انتهيت إلى قوله : ﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ [التكوير : ١٠]
قال الشيخ : يا جارية ! اذهبي ! فانت حرة لوجه الله تعالى . وألقى
ما معه من الشراب في الماء وكسر العود . ثم دنا إلي فاعتنقني وقال :
يا أخي ! أترى الله يقبل توبتي ؟ فقلت : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ
وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٢٢] .

قال : فواخيتُهُ بعد ذلك أربعين سنة حتى مات قبلي . فرأيتُهُ
في المنام ، فقلت له : إلى مصرت ؟ قال : إلى الجنة . قلت : بم^(٣) صرت
إلى الجنة ؟ قال : بقراءتك عليّ : ﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾
[التكوير : ١٠] .

(١) مآذق : غير مخلص .

(٢) في المطبوعة : في الخفض بكسر الخاء ، وهو خطأ .

(٣) في المطبوعة : بما .

١١١ [نوبة شيخ مهلبى وجاربه من السراب والضرب بالعود]

أخبرنا الامام الحافظ أبو موسى محمد بن أبي بكر بن أبي عيسى
المديني^(١) إجازة ، قال : أنا أبو الفتح عبد الرزاق بن محمد الشرايبي ،
قال : أنا سعيد بن محمد بن سعيد الولي ، أنا علي بن أحمد الواقدي ،
أنا أبو اسحاق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي ، قال : أخبرني أبو محمد
عبد الرحمن بن محمد الغازي ، قال : أخبرني أبو محمد عبد الله بن محمد
الأصبهاني^(٢) ثنا الحسن بن محمد البلخي ، ثنا أحمد بن الليث ، ثنا عمر
ابن محمد ، ثنا أبو عياش الخولاني قال : حدثني صالح بن عبد الله
الخزاز ، حدثني إسماعيل بن عبد الله الخزاعي ، قال :

قدم رجل من المهالبة من البصرة أيام البرامكة في حوائج له ، فلما
فرغ منها انحدر إلى البصرة ومعه غلام له وجارية . فلما صار في دجلة
إذا بفتى على ساحل دجلة ، عليه جبة صوف ويده عكازة ومزود ،
قال : فسأل الملاح أن يحمله إلى البصرة ويأخذ منه الكراء . قال :
فاشرف الشيخ المهلبى ؛ فلما رآه رق له ، فقال للملاح : قرب واحمله
معك على الظلال ، فحمله . فلما كان في وقت الغداء^(٣) دعا الشيخ

(١) هو الحافظ الكبير شيخ الاسلام محمد بن أبي بكر (عمر) بن أبي عيسى (أحمد)
ابن عمر الأصبهاني أبو موسى المديني صاحب التصانيف النافعة الكثيرة والمعرفة التامة
والرواية الواسعة ، شيخ زمانه امتداداً وحفظاً ، حدث عنه عليه أجيال ، وروى عنه
طائفة بالإجازة ، توفي رحمه الله سنة (٥٥٨١ هـ) ،

(٢) في نسخة : الأصبهاني .

(٣) في المطبوعة : الغداء .

بالسفرة ، وقال للملاح : قل للفتى ينزل إلينا ، فأبى عليه ؛ فلم يزل يطلب إليه حتى نزل . فاكلوا . حتى إذا فرغوا ذهب الفتى ليقوم ، فمنعه الشيخ حتى توضعوا ؛ ثم دعا بركة^(١) فيها شراب ، فشرب قدحاً ، ثم سقى الجارية ، ثم عرض على الفتى . فأبى وقال : أحب أن تعفيني . قال : قد أعفيناك ، اجلس معنا ، وسقى الجارية ، وقال : هاتي ما عندك^(٢) ، فأخرجت عوداً لها في كيس ، فهباته وأصلحته ، ثم أخذت فغنت : فقال : يا فتى ! تحسن مثل هذا ؟ قال : أحسن ما هو أحسن من هذا . فافتتح الفتى : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ؛ ﴿ قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون قليلاً . أين ما تكونوا يدر كرم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾ . [النساء : ٧٧ ، ٧٨] وكان الفتى حسن الصوت . قال : فرج الشيخ بالقدح في الماء ، وقال : أشهد أن هذا أحسن مما سمعت ! فهل غير هذا ؟ قال : نعم ، ﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً ﴾ [الكهف : ٢٩] قال : فوقعت من قلب الشيخ موقعاً . قال : فأمر بالزكرة^(٣) فرمى بها وأخذ العود فكسره . ثم قال : يا فتى ! هل هاهنا فرج ؟ قال : نعم ،

(١) الزكرة ، بضم الزاي وسكون الكاف : زق للخمر والخل . وفي « أ » : ثم دعا بركة . والزكرة : إياه الماء من جلد خاصة .

(٢) في نسخة : هاتي مامعك .

(٣) في « أ » نسخة : بالزكرة

﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم ﴾ [الزمر : ٥٣] قال : فصاح الشيخ صيحة خراً مغشياً عليه . فنظروا فإذا الشيخ قد ذاق الموت ، وقد قاربوا « البصرة » . قال : فضج القوم بالصراخ واجتمع الناس - وكان رجلاً من المهالبة معروفاً - فحمل إلى منزله ، فمأ رأيت جنازة كانت أكثر جمعاً منها . قال : فبلغني أن الجارية المغنية تدرّعت الشعر ، وفوق الشعر جبة صوف ، وجعلت تقوم الليل وتصوم النهار . فمكثت بعده أربعين ليلة . ثم مرت بهذه الآية في بعض الليالي : ﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفعاً ﴾ [الكهف : ٢٩] قال : فأصبحوا ، فأصابوها ميتة .

١١٢ - [نوبة اعرابي لسماح آية من القرآن]

قال الثعلبي^(١) : وحدثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن بن جعفر المذكر^(٢) ، ثنا الحاكم أبو محمد يحيى بن منصور ، ثنا أبو رجاء

(١) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أبو اسحاق ، مفسر من أهل نيسابور ، له اشتغال بالتاريخ . من كتبه « عرائس المجالس » في قصص الأنبياء ، و « الكشف والبيان في تفسير القرآن » يعرف بتفسير الثعلبي . توفي رحمه الله سنة (٤٢٧ هـ) .
(٢) يذكر كثير الناس ويعظم .

محمد بن أحمد القاضي، ثنا أبو الفضل العباس بن أبي الفرج الرياشي قال:
سمعت الأصمعي^(١) يقول :

أقبلت ذات يوم من المسجد الجامع بالبصرة . فبينما أنا في بعض
سِكَكها ، إذ طلع أعرابي جلفٌ جافٌ^(٢) على قعود^(٣) له متقلدٌ سيفه
وييده قوس ، فدنا وسلم وقال لي : ممن الرجل ؟ قلت : من بني الأصمعي ،
قال : أنت الأصمعي ؟ قلت : نعم . قال : ومن أين أقبلت ؟ قلت : من
موضع يُتلى فيه كلام الرحمن . قال : وللرحمن كلام يتلوه الآدميون !
قلت : نعم . قال : اتلُ عليّ شيئاً منه . فقلتُ له : انزل عن قعودك .
فنزل ؛ وابتدأتُ بسورة الذاريات . فلما انتهيت إلى قوله تعالى : ﴿ وفي
السماء رزقكم وما توعدون ﴾ [الذاريات : ٢٢] ، قال : يا أصمعي !
هذا كلام الرحمن ؟ قلت : إي والذي بعث محمداً بالحق إنه لكلامه
أنزله على نبيه محمد ﷺ ! فقال لي : حسبك ! ثم قام إلى ناقته فنجحها ووقطعها
بجلدها ، وقال : أعنسي على تقريقها . ففرقناها على من أقبل وأدبر . ثم
عمد إلى سيفه وقوسه فكسرها وجعلها تحت الرِّحْل . وولى مُدبراً
نحو البادية وهو يقول : ﴿ وفي السماء رزقكم وما توعدون ﴾ [الذاريات :

(١) هو عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمعي الباهلي أبو سعيد الأصمعي (١٢٢-٥٢١٦)
راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان نسبة إلى جده أصمعي ، مولده ووفاته
بالبصرة ، كان كثير التطواف في البوادي يقتبس علومها ويتلقى أخبارها ويتحف بها
الخلفاء فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة ، أخباره مشهورة وتصانيفه كثيرة .

(٢) في «ب» والمطبوعة : حاف بالهاء المهملة .

(٣) القعود: الغلوس والبكر إلى أن يُشفي، والفصيل .

[٢٢] . فأقبلتُ على نفسي باللوم، وقلت : لم تنتبه لما انتبه له الأعرابي، فلما حججت مع الرشيد دخلت مكة ، فبينما أنا أطوف بالكعبة ، إذ هتف بي هاتف بصوت دقيق . فالتفتُ فإذا أنا بالأعرابي نحيلاً مصفراً^(١) فسلم عليّ وأخذ بيدي وأجلسني من وراء المقام ، وقال لي : اتل كلام الرحمن ؛ فأخذت في سورة (الذاريات) . فلما انتهيت إلى قوله تعالى : ﴿ وفي السماء رزقكم وما توعدون ﴾ [الذاريات : ٢٢] ، صاح الأعرابي : وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً . ثم قال : وهل غير هذا ؟ قلت : نعم ، يقول الله عز وجل ﴿ فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ﴾^(٢) [الذاريات : ٢٣] . فصاح الأعرابي وقال : ياسبحان الله ! من الذي أغضب الجليل حتى حلف ؟! ألم يصدقوه حتى ألجؤوه إلى اليمين ؟! قالها ثلاثاً ، وخرجت فيها روجه .

١١٣ - [نوبة أمير من أمراء الأعراب بسبب الصوم]

وحكي عن ابن سمعون^(٣) قال : سمعت الشبلي^(٤) يقول : كنتُ في

(١) كذا في الأصل « أ » نحيلاً مصفراً، على أنه حال سد مسد الخبر . وفي « ب » والمطبوعة : نحيل مصفار .

(٢) في المطبوعة : مثل ما تنطقون ، وهو خطأ .

(٣) هو محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عنبس بن سمعون أبو الحسين (٣٠٠ - ٣٨٧ هـ) زاهد واعظ مولده ووفاته ببغداد ، علت شهرته حتى قيل : أوعظ من ابن سمعون . من كلامه : رأيت المعاصي نذالة ، فتركها مروءة ، فاستحالت ديانة .

(٤) هو أبو بكر الشبلي بكسر الشين، نسبة إلى قرية « شبلة » من قرى ماوراء النهر (٢٤٧ - ٣٣٤ هـ) ناسك عابد ، كان في مبدل أمره والياً ، ثم ترك الولاية وعكف على العبادة ، فاشتهر بالصلاح ، مولده ب « سر من رأى » ووفاته ببغداد ، اشتهر بكنيته واختلف في اسمه ، وأشهر ذلك دلف بن جحدر .

قافلة بالشام ، فخرج الأعراب فأخذوها وجعلوا يعرضونها على أميرهم .
 فخرج جِراب^(١) فيه سكرٌ ولوز ، فأكلوا منه والأمير لا يأكل ،
 فقلت له : لم لا تأكل ؟ فقال : أنا صائم . فقلت : تقطع الطريق ، وتأخذ
 الأموال ، وتقتل النفس ، وأنت صائم ؟! فقال : يا شيخ ! أجدلُ
 للصالح موضعاً . فلما كان بعد حين رأيتُه يطوف حول البيت وهو
 محرم كالشَّن^(٢) البالي . فقلت : أنت ذاك الرجل ؟ فقال : ذاك الصوم
 بلغ بي هذا المقام .

١١٤ - [نوبة لبيب العابد عن قتل الهبات]

وذكر القاضي أبو علي التنوخي^(٣) ، قال : كان ينزل بيباب الشام
 من الجانب الغربي ببغداد رجل مشهور بالزهد والعبادة يقال له : لبيب
 العابد . وكان الناس ينتابونه^(٤) . فحدثني لبيب ، قال : كنت مملوكاً
 رومياً لبعض الجنيد ، فرباني وعلمني العمل بالسلاح ، فصرت رجلاً ،
 ومات مولاي بعد أن أعتقني ، فتوصلتُ إلى أن جعلتُ رزقه لي ،

(١) الجراب بكسر الجيم . المزود أو الوعاء .

(٢) الشَّن : القيرونة الحلق الصغيرة .

(٣) في الأصل : « أبو الحسين بن علي » وهو خطأ ، صوابه « أبو علي » ، واسمه :
 المحسن بن أبي القاسم علي بن محمد التنوخي المشهور (٣٢٧ - ٣٨٤ هـ) صاحب كتاب
 « الفرج بعد الشدة » ، - وفي النية القيام بتحقيقه وطبعه إن شاء الله - وكان أديباً شاعراً
 أخبارياً ، نزل ببغداد وأقام بها ، وحدث إلى حين وفاته .

(٤) أي يأتون إليه مرة بعد مرة .

وتزوجت امرأته . وقد علم الله تعالى أني لم أرد بذلك إلا صيانتها . وأقيمت معها مدة . فانفق أني رأيت يوماً حية داخلية إلى جحرها (١) . فأمسكت ذنبها لأقتلها ، فوثبت (٢) عليّ فنهشت يدي فشلت ، ومضى زمن طويل على هذا فشلت يدي الأخرى بغير سبب أعرفه ، ثم جفت رجلاي ، ثم عميت ثم خرست . فكننت على هذه الحال سنة كاملة ؛ لم يبق لي جارحة صحيحة إلا سمعي أسمع به ما أكره ؛ وأنا طريح على ظهري لا أقدر على كلام ولا إيماء ولا حركة ؛ أسقى وأنا ريان ، وأترك وأنا عطشان ، وأطعم وأنا شبعان ، وأمنع وأنا جائع . فلما كان بعد سنة دخلت امرأة على زوجتي ، فقالت : كيف أبو عليّ لبيب ؟ فقالت لها زوجتي : لا حيّ فيرجى ولا ميت فيُسلى ، فأقلقتني ذلك وآلم قلبي ألماً شديداً ، فبَكَيت وضحجت إلى الله تعالى في سري ودعوت ، وكننت في جميع تلك العلل لا أجد ألماً في نفسي . فلما كان في بقية ذلك اليوم ضرب عليّ جسدي ضرباً شديداً كاد يتلفني ، ولم يزل على ذلك إلى أن دخل الليل وانتصف ، أو جاز (٣) فسكن الألم قليلاً ، فنمت ، فما أحسست إلا وقد انتهت وقت السحر وإحدى يديّ على صدري ، وقد كانت طول السنة مطروحة على الفراش لا تنشال ، أو تشال . فحركتها فتحرّكت ، ففرحت فرحاً شديداً ، وقوي طمعي في تفضل

(١) في المطبوعة : جحرها .

(٢) في «ب» والمطبوعة ونسخة في «أ» فاشتت .

(٣) في هامش «أ» الظاهر : كاد .

الله بالعافية ، فحركت الأخرى فتحركت ، فقبضت إحدى رجلي فانقبضت ، فرددتها فرجعت ؛ وفعلت بالأخرى مثل ذلك ، فرمت^(١) الانتقال ، فانقلبت وجلست ؛ ورمت القيام فقامت ، ونزلت عن السرير الذي كنت مطروحا عليه ، وكان في بيت من الدار ، فمشيت ألتمس الحائط في الظلمة إلى أن وقعت يدي على الباب ، وأنا لا أطمع في بصري . فخرجت إلى صحن الدار ، فرأيت السماء والكواكب تزهر ، فكدت أموت فرحاً ، وانطلق لساني بأن قلت : يا قديم الإحسان ! لك الحمد . ثم صحت بزوجتي ، فقالت : أبو علي ؟ فقلت : الساعة صرت أبا علي ! اسرجي ! فاسرجت ؛ فقلت : جيئني بمقراض ، فجاءت به ، فقصصت شارباً كان لي على زي الجند . فقالت لي زوجتي : ما تصنع؟ الآن^(٢) يعيبك رفقاًؤك ! فقلت : بعد هذا لا أخدم أحداً غير ربي . فانقطعت إلى الله - عز وجل - وخرجت من الدار ولزمت عبادة ربي . قال : وكانت هذه الكلمة^(٣) : « يا قديم الإحسان لك الحمد » ، قد صارت عادته يقولها في حشو كلامه . وكان يُقال : إنه مجاب الدعوة .

١١٥ - [نوبة المعنصم ورجوعه عن قتل نعيم بن جميل]

قال :^(٤) ووجدتُ في بعض الكتب : قال أحمد بن أبي دؤاد^(٥)

(١) أي : فطلبتُ

(٢) في «ب» والمطبوعة ولسخة في «أ» : الساعة .

(٣) في المطبوعة : وكانت هذه الكلمة لا يفارقها .

(٤) أي القاضي أبو علي التنوخي .

(٥) في «ب» والمطبوعة : أحمد بن أبي داود ، وهو خطأ .

ما رأيت رجلاً قط أشرف على الموت؛ فما شغله ولا أذهله عما يريد حتى بلغه وخلصه الله - عز وجل - إلا تميم بن جميل، فإني رأيته بين يدي المعتصم وقد بسط له النطع^(١) وانتضي له السيف^(٢) وكان رجلاً جسيماً وسيماً. فأحب المعتصم أن يستنطقه لينظر أين منظره من مخبره، فقال له: تكلم! فقال: أما إذ أذن أمير المؤمنين، فالحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين. ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين^(٣) [السجدة: ٧، ٨] يا أمير المؤمنين! جبر الله بك صدع الدين^(٤)، ولم يك شعث المسلمين^(٥)، إن الذنوب تحرس الألسنة وتخلع الأفئدة؛ وآيم^(٦) الله! لقد عظمتم الجريرة^(٧) وانقطعت الحجة، وساء الظن، ولم يبق إلا عفوك أو انتقامك^(٧) ثم أنشأ يقول:

أرى الموتَ بين السيفِ والنطعِ كما مناً
يلاحظني من حيث ما أتلفتُ

-
- (١) النطع، بكسر النون وفتحها، وبفتح النون والطاء: بساط من الأديم، جمع أنطاع ونطوع، ونطوع بالكسر.
- (٢) أي: ومجرد له السيف.
- (٣) أي شق الدين وضعفه.
- (٤) أي تفرقهم.
- (٥) في المطبوعة: وآيم بهزمة قطع، وهو خطأ.
- (٦) الجريرة: الذنب والجناية، يقال: جر على نفسه وغيره جريرة يجرها بضم الجيم وفتحها، جراً.
- (٧) في «ب» والمطبوعة: وإبفاؤك.

وَأَكْبَرُ ظَنِي أَنْكَ الْيَوْمَ قَاتِلِي
 وَأَيُّ امْرِئٍ يَدِّي بَعْدَ وَحْجَةٍ
 وَسَيْفُ الْمَنَايَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُصَلَّتْ
 وَمَا جَزَعَنِي مِنْ أَنْ أَمُوتَ فَإِنِّي
 لِأَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ شَيْءٌ مُؤَقَّتٌ
 وَلَكِنْ خَلْفِي صَبِيئَةٌ قَدْ تَرَكْتُهُمْ
 وَأَكْبَادُهُمْ مِنْ حَرْهَا تَتَفَقَّتْ
 فَإِنْ عَشْتُ عَاشُوا سَالِمِينَ ^(١) بَغْبَطَةً
 أَذُودُ الْعَدَى عَنْهُمْ وَإِنْ مِتُّ مَوْتًا
 كَأَنِّي أَرَاهُمْ حِينَ أَنْعَى إِلَيْهِمْ
 وَقَدْ لَطَمُوا تِلْكَ الْحُدُودَ وَصَوَّتُوا ^(٢)

قال : فاستعبر المعتصم ^(٣) ، ثم قال : يا تميم ! قد عفوتُ عن الهفوة ،
 ووهبتُك للصبيّة . ثم أمر به ففكَّ خديده وخلق عليه وعقد له على
 سقي الفرات .

١١٦ - [نوبة لص من اللصوص عن التعرض للناس]

أنبأنا الإمام أبو طاهر أحمد بن محمد السَّلَفِي ، أنا أبو الحسين بن

(١) في « ب » حافظين ، وفي المطبوعة ونسخة في « أ » : خافضين .

(٢) هذا البيت سقط من المطبوعة .

(٣) أي جرت عَبْرَتُهُ ، وحزن . وَالْعَبْرَةُ : الدَّمْعَةُ قَبْلَ أَنْ تَفِيضَ ، أو تردد

البكاء في الصدر ، أو الحزن بلا بكاء ، وجمع الْعَبْرَةُ : عَبْرَاتٌ ، وَعَبِيرٌ .

الطيوري ، أنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي بن أحمد بن الفضل ، أنا أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسين ^(١) بن جهضم ، ثنا حبيب ، ثنا الفضل بن أحمد ، ثنا محمد ^(٢) بن مرزوق قال : حدثني أبي قال : حدثتني أمة الملك بنت هشام بن حسان ، قالت :

خرج عطاء الأزرق إلى الجبآن ^(٣) يصلي بالليل ، فعرض له لص ؛ فقال : اللهم اكفنيه . قال : فحفت يدها ورجلاه . قال : فجعل يبكي ويصيح : والله لا أعود أبداً ! قال : فدعا الله له فأطلق . قال : فاتبعه اللص ، فقال له : أسالك بالله من أنت ؟ قال : أنا عطاء ، فلما أصبح ، سأل : تعرفون رجلاً صالحاً يخرج بالليل إلى الجبآن يصلي ؟ قالوا : نعم ، عطاء السلمي . قال : فذهب إلى عطاء السلمي إلى الخربة فدخل عليه ، وقال : إني جئتك تائباً من قصتي كذا وكذا ، فادع الله لي ، قال : فرفع عطاء السلمي يديه إلى السماء ، وجعل يبكي ويقول : ويحك ، ليس أنا ! ذاك عطاء الأزرق .

١١٧ - [توبة يوسف بن أسباط على برئانه بان يعمل نباتاً]

أخبرنا عبد الله بن عبد الرحمن السلمي ، أنا أبو القاسم الحسيني ،

(١) في المطبوعة : الحسن .

(٢) في المطبوعة : جعفر .

(٣) الجبآن والجبانة بتشديد الباء : الصحراء ، وتسمى بها المقابر ، لأنها تكون في

الصحراء ، تسمية للشيء بموضعه .

أنا رشا بن نظيف ، أنا الحسن بن إسماعيل ، أنا أبو بكر أحمد بن مروان ، ثنا عمرو بن حفص الشيباني ، ثنا ابن خبيق^(١) ، ثنا أبي ، قال :
 صحب يوسف بن أسباط^(٢) فتى من أهل الجزيرة ؛ فلم يكلمه إلا بعد عشر سنين ، وكان يوسف يرى من جزعه وفزعه وعبادته آناء الليل والنهار ، فقال له يوسف : ما كان عملك ؟ فإني لا أراك تهدأ من البكاء . فقال له : كنت نباشاً . فقال له يوسف : فأى شيء كنت ترى إذا وصلت إلى اللحد^(٣) ؟ قال : كنت أرى أكثرهم قد حوّلوا وجوههم عن القبلة إلا قليلا . قال يوسف : إلا قليلا ! فاختلط يوسف على المكان ، وذهب عقله حتى كان يحتاج أن يداوى .

قال ابن خبيق : قال أبي : دعونا سليمان الطبيب ليداوي يوسف ؛ وكان يرجع إليه عقله أحيانا فيقول : إلا قليلا ! فلم يزل به حتى داواه وصح ، فلما فرغ وأراد أن يخرج سليمان الطبيب ، قال يوسف : أي شيء تعطونه ؟ قلنا : لا يريد منك شيئا . قال : سبحان الله ! جئتم بطبيب الملوك ، ولا أعطيه شيئا ؟ قلنا : أعطه دينارا . فقال : خذ هذا فادفعه إليه ، وأعلمه أنني لا أملك غيره لئلا يتوهم أنني أقل مروءة من الملوك ، فدفعت إليه صرة فيها خمسة عشر دينارا . قال : فأخذتها فدفعتها إليه ، وجعل يوسف يعمل الخوص بيده حتى مات .

(١) هو أبو محمد عبد الله بن خبيق من الزهاد .

(٢) في المطبوعة : إسباط بكسر الهمزة .

(٣) اللحد : الشق يكون في معرض القبر .

قال أحمد بن مروان : ثنا محمد بن أحمد ، ثنا ابن خبيق ، ثنا الهيثم ابن جميل قال : حدثني حبيب قال : قال يوسف بن أسباط ^(١) :

ورثت عن أبي ضياعاً بمجسمائة ألف بالكوفة . فجرى بيني وبين عمومي كلام ، فشاورت الحسن بن صالح ^(٢) ، فقال لي : ما أرى لك أن تخصصهم ؛ إنها من أرض الخراج ، فتركتها لله - عز وجل - وأنا محتاج إلى فلس ، أو كما قال .

١١٨ - [نوبة نبأ عن نبأ القبور]

أنا عبد الرحمن بن علي الإمام ^(٣) ، قال : أنا إبراهيم بن دينار الفقيه ، أنا إسماعيل بن محمد بن ملة ، أنا عبد العزيز بن أحمد ، أنا عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان ، ثنا إبراهيم بن محمد بن الحسين ^(٤) ، ثنا أبو موسى الطرسوسي ، ثنا هارون بن زياد المصيبي ، ثنا أبو اسحاق الفزاري ^(٥) ، قال :

(١) في المطبوعة : إسباط بكسر الهمزة .

(٢) هو الحسن بن صالح الهمداني الثوري الكوفي أبو عبد الله ، (١٠٠-١٦٨ هـ) كان فقيهاً مجتهداً متكلماً ، من أقران سفيان الثوري ، ومن رجال الحديث ، ومن زعماء الفرقة الزيدية ، له كتب ، منها « التوحيد » ، و « الجامع في الفقه » و « إمامة ولد علي من فاطمة » وغيرها .

(٣) هو ابن الجوزي .

(٤) في « ب » و المطبوعة : محمد بن الحسن .

(٥) هو إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة الفزاري أبو اسحاق من كبار العلماء ، ولد في الكوفة ، وقدم دمشق ، وحدث بها ، وكان من أصحاب الأوزاعي ومعاصريه ، وهو الذي أدب أهل الثغر (بيروت وأطرافها) وعلمهم السنة ، له كتاب =

كان رجل يكثر الجلوس إلينا ونصف وجهه مغطى ، فقلت له :
إنك تكثر الجلوس إلينا ونصف وجهك مغطى ، أطلعني على هذا ؟
فقال : تعطيني الأمان ؟ قلت : نعم . قال : كنت نباشاً فدُفنت
امرأة ، فأتيت قبرها ، فنبشت حتى وصلت إلى اللّين . ثم رفعت اللّين ،
فضربت بيدي إلى الرّداء ؛ ثم ضربت بيدي إلى اللفاقة فمددتها . فجعلت
تمدها هي ؛ فقلت : أتراها تغلبنى ؟ فجثيت على ركبتي ؛ فمددت ، فرفعت
يدها فطممتني ، وكشف وجهه فإذا أثر خمس أصابع في وجهه ،
فقلت له : ثمّ مه ؟ قال : ثم رددت عليها لفافتها وإزارها ، ثم رددت
التراب ؛ وجعلت على نفسي أن لا أنبش ما عشت . قال : فكتبت
بذلك ^(١) إلى الأوزاعي ^(٢) . فكتب إليّ الأوزاعي : ويحك ! سله عن
مات من أهل التوحيد ووجهه إلى القبلة ؛ أحول وجهه أم ترك وجهه
إلى القبلة ؟ قال : فجاءني الكتاب ؛ فقلت له : أخبرني عن مات من أهل
الإسلام ، أترك وجهه على ما كان ، أم ماذا ؟ فقال : أكثر ذلك حول

= في السير والأخبار والأحداث ، نعتة ابن العماد بالامام القدوة ، ونقل قول أبي داود
الطيالسي : مات أبو اسحاق الفزاري وما على وجه الأرض أفضل منه ، توفي رحمه الله
سنة (١٨٨ هـ)

(١) في المطبوعة : ذلك .

(٢) هو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي أبو عمرو (٨٨ - ٥٧ هـ) إمام الديار
الشامية في الفقه والزهد ، ولد في بعلبك ونشأ في البقاع وسكن في بيروت وتوفي بها ،
عرض عليه القضاء فامتنع ، كان عظيم الشأن في الشام ، وكان أمره فيهم أعز من السلطان ،
له كتاب « السنن في الفقه » « والمسائل » .

وجهه عن القبلة . فكتبتُ بذلك إلى الأوزاعي . فكتب إليّ : إنا لله
وإنا إليه راجعون ! - ثلاث مرّات - : أما من حول وجهه عن القبلة
فإنه مات على غير السنّة .

١١٩ - [توربتاب مسرف على نفسه على يد ابراهيم بن أدهم]

وروي أن - جلاً جاء إلى ابراهيم بن أدهم ، فقال له : يا أبا اسحاق !
إني مسرف على نفسي ، فاعرض عليّ ما يكون لها زاجراً ومستنقذاً
لقلبي . قال : إن قبلتَ خمس خصال وقدرت عليها لم تضرك معصية ،
ولم توبقك ^(١) لذّة . قال : هات يا أبا اسحاق !

قال : أما الأولى ، فإذا أردت أن تعصي الله عزّ وجل فلا تأكل رزقه .
قال : فمن أين آكل وكلّ ما في الأرض من رزقه ؟ قال له : يا هذا !
أفيحسنُ أن تأكل رزقه وتعصيه ؟ قال : لا ؛ هات الثانية !

قال : وإذا أردت أن تعصيه فلا تسكن شيئاً من بلاده . قال الرجل :
هذه أعظم من الأولى ! يا هذا ! إذا كان المشرق والمغرب وما بينهما له ،
فأين أسكن ؟ قال : يا هذا ! أفيحسنُ أن تأكل رزقه وتسكن بلاده
وتعصيه ؟ قال : لا ؛ هات الثالثة !

قال : إذا أردت أن تعصيه ، وأنت تحت رزقه وفي بلاده ، فانظر
موضعا لا يراك فيه مبارزاً له فاعصه فيه . قال : يا إبراهيم ! كيف هذا

(١) أي ولم تهلكك .

وهو مطَّلَع على ما في السرائر؟ قال : يا هذا ! أفيحسن أن تأكل رزقه
وتسكن بلاده وتعصيه وهو يراك ويرى ما تجاهره به؟ قال : لا ؛
هات الرابعة !

قال : إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فقل له : أخرني حتى
أتوب توبة نصوحاً وأعمل لله عملاً صالحاً . قال : لا يقبل مني ! قال :
يا هذا ! فأنت إذا لم تقدر أن تدفع عنك الموت لتتوب ، وتعلم أنه إذا
جاء لم يكن له تأخير ، فكيف ترجو وجه الخلاص ؟ ! قال :
هات الخامسة !

قال : إذا جاءتك الزبانية يوم القيامة ليأخذوك إلى النار فلا تذهب
معهم . قال : لا يدعونني ولا يقبلون مني . قال : فكيف ترجو النجاة
إذا؟ ! قال له : يا إراهيم ! حسي حسي ! أنا أستغفر الله وأتوب إليه .
ولزمه في العبادة حتى فرق الموت بينهما .

١٢٠ - [نوبة صامب مقناة على برد شاب دمشقي]

أنا أنا الحافظ أبو طاهر السلفي إجازةً ، أنا أبو الحسين بن الطيوري ،
أنا مسعود بن ناصر السجستاني ، أنا أبو حازم عمر بن أحمد العدوي^(١)
أنا علي بن عبد الله بن جهضم ، أنا أبو الطيب محمد بن جعفر ، ثنا

(١) في المطبوعة : العدوي .

يحيى بن الحسن الرازي^(١) ، ثنا معروف الكرخي^(٢) قال :

رأيت في البادية شاباً حسن الوجه له ذؤابتان^(٣) حسنتان ، وعلى رأسه رداء قصب ، وعليه قميص كتان ، وفي رجله نعل طاق^(٤) . قال معروف : فتعجبت منه في مثل ذلك المكان ، ومن زيه . فقلت : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ! فقال : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا عم ! فقلت : الفتى من أين؟ قال : من مدينة دمشق . قلت : متى خرجت منها؟ قال : ضحوة النهار . قال معروف : فتعجبت ، وكان بينه وبين الموضع الذي رأيته فيه مراحل كثيرة . فقلت له : وأين المقصد؟ قال : مكة . فعلمت أنه محمول ، فودعته ومضى ، ولم أره حتى مضت ثلاث سنين . فلما كان ذات يوم وأنا جالس في منزلي أتفكر في أمره وما كان منه ، إذا بإنسان يدق الباب ، فخرجت إليه ، فإذا بصاحبي فسلمت عليه وقلت : مرحباً وأهلاً ! فأدخلته المنزل فرأيتَه منقطعاً والهأ^(٥) تالفاً ، عليه زُرمانيقة^(٦) ، حافياً حاسراً . فقلت : هيه !

(١) في نسخة : يحيى بن الحسين الرازي .

(٢) هو معروف بن فيروز الكرخي أبو محفوظ ، أحد أعلام الزهاد ، كان من موالى الامام علي الرضى بن موسى الكاظم ، اشتهر بالصلاح وقصده الناس حتى كان الامام أحمد بن حنبل من جملة من يختلف إليه ، توفي رحمه الله سنة (٢٠٠ هـ)

(٣) ثنية ذؤابة : والذؤابة : شعر في أعلى الناصية .

(٤) الطاق : ناشز بندر من الجبل كالطاق ، وكذلك في البئر ، وفيها بين كل خشبتين من السفينة ، ويقال : طاق نعل ، وطاقه ريجان .

(٥) الوله محرّكة : الحزن ، أو ذهاب العقل حزناً ، والحيرة ، والخوف

(٦) الزُرمانيقة بضم الزاي : جبة من صوف ، معرب « اشترباهه » أي : متاع الجمال

أيش^(١) الخبر؟ قال: يا أستاذ! لاطفني حتى أدخلني الشبكة فرماني؛
فمرة يلاطفني، ومرة يهددني، ويجيعني مرة، ويكرمني أخرى،
فليته أوقفني على بعض أسرار أوليائه، ثم ليفعل بي ما يشاء!

قال معروف: فأبكاني كلامه، فقلت له: فحدثني ببعض ما جرى
عليك منذ فارقتني. قال: هيات أن أبعده وهو يريد أن يخفيه! ولكن
بدياً ما فعل بي في طريقني إليك يا مولاي وسيدي، ثم استفرغه
البكاء. فقلت: وما فعل بك؟ قال: جوعني ثلاثين يوماً؛ ثم دخلت
إلى قرية فيها مقشاة^(٢)، وقد نبذ منها المدود وطرح، فقعدت أكل
منه. فبصر بي صاحب المقشاة، فأقبل إليّ يضرب ظهري وبطني،
ويقول: يا لص! ما خرب مقشاتي غيرك! منذ كم أنا أُرصدك حتى
وقعت عليك! فبينما هو يضربني إذ أقبل فارس نحوه مسرعاً، وقلب
السوط في رأسه، وقال: تعمد إلى وليّ من أولياء الله تعالى تقول له:
يا لص! فأخذ صاحب المقشاة بيدي فذهب بي إلى منزله، فما بقي من
الكرامة شيئاً إلا عمله بي؛ واستحلني وجعل مقشاته لله ولأصحاب
معروف، فقلت له: صف لي معروفاً، فوصفك لي، فعرفتكم بما كنت
شاهدته من صفتك.

قال معروف: فما استتمّ كلامه حتى دقّ صاحب المقشاة الباب

(١) أي: أي شيء.

(٢) المقشاة: موضع الفناء، وهو الخيار.

ودخل ، وكان موسراً ، فأخرج جميع ماله وأنفقه على الفقراء ،
وصحب الشاب سنة ، وخرجا إلى الحج ، فهاتا في « الرَبْدَة » (١)
رحمة الله عليهما .

١٢١ - [نوبة عاص في جوف الليل وموته

لسماع آية من القرآن فيها ذكر النار]

أخبرنا محمد ، أنا حمد ، ثنا إبراهيم بن عبد الله قال : حدثني محمد
ابن إسحاق الثقفي ، حدثني أحمد بن موسى الأنصاري ، عن منصور
ابن عمار ، قال :

حججتُ حجةً ، فنزلتُ سكةً من سكك الكوفة . فخرجت في
ليلة مظلمة ، فإذا بصارخ يصرخ في جوف الليل وهو يقول : إلهي !
وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك ، وقد عصيتك إذ عصيتك
وما أنا بنكالك جاهل ، ولكن خطيئةً عرضت لي أعاني عليها شقائي
وغرني سترك المرخي علي ، وقد عصيتك بجهدي وخالفتك بجهلي ،
ولك الحجّة علي ؛ فالآن من عذابك من يستنقذني ؟ ومجبل من أتصل
إذا قطعت جبلك مني ؟ واشباباه ! واشباباه ! قال : فلما فرغ من
قوله تلوت آية من كتاب الله : ﴿ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾

(١) مكان قرب مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبه توفي أبو عبد الله القماري
رضي الله عنه ، ودفن فيه .

عليها ملائكةٌ غلاظٌ شدادٌ ﴿ [التحریم : ٦] ... الآية (١) . فسمعتُ حركةً شديدةً ، ثم لم أسمع بعدها حساً ، فضيتُ . فلما كان من الغد رجعتُ في مدرجتي (٢) ، إذا بجنازةٍ قد وضعت ، وإذا بعجوزٍ كبيرة ، فسألتهَا عن أمر الميت ، ولم تكن عرفتني ، فقالت : هذا رجل لا جزاء الله إلا جزاءه ! مر بابني البارحة ، وهو قائم يصلي ، فتلا آية من كتاب الله ؛ فلما سمعها ابني تفتّرت مرارته فوق مبيتاً .

١٢٢ - [نوبة امرأة من الفناء والعود ونوبة مولها على برها]

وجدت في كتاب عن سري السقطي أنه قال : ضاقت علي نفسي يوماً ، فقلت في نفسي : أخرج إلى المارستان (٣) وأنظر إلى المجانين (٤) فيه ، وأعتبر بأحوالهم . فخرجت إلى بعض المارستانات ، وإذا بامرأة مغلولة يدها إلى عنقها وعليها ثياب حسان وروائح عطرة ، وهي تنشد :

أُعِيدُكَ أَنْ تَغُلَّ يَدِي بغير جريمة سَبَقْتُ
تَغُلُّ يَدِي إِلَى عُنُقِي وَمَا خَانَتْ وَلَا سَرَقْتُ
وَبَيْنَ جَوَانِحِي كَبِدٌ أَحْسُ بِهَا قَدْ احْتَرَقْتُ
وَحَقِّكَ يَا مَدَى أَمَلِي يَمِينًا بَرَّةً (٥) صَدَقْتُ

(١) وأروها : (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً...)

(٢) في الطريق الذي سلكته وجئت منه

(٣) المارستان : دار المرضى ، معرب .

(٤) في نسخة : المتحنين .

(٥) أي : ماضية على الصدق .

فلو قطعتمها قطعاً وحقك عنك لانظقت^(١)
 فقلت لصاحب المارستان : ما هذه ؟ فقال : مملوكة خبيل عقلا
 فحبست لتصلح . فلما سمعت كلامه أنشدت :
 معشر الناس ما جننت ولكن
 أنا سكرانةٌ وقلبي صاح
 لم غللتم^(٢) يدي ولم آت ذنباً
 غير هتكي^(٣) في حبه وافتضاحي
 أنا مفتونةٌ بحب حبيب
 لست أبغي عن بابه من براح
 فصلاحي الذي زعمت فسادي
 وفسادي الذي زعمت صلاحِي
 ما على من أحب مولى الموالِي
 وارتضاه لنفسه من جناح

قال سري : فسمعت كلاماً أبكاني . فلما رأته دموعي قالت :
 يا سري ! هذه دموعك على الصفة ، فكيف لو عرفته حق المعرفة ؟
 فقلت : هذا أعجب ! من أين عرفتنني ؟ قالت : ما جهلت منذ
 عرفت أن أهل الدرجات يعرف بعضهم بعضاً ، فقلت : يا جارية
 أراك تذكرين المحبة ، فلمن تحبين ؟ قالت : لمن تعرف

(١) في « ب » والمطبوعة ونسخة : ما برحت .

(٢) في « ب » والمطبوعة : أغلتم .

(٣) في « ب » والمطبوعة : جيدي .

إلينا بالآله^(١) ، وتحبب إلينا بنعمائه ، وجاد علينا بجزيل عطائه ؛ فهو قريب ، إلى القلوب مجيب ؛ تسمى بأسمائه الحسنى ، وأمرنا أن ندعوه بها ؛ فهو حكيم كريم ، قريب مجيب . قال : فقلت لها : فيم حبست ؟ فقالت : قومي عابوا عليّ ما سمعت منهم^(٢) . فقلت لصاحب المارستان : أطلقها . ففعل ؛ فقلت : اذهبي حيث شئت . فقالت : إن حبيب قلبي قد ملكني لبعض ممالكه ، فإن رضي مالكي وإلا صبرت واحتسبت^(٣) . فقلت : هذه والله أعقل مني ! فجاء مالكاها ومعه ناس كثير ، فقال لصاحب المارستان : وأين بدعة ؟^(٤) فقال : دخل عليها سري فأطلقها . فلما رأني عظمي ؛ فقلت : هي والله أولى بالتعظيم مني ! فما الذي تنكر منها ؟ فقال : كثرة فكرتها ، وسرعة عبرتها وزفرتها^(٥) وحنينها ؛ فهي باكية راغبة ، لاتأكل مع من يأكل ، ولاتشرب مع من يشرب ؛ وهي بضاعتي اشتريتها بكل مالي - بعشرين ألف درهم - وأمّلت أن أربح فيها مثل ثمنها . فقلت : وما كانت صنعتها ؟ قال : مطربة . قلت : ومنذ كم كان بها هذا الداء ؟ فقال : منذ سنة . قلت : ما كان بدؤه ؟ قال : كان العود في حجرها وهي تغني وتقول :

وَحَقُّكَ لَا تَقْضُتُ الدَّهْرَ عَهْدًا
وَلَا كَدَّرْتُ بَعْدَ الصَّفْوِ وُدًّا

- (١) في المطبوعة : بالآية ، وهو تحريف .
(٢) على هامش النسخة « أ » الظاهر : مني .
(٣) في المطبوعة : واحتسبت ، بتقديم الباء على السين من الحبس ، وهو تحريف .
(٤) اسم المرأة المحبوسة .
(٥) العبرة : الدمعة قبل أن تفيض ، والزفرة : التنفس .

مَلَّتْ جَوَانِحِي وَالْقَلْبَ وَجَدًّا
فَكَيْفَ أَقْرُؤُ أَوْ أَسْلُو وَأَهْدَا
فِيَا مَنْ لَيْسَ لِي مَوْلَى سِوَاهُ
تُرَاكَ تَرَكَتَنِي فِي النَّاسِ عَبْدَا

قال : فكسرت العود وقامت وبكت . فاتهمها بمحبة إنسان ^(١) .
فكشفت عن ذلك فلم أجد له أثراً . قال : فقلت لها : هكذا
كان ؟ فقالت :

خاطبني الوعظُ من جناني ^(٢) وكان وعظي على لساني
قربني منه بعد بعدٍ وخصني الله واصطفاني
أجبت لما دعيت طوعاً ملبياً للذي دعاني
وخفت مما جنيت قديماً فوق الحب بالأمان

قال : فقلت له : عليّ الثمن وأزيدك . قال : فصاح : وافقرأه ! من
أين لك ثمن هذه ؟ فقلت : لا تعجل عليّ ، تكون في المارستان حتى
آتي بثمانها ، ثم مضيت وعيني تدمع وقلبي يخشع . وبت ولم أطعم غمضاً ،
ووالله ما عندي درهم من ثمنها . وبقيت طول ليلتي أتضرع إلى الله
تعالى وأقول : يا رب ! إنك تعلم سري وجهري ، وقد اتكلت على فضلك
وعوّلت عليك فلا تفضحني . فبينما أنا عند السحر إذا بقارع يقرع

(١) في المطبوعة : فاتهمها بمحبة يعني إنسان ، ولا داعي لكلمة « يعني » .

(٢) من قلبي .

الباب . فقلت : مَنْ بالبَاب ؟ فقال : حبيب من الأحياب ، أتى في سبب من الأسباب ، من الملك الوهاب . ففتحت الباب ، فإذا برجل معه خادم وشمعة . فقال : يا أستاذ ! أتأذن لي بالدخول ؟ فقلت : ادخل ! من أنت ؟ قال : أنا أحمد بن المثني ، قد أعطاني مالك الدار فأكثر ؛ كنت الليلة نائماً فهتف بي هاتف في المنام : احمل خمس بدرات^(١) إلى سري يعطيها لمولى بدعة يفكها من الأسر ومن رق العبودية الساعة ؛ فلنا بها عناية . فجئت مبادراً بهذا المال ، فاصنع به ما شئت . قال : فخررت لله ساجداً وارتقيت الصبح . فلما تعالى ضوء النهار أخذت بيد أحمد^(٢) ومضيت به إلى المارستان . فإذا الموكل به يلتفت يميناً وشمالاً . فلما رأي قال : مرحباً ! ادخل ! فإن لها عند الله عناية بهتف بي البارحة هاتف ، وهو يقول :

إنها مِنَّا بِيالِ ليسَ تَخْلُو مِن نِوَالِ
قَرُبْتُ نُمَّ تَسَمَّتْ وعلت في كلِّ حالِ

فحفظتُ هذا القول وكررتُه إلى أن أتيتم . فدخلت عليها وهي تقول :

قدَ تَصَبَّرْتُ إلى أنْ عِيلَ في حَبِّكَ صَبْرِي
ضاقَ من غُلِّي وقِيدِي وامتهاني فيكَ صَدْرِي

(١) بدرات ، جمع بكرة ، والبكرة : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درم ، أو سبعة آلاف دينار .

(٢) أي أحمد بن المثني .

ليس يخفى عنك أمري يا منى قلبي وذخري
أنت لي تعتق رقي وتفك اليوم أسري

قال : وأقبل مولاها يبكي ويخشع ، فقلت له : قد جئناك بما ورثت وربح خمسة آلاف . فقال : لا والله ! فقلت : بربح عشرة آلاف فقال : لا . فقلت : بربح المثل . فقال : لو أعطيتني الدنيا ما قبلت ! وهي حرّة لوجه الله تعالى . فقلت له : ما القصة ؟ فقال : يا أستاذ ! وبُخِتُ البارحة ، أشهدك أني خارج من جميع مالي وهارب إلى الله تعالى ؛ اللهم كن لي بالسعة كفيلاً وبالرزق جيلاً . فالتفت إلى ابن المثنى ^(١) فرأيتَه يبكي ، فقلت له : ما بكأوك ؟ فقال : مارضي بي المولى لما ندبني إليه ؛ أشهدك أني قد تصدقت بجميع مالي لوجه الله تعالى . فقلت : ما أعظم بركة بدعة على الجميع ! فقامت بدعة ، فزعت ما كان عليها ، ولبست مدرعة من الشعر ، وخرجت وهي تقول :

هربت منه إليه بكيت منه عليه
وحقه فهو مولى لازلت بين يديه
حتى أنال وأحظى بما رجوت لديه

قال سري : فاقمت بعد ذلك مدّة حتى مات مولاها . فبينما أنا أطوف بالكعبة وإذا أنا بصوت محزون من كبد مقروحة ، وهو يقول :

قد تشهّرتُ بحبِّك كيف لي منك بقربك
كيف بي يا نفس إن وا خذك الله بذنبك

(١) وهو أحمد بن المثنى .

لم يُقاسي أحدٌ يا نفس كرباً مثل كربِكُ
فسلي ربَّكِ يأتِيك الرضى من عند ربكُ

قال : فتبعته الصوت فإذا امرأة كالخيال . فلما رأته قالت : السلام عليك ياسري ! فقلت : وعليك السلام ! من أنتِ ؟ فقالت : لا إله إلا الله ! وقع التناكر بعد المعرفة ! أنا بدعة . فقلت : ما الذي أفادك الحق بعد انفرادك عن الخلق ؟ فقالت : أفادني كل المنى . وأنشدت :

يا من رأى وحشتي فأنسني
بالقرب من قربه فأنعشني
هربتُ من مسكني إلى سكني
نعم ومن موطني إلى وطني
يا سكني لا خلوتُ من سكني
دهري ويا عددي على الزمّن
أوحشتني ما فقدت منه فقد
عاد بإحسانه فأنسني
وعدت أيضاً وعاد منعطفاً
كذلك منذ كان منه عودني

ثم قالت : لا حاجة لي بالبقاء ، فخذني إليك ! قال : فحركتها فإذا هي ميتة - رحمة الله عليها .

* * *

ذكر خبر جماعة ممن أسلم

١٢٢ - [نوبة أبي اسماعيل النصراني واسلامه]

أنبأتنا شهدة بنت أحمد بن الفرغ الابري قالت : أنا جعفر بن أحمد السراج ، ثنا جعفر الخلدي ، ثنا أحمد بن مسروق ، ثنا محمد بن الحسين ، ثنا عبد الله بن الفرغ العابد ، قال :

كان بالموصل رجل نصراني يكنى أبا إسماعيل . قال : فر ذات ليلة برجل وهو يتهدد على سطحه ، وهو يقرأ : ﴿ وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون ﴾ [آل عمران : ٨٣] ^(١) قال : فصرخ أبو إسماعيل صرخة غشي عليه ، فلم يزل على حاله تلك حتى أصبح ؛ فلما أصبح أسلم ، ثم أتى فتحاً الموصل فاستأذنه في صحبتته ؛ فكان يصحبه ويخدمه . قال : فبكى أبو إسماعيل حتى ذهبت إحدى عينيه وعشي من الأخرى ^(٢) . فقلت له يوماً : حدثني ببعض أمر «فتح» قال : فبكى ، ثم قال : أخبرك عنه ، كان والله كهيشه الروحانيين ، معلق القلب بما هناك ، ليست له في الدنيا راحة .

(١) وأول الآية : (أفغير دين الله يبغون وله أسلم ...) الآية .

(٢) العشا مقصورة : سوء البصر بالليل والنهار ، كالمشاوة ، أو الممي .

قلت : عليّ ذاك^(١) . قال : شهدت العيد معه ذات يوم ، ورجع بعد ماتفرق^(٢) الناس ، ورجعت معه . فنظر إلى الدخان يفور من نواحي المدينة ، ثم بكى ، ثم قال : قد قرّب الناس قربانهم ، فليت شعري ما فعلت في قرباني عندك أيها المحبوب ؟ ثم سقط مغشياً عليه . فجئت بماءٍ فمسحت به وجهه فما أفاق^(٣) ، حتى دخل بعض أزقة المدينة ، فرفع رأسه إلى السماء ، ثم قال : قد علمت طول غمي وحزني وتردادي في أزقة الدنيا ، فحتّيتي متى تحبسني أيها المحبوب ؟ ثم سقط مغشياً عليه . فجئت بماءٍ فمسحته على وجهه ، فأفاق ، فما عاش بعد ذلك إلا أياماً حتى مات - رحمه الله .

١٢٤ - [توبة شاب نصراني واسلم]

أبانا الحافظ أبو طاهر السلفي ، أنا أبو الحسين بن الطيوري ، أنا عبد العزيز بن عليّ ، أنا عليّ بن عبد الله الصوفي ، ثنا محمد بن داود قال : حدثني حامد الأسود صاحب إبراهيم الخواص^(٤) ، قال : كان إبراهيم ، إذا أراد سفراً ، لم يحدث به أحداً ولم يذكره ؛ وإنما يأخذ ركوته^(٥) ويمشي . فبينما نحن معه في مسجده تناول ركوته ومشى .

(١) في المطبوعة : ذلك .

(٢) في نسخة : بعد ما انصرف .

(٣) في « ب » والمطبوعة : فأفاق .

(٤) هو إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل أبو إسحاق الخواص صوفي ، كان أوحده المشايخ

في وقته من أقران الجنيد ، ولد في « سر من رأى » ومات في جامع الري . والخواص :

باتع الخوص ، توفي رحمه الله سنة (٥٢٩١ هـ)

(٥) الركوة : إزاء اللهاة من جلد خاصة .

فاتبعته ، فلم يكلمني ، حتى وافينا الكوفة . فاقام بها يومه وليلته ، ثم خرج نحو القادسية^(١) . فلما وافاها ، قال لي : يا حامد ! إلى أين ؟ قلت : يا سيدي ! خرجت بخروجك . قال : أنا أريد مكة إن شاء الله ! قلت : وأنا إن شاء الله أريد مكة ، فمشينا يوماً وليلتنا . فلما كان بعد أيام إذا شاب قد انضم إلينا في بعض الطريق . فمشى يوماً وليلة لا يسجد لله - عز وجل - سجدة . فعرفت إبراهيم ، وقلت : إن هذا الغلام لا يصلي . فجلس ، وقال له : يا غلام ! مالك لا تصلي ، والصلاة أوجب عليك من الحج . فقال : يا شيخ ! ما علي صلاة . قال : ألسنت برجل مسلم ؟ قال : لا . قال : أي شيء أنت ؟ قال : نصراني ، ولكن إشارتي في النصرانية إلى التوكل ؛ وادعت نفسي أنها قد أحكمت حال التوكل فلم أصدقها فيما ادعت ، حتى أخرجتها إلى هذه الفلاة التي ليس فيها موجود غير المعبود ، أثير ساكني وأمتحن خاطري .

فقام إبراهيم ومشى ، وقال : دعه يكون معك . فلم يزل يسايرنا إلى أن وافينا «بطن مر»^(٢) فقام إبراهيم ونزع خُلُقانه وطهرها بالماء ، ثم جلس وقال له : ما أمك ؟ قال : عبد المسيح . فقال : يا عبد المسيح^(٣) ! هذا دهليز مكة ، وقد حرم الله على أمثالك الدخول إليه وقرأ ﴿ إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ﴾

(١) القادسية : قرية قرب الكوفة ، يقال : مر بها إبراهيم عليه السلام فوجد بها عجوزاً ففسلت رأسه فقال : «قد سبت من أرض ، فسميت القادسية ، ودعا لها إن تكون محلة الحاج .

(٢) بطن مر ، ويقال : له مر الظهران : موضع على مرحلة من مكة .

(٣) هذه التسمية لانبجوز ، ومثلها : عبد النبي ، وعبد الحسين ، وغيرها .

[التوبة : ٢٨] والذي أردتَ أن تستكشف من نفسك فقد بان لك ، فاحذر أن تدخل مكة ! فإن رأيناك بمكة أنكرنا عليك . قال حامد : فتركناه ودخلنا مكة ، وخرجنا إلى الموقف . فبينما نحن جلوس بعرفات ^(١) إذا هو قد أقبل وعليه ثوبان وهو مُحرم ، يتصفح الوجوه حتى وقف علينا ، فأكب على إبراهيم يقبل رأسه . فقال له : ما وراءك يا عبد المسيح ؟ فقال : هيات ! أنا اليوم عبدٌ من المسيح عبده ! فقال له إبراهيم : حدثني حديثك . فقال : جلستُ مكاني حتى أقبلت قافلة الحاج ، فقمْتُ وتكررت في زيِّ المسلمين كاني مُحرم . فساعة وقعت عيني على الكعبة اضمحلَّ عندي كل دين سوى الإسلام ، فأسلمت واغتسلتُ وأحرمتُ . وها أنا أطلبك يومي ، فالتفت إلينا إبراهيم وقال : يا حامد ! انظر إلى بركة الصدق في النصرانية كيف هداه إلى الإسلام وصحبنا حتى مات بين الفقراء - رحمه الله .

١٢٥ - [نوبة هاجر صنم واسلم]

وحكي عن عبد الواحد بن زيد، قال : كنت في مركب ، فطرحتنا الريح إلى جزيرة ، وإذا فيها رجل يعبد صنماً . فقلنا له : يا رجل ! من تعبد ؟ فأوما إلى الصنم . فقلنا : إن معنا في المركب من يسوي

(١) موقف الحاج يوم التاسع من ذي الحجة ، وهو يوم عرفة . يقال : سميت بذلك لأن آدم وحواء تعارفا بها ، أو لقول جبريل عليه السلام لإبراهيم عليه السلام لما علمه المناسك : أعرفت ؟ قال : عرفت ، أو لأنها مقدسة معظمة كأنها محرقتُ أي طيبت .

مثل هذا ، وليس هذا إله يُعبد . قال : فأنتم لمن تعبدون ؟ قلنا : الله . قال : وما الله ؟ قلنا : الذي في السماء عرشه ، وفي الأرض سلطانه ، وفي الأحياء والأموات قضاؤه . فقال : كيف علمتم به ؟ قلنا : وجهه إلينا هذا الملك رسولاً كريماً فأخبر بذلك . قال : فما فعل الرسول ؟ قلنا : أدى الرسالة ثم قبضه الله . قال : فما ترك عندكم علامة ؟ قلنا : بلى ، ترك عندنا كتاب الملك . فقال : أروني كتاب الملك ، فينبغي أن تكون كتب الملوك حسانا

فأتيناه بالمصحف ، فقال : ما أعرف هذا . فقرأنا عليه سورة من القرآن ، فلم نزل نقرأ ويبيكي حتى ختمنا السورة . فقال : ينبغي لصاحب هذا الكلام أن لا يعصى ! ثم أسلم ، وحملناه معنا وعلمناه شرائع الإسلام وسوراً من القرآن . وكنا حين جئنا الليل^(١) وصلينا العشاء وأخذنا مضاجعنا ، قال لنا : يا قوم ! هذا الإله الذي دللتموني عليه ، إذا جنّه الليل ينام ؟ قلنا : لا ، يا عبد الله ! هو عظيم قيوم لا ينام . قال : بئس العبيد أنتم ، تنامون ومولاكم لا ينام ؟ فأعجبنا كلامه . فلما قدمنا « عبّادان »^(٢) قلت لأصحابي : هذا قريب عهد بالإسلام . فجمعنا له دراهم وأعطيناه . فقال : ما هذا ؟ قلنا : تنفقها . فقال : لا إله إلا الله ! دللتموني على طريق ما سلكتموها ؛ أنا كنت

(١) أي سترنا بظلامه .

(٢) عبّادان : جزيرة أحاط بها شعبتنا دجلة ساكنين في بحر فارس .

في جزائر البحر أعبد صنماً من دونه ولم يضيّعني، يضيّعني وأنا أعرفه؟ فلما كان بعد أيام قيل لي : إنه في الموت . فأتيته ، فقلت له : هل من حاجة فقال : قضى حوائجي من جاء بكم إلى جزيرتي . قال عبد الواحد : فحملتني عيني ، فنمت عنده . فرأيت مقابر « عبّادان » روضة وفيها قبة ، وفي القبة سرير عليه جارية لم ير أحسن منها . فقالت : سألتك بالله إلا ^(١) ما عجّلت به ، فقد اشتدّ شوقي إليه . فانتبهت ، وإذا به قد فارق الدنيا . فقممت إليه فغسلته وكفنته وواريته . فلما جنّ الليل نمت ، فرأيته في القبة مع الجارية ، وهو يقرأ : * وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ . سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ * [الرعد : ٢٣ ، ٢٤] ^(٢)

١٢٦ - [نوبة مجوسي واسلمه وأهل داره]

وقرأت في « الملتقط » أن بعض العلويين كان نازلاً بـ « بلخ » وله امرأة علوية ^(٣) ولها بنات قد أصابهم الفقر . ومات الرجل ، فخرجت

(١) في المطبوعة : « ألا » بفتح الهمزة ، وهو خطأ .

(٢) والآيات بتمامها : (أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب . الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق . والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب . والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرون (أي يدفعون) بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار . جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وفراشهم ، والملائكة ...) ال آخر الآيات .

(٣) منسوبة ال علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

المرأة بالبنات إلى «سمرقند»^(١) خوفاً من شماتة الأعداء . فاتفق
خروجها في شدة البرد، فلما دخلوا البلد أدخلتهم مسجداً ومضت تحتال
لهم في القوت، فمرت بجمعين؛ جمع على رجل مسلم وهو شيخ البلد،
وجمع على مجوسي هو ضامن البلد، فبدأت بالمسلم، فشرحت له حالها،
وقالت: أريد قوت الليلة، فقال: أقيمي عندي البينة أنك علوية،
فقلت: ما في البلد من يعرفني، فأعرض عنها، فمضت إلى المجوسي،
فأخبرته بالخبر وحدثته ما جرى لها مع المسلم، فبعث معها أهل داره
إلى المسجد، فجاؤوا بأولادها إلى داره، فألبسهم الحلل الفاخرة . فلما
انتصف الليل رأى ذلك المسلم في منامه كأن القيامة قد قامت، واللواء
على رأس محمد ﷺ، وإذا قصر من الزمرّد الأخضر . فقال له:
يا رسول الله! لمن هذا القصر؟ فقال: لرجل مسلم موحد، فقال:
يا رسول الله! فانا مسلم موحد . فقال: أقم عندي البينة بانك مسلم
موحد، فبقي الرجل متحيراً . فقال له: لما قصدتك العلوية قلت
لها: أقيمي عندي البينة؛ فهكذا أنت أقم عندي البينة . فانتبه
يبكي ويلطم . وخرج يطوف البلد على المرأة حتى عرف أين هي،
فأرسل إلى المجوسي فاتاه، فقال له: أين العلوية؟ قال: عندي، قال:
أريدها . قال: ما إلى هذا من سبيل . قال: خذ مني ألف دينار وسلمهم
إلي . قال: ما أفعل! قد استضافوني ولحقتني من بركاتهم . قال: لا بد

(١) ويقال لها بالعربية: سمران: بلد مشهور بخراسان، وينسب إليها جماعة
من العلماء .

منهم ! قال : الذي تطلبه أنا أحقّ به ، والقصر الذي رأيته لي خلق ! أتدلي عليّ بإسلامك ؟ والله ما نمتُ ولا أهل داري حتى أسلمنا على يد العلوية . ورأيتُ مثل منامك الذي رأيته ؛ وقال لي رسول الله ﷺ : العلوية عندك وبناتها ؟ قلتُ : نعم . قال : القصر لك ولأهل دارك ، وأنت وأهل دارك من أهل الجنة ؛ خلقك الله مؤمناً في الأزل .

١٢٧ - [نوبة يهودي محسن واسلم]

وروي عن ختن أبي عمران اللؤلؤي ، وكان رجلاً صالحاً يخام الفقراء وبيته بيت ضيافة ، أنه نزل به قوم ، فمضى إلى الحاكم يطلب لهم شيئاً ، فلم يُعطيه ، فمضى إلى يهودي ، فبعث إلى داره ما يحتاج إليه . فلما نام الحاكم رأى كأنه على باب قصر من لؤلؤة حمراء ، فهم أن يدخله ، فمضى منه وقيل له : إن هذا كان لك فدفع إلى فلان اليهودي ، فلما أصبح الحاكم مضى إلى ختن أبي عمران ، فسأله عن القصة فأخبره ، فاستحضر الحاكم اليهودي وقال : لك قصر في الجنة ، تبنيه بعشرة آلاف درهم ؟ فقال : لا ، فزاده ، فابى ؛ وسأله عن القصة ، فقص عليه الرؤيا ، فقال اليهودي لختن ^(١) أبي عمران : اعرض عليّ الاسلام ! فأسلم .

١٢٨ - [نوبة مجوسي كريم واسلم مع أولاده ورهطه]

وعن أبي حفص النيسابوري أنه قال لأصحابه يوماً في وقت الربيع :

(١) الختن : الصهر ، أو كل من كان من قبل المرأة كالأب والأخ ، جمع أختان .
المجوس : المصاهرة ، كالختون ، وتزوج الرجل المرأة ، وخاتنه : تزوج اليه .

تعالوا نخرج إلى التنزه، فخرجوا، فمروا بمحلة، فإذا شجرة كُمثرى قد أثمرت في دار، فوقف ينظر إليها، فخرج من تلك الدار رجل مجوسي شيخ كبير، فقال له: يا مقدم الأخبار! هل تكون ضيفاً لمقدم الأشرار؟ فدخل أبو حفص مع أصحابه، وكان معهم من قراء القرآن. فأخرج المجوسي كيساً فيه دراهم، وقال: أعلم أنكم تتزهون مما تصل أيدينا إليه من الطعام، فمر من يشتري لكم شيئاً من السوق، ففعلوا، فلما أراد أبو حفص أن يخرج قال له المجوسي: لا يمكنك أن تخرج إلا وأنا معك! فاسلم، وأسلم من أولاده ورهطه^(١) بضعة عشر نفساً.

١٢٩ - [توبة مجوسي بغدادى واسلم مع ابنه وابنته وكثير من أصحابه]

وجدت في كتاب «الجوهري»، قال: حدث ابن أبي الدنيا أن رجلاً نام، فرأى المصطفى ﷺ وهو يقول له: امض إلى المجوسي الذي في بغداد، وقل له: قد أجيب الدعوة، فلما أصبحت قلت: كيف أمضي إلى مجوسي؟! فنمت الليلة الثانية، فرأيت مثل ذلك. ثم رأيت مثل ذلك في الليلة الثالثة، فلما أصبحت تحملت إلى بغداد، وأتيت المجوسي، فوجدته في نعمة عريضة ودنيا واسعة. قال: فدخلت إليه وسلمت عليه وجلست. فقال: ألك حاجة؟ فقلت: نعم. قال: تكلم. قلت: في خلوة. فانصرف الناس وبقي أصحابه؛ فقلت:

(١) الرهط: قوم الرجل وقبيلته.

وهؤلاء، نصر فهم، وقال: قل. قلت: أنا رسولُ رسولِ الله ﷺ إليك، وهو يقول لك: قد أُجيبَت الدعوة. فقال: أتعرفني؟ قلت: نعم. قال: فإني أنكر الإسلام، وأنكر رسالة محمد عليه السلام. قلت: كذلك قلت، وهو أرسلني إليك، قال: أرسلك إلي؟ قلت: نعم. قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله.

ثم دعا أصحابه وقال: قد كنت في ضلال وقد رجعت إلى الحق؛ فمن أسلم فما في يديه له، ومن لم يسلم فليترع مما لي عنده، فأسلم القوم إلا قليلاً. ثم دعا ابنه، فقال: يا بني! إني كنت في ضلال وقد أسلمت؛ فما أنت صانع؟ قال: يا أبت! أسلم. فأسلم. ثم دعا ابنته، وقال: يا بنية! قد أسلمت وأسلم أخوك، فإن أنت أسلمتِ فرقت بينكما. فقالت: يا أبت! والله لقد كنت كارهة لاجتماعي به، وأسلمت. فقال لي: أتدري الدعوة التي أُجيبَت؟ قلت: لا. قال: لما زوجت ابنتي بولدي^(١) وصنعت له طعاماً ودعوتُ الناس كلهم، فأجابوا لما خولني الله من الدنيا. فلما أكل الناس تعبت؛ فقلت للخادم: افرش لي حصيراً في أعلى الدار أنام شيئاً. فطلعت؛ وكان بجوارنا^(٢) قوم أشرف فقراء. فسمعت صبيّة وهي تقول لأُمها: يا أمها! قد آذانا هذا الجوسي برائحة طعامه. قال: فنزلت وحملت لهم طعاماً كثيراً، ودنانير كثيرة؛ وكسوة لكل من في الدار. فقالت الواحدة: حشرك الله مع جدِّي! وقال الباقر^(٣): آمين! فتلك الدعوة التي أُجيبَت.

(١) في «ب» والمطبوعة: لما زوجت ابنتي ولدي.

(٢) في «ب» والمطبوعة: بجوارنا. (٣) في «ب» والمطبوعة: وقال الباقر.

١٣٠ - [نوبة طبيب نصراني محسن واسلام]

وروي أن بعض مشايخ^(١) الصوفية خرج على أصحابه ، وكانوا أربعين رجلاً وقد أقاموا ثلاثة أيام لم يفتح لهم بطعام ، فقال لهم : يا قوم ! إن الله قد أباح التسبب للعباد ؛ فقال تعالى : ﴿ فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه ﴾ [تبارك : ١٥]^(٢) ؛ فانظروا من يخرج منها فليأتنا بشيء ، قال : فخرج فقير فمشى في جانبي بغداد ، فلم يجد من يسأله في شيء ، فأخذه الجوع والتعب ، فجلس على دكان طبيب نصراني والناس عليه خلق عظيم يصف لهم الدواء . فقال له النصراني : ما بك ؟ فلم ير أن يشكو إلى نصراني حاله ، بل مد يده إليه ، فمسّ يده . فقال النصراني عند ذلك : هذه علة أنا أعرف دواءها ؛ يا غلام ! امض إلى السوق وائتني برطل خبز ورطل شواء ورطل حلواء^(٣) . فقال الفقير : فهذه العلة بأربعين رجلاً . فقال : يا غلام ! ائتني بأربعين مثل ذلك . فأتى الغلام بذلك . فسلّمه النصراني إلى الفقير ، وقال : خذه لمن ذكرت . فأخذه معه الجمال ومضى معه إلى الدويرة^(٤) . وقام النصراني يختبر صدق الفقير . فلما أتى الدويرة وقف خارجاً منها خلف طاق ،

(١) في المطبوعة : المشايخ .

(٢) وأول الآية : (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها ...) الآية .

(٣) في المطبوعة : حلوا .

(٤) الدويرة : بلد في الريف ، وموضع سكنه حُسون بن الهيثم المغربي الدويري .

وكدوية كصحيفة : قرية بنيسابور .

حتى دخل الفقير فوضع الطعام ، واجتمع الشيخ والفقراء . وقدموا
الطعام ، فأمسك الشيخ عن الطعام ^(١) ، وقال : يا فقير ! ما قصة هذا
الطعام ؟ فحكى له القصة بكاملها . فقال الشيخ : أترضون أن تأكلوا
طعام نصرانيّ وصلكم به دون مكافأة؟ قالوا : ما مكافأته؟ قال : تدعون ^(٢)
الله له قبل أكل طعامه بالنجاة من النار ، فدعوا له وهو يسمع . فلما
رأى النصرانيّ إمساكهم عن الطعام مع حاجتهم إليه ، وسمع ما قال
الشيخ ، قرع الباب ، ففتح له ودخل ، وقطع الزُّنار ، وقال : أشهد
أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله .



تم - بعون الله تعالى وتوفيقه - كتاب التوايين
للإمام موفق الدين بن قدامة المقدمي رحمه الله
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

(١) في « ب » والمطبوعة : عن الأكل

(٢) في المطبوعة : تدعوا ، وهو خطأ ، ولا داعي لحذف نون الفعل هنا .

من هربي القرآن الكريم في التوبة

لقد أمرنا الله تعالى بالتوبة فقال : (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً) أي توبة صادقة جازمة تمحو ما قبلها من السيئات ، وتلم شعث التائب وتجمعه وتكفه عما كان يتعاطاه من الدناءات .

ووعده القبول عليها فقال : (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات) .

وفتح باب الرجاء فقال : (قل يا عبادي الذين أمرتوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم) .
وأمرنا أن نلتمس النجاة على عجل : وأن نبادر إلى التوبة قبل دنو الأجل فقال :

(إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً . وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ، ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً) .

وندبنا إلى المبادرة إلى فعل الخيرات والمساورة إلى نيل القربات فقال :
(وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلى الله ولم يصبوا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار يخالدين فيها ونعم أجر العاملين) .

من هدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في التوبة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإنني أتوب إليه في اليوم مائة مرة » ، رواه مسلم في « صحيحه » ، عن الأغر بن يسار المزني رضي الله عنه . وقال أيضاً : « إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » ، رواه مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه . وقال : « كل بني آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون » ، رواه أحمد ، والترمذي وغيره عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، وهو حديث حسن .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال : « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ، يا عبادي كلّم ضال إلا من هديته ، فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي كلّم جائع إلا من أطعمته ، فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي كلّم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسّم ، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم ، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد ، فسألوني فأعطيت كل واحد مسأله ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص الخيط إذا أدخل البحر ، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصاها لكم ثم أوفيتكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » ، رواه مسلم في « صحيحه » ، عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه .

شروط التوبة

قال الامام النووي في «رياض الصالحين» : قال العلماء : التوبة واجبة من كل ذنب ، فان كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لاتتعلق بحق آدمي ، فلها ثلاثة شروط . أحدها : أن يقلع عن المعصية والثاني : أن يندم على فعلها . والثالث : أن يعزم أن لا يعود اليها أبداً . فان فقد أحد الثلاثة ، لم تصح توبته .

وان كانت المعصية تتعلق بحق آدمي ، فشروطها أربعة : هذه الثلاثة ، وأن يبرأ من حق صاحبها ، فإن كانت مالاً أو نحوه ، ردّه اليه ، وان كان حدّ قذف ونحوه ، مكنته منه أو طلب عفوّه . وان كان غيبة ، استحلّه منها .

ويجب أن يتوب من جميع الذنوب ، فان تاب من بعضها ، صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب ، وبقي عليه الباقي .

استدراك

وقع في الصفحة (٢١٢) في ترجمة أبي علي الروزباري : محمد بن أحمد ، وهو كذلك في « الأعلام » للزركلي ١٩٩/٦ ، والذي في « طبقات الصوفية » والرسالة القشيرية ، وغيرهما : أحمد بن محمد ، وهو الصواب .

★ ★ ★

قلنا في الصحيفة (٢٢٢) في ترجمة كتاب « الملتقط » : هو لأبي الفضل محمد ابن أبي جعفر المنذري الهروي ، كما في « كشف الظنون » ، ١٨١٣/٢ .
وللحافظ عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، « ملتقط الحكايات » في الزهديات ، ومن المرجح أن يكون المصنف قد قصد هذا لاذاك .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة المحقق	٦
ترجمة المؤلف	٩
مقدمة المؤلف	١
ذكر التوايين من الملائكة عليهم السلام	٣
قصة هاروت وماروت	
ذكر التوايين من الأنبياء عليهم السلام	٨
توبة آدم عليه السلام	
توبة نوح عليه السلام	١٢
توبة موسى عليه السلام	
توبة داود عليه السلام	١٦
توبة سليمان عليه السلام	٢١
توبة يونس عليه السلام	٢٦
ذكر التوايين من ملوك الأمم الماضية	٣٣
توبة ملك من ملوك بني إسرائيل	٣٦
توبة صاحب الخورنق	٣٩
توبة النعمان بن امرئ القيس	٤٢
توبة امرئ القيس	٤٧

الموضوع	الصفحة
توبة ملك من ملوك اليمن	٤٩
آخر الجزء الأول من الأصل المخطوط	٥٠
توبة رجل من بني اسرائيل عن عبادة الأصنام	٥١
توبة الملك كنعان	٥٧
ذكر التوابين من الأمم	٦٢
توبة قوم موسى عليه السلام	
توبة قوم يونس عليه السلام	٦٤
ذكر التوابين من آحاد الأمم الماضية	٦٩
توبة أصحاب الغار	
توبة الكفل	٧٢
توبة عابد وامرأة بغي	٧٤
توبة قصاب وجارية	٧٥
توبة صاحب الرغيف	٧٦
توبة راهب من بني اسرائيل	٧٧
توبة عابد من العبد	٧٨
توبة ذي الرجل	٧٩
توبة برخ العابد	
توبة عبد عاص	٨٠
توبة شاب مسرف على نفسه	٨٢
توبة رجلين من بني اسرائيل	٨٣
توبة عاص من العصاة	
توبة الخارج من القرية الظالمة	٨٤

الموضوع	الصفحة
توبة من قتل مائة نفس	٨٥
توبة لص من بني اسرائيل	٨٧
توبة ثلاث بناء من البغايا وغواة قريبة	٨٨
توبة صاحب فاحشة	٩٠
آخر الجزء الثاني من الأصل المخطوط	٩١
أخبار التائبين من أصحاب رسول الله ﷺ	٩٢
توبة أبي خيشمة رضي الله عنه	
توبة كعب بن مالك رضي الله عنه مع صاحبيه .	٩٤
توبة أبي لبابة رضي الله عنه	١٠٢
توبة أبي هريرة رضي الله عنه عن فتواه في امرأة زانية	١٠٤
توبة ثعلبة بن عبد الرحمن رضي الله عنه	١٠٥
توبة مالك الرؤاسي رضي الله عنه	١٠٨
توبة غني من أغنياء الصحابة	١٠٩
توبة أبي سفيان بن الحارث رضي الله عنه	١١٠
توبة عبد الله بن الزبيرى الشاعر رضي الله عنه	١١٧
توبة هبار بن الأسود رضي الله عنه	١٢٠
توبة عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه	١٢٢
توبة سهيل بن عمرو ، والحارث بن هشام رضي الله عنهما	١٢٥
توبة الأنصار رضي الله عنهم .	١٢٧
توبة أبي مجهم الثقفي رضي الله عنه	١٢٩
توبة طليحة بن خويلد رضي الله عنه .	١٣٢

الموضوع	الصفحة
آخر الجزء الثالث من الأصل المخطوط	١٣٥
ذكر التوابين من ملوك هذه الأمة	١٣٦
توبة ذي الكلاع	
توبة أمير وتاجر	١٣٨
توبة ملك من ملوك البصرة	١٤٤
توبة ملك وجارية	١٤٦
توبة أم النبي بنت عبد العزيز بن مروان	١٤٩
توبة هشام بن عبد الملك	١٥٠
توبة الأمير حميد بن جابر	١٥٣
توبة ابراهيم بن آدم	١٥٥
توبة شقيق البلخي	١٦٠
توبة عبد الله بن مرزوق	١٦٢
توبة جعفر بن حرب	١٦٢
توبة هارون الرشيد	١٦٤
توبة ابن هارون الرشيد	١٧٠
توبة المأمون	١٧٤
توبة موسى بن محمد بن سليمان الهاشمي	١٨٣
توبة جعفر البرمكي	١٩١
توبة جارية من بنات الكبار على يد أبي شعيب البراني	١٩٢
توبة الواصل بالله وابنه المهدي بالله	١٩٤
آخر الجزء الرابع من الأصل المخطوط	١٩٩

الموضوع	الصفحة
ذكر توبة جماعة من الأمة رحمة الله عليهم	٢٠٠
توبة حبيب أبي محمد	
توبة زاذان الكندي	٢٠١
توبة مالك بن دينار	٢٠٢
توبة داود الطائي	٢٠٦
توبة الفضيل بن عياض	٢٠٧
توبة علي بن الفضيل بن عياض	٢٠٩
توبة بشر الحافي	٢١٠
توبة تاجر عن الواقعة في الناس	٢١٤
توبة أبي عبد رب	٢١٦
توبة القعني	٢١٩
توبة عكبر الكردي	٢٢٢
توبة صدقة بن سليمان الجعفري	٢٢٣
توبة ذي النون المصري	٢٢٤
توبة سكران	٢٢٦
توبة المرتعش	٢٢٧
توبة عبد الرحمن القس	٢٢٨
توبة أبي الحارث الأولامي	٢٣٠
توبة أبي الفضل محمد بن ناصر السلامي عن اعتقاد البدعة	٢٣١
توبة أبي الحسن المرقاني عن مذهب بعض المتكلمين	٢٣٥
أخبار جماعة من التوابين	٢٣٧
توبة منازل بن لاحق	